تراث الإمام الدردير (٤)

مجموع الحواشي السنية

على شرح الخريدة البهية

للإمام أبي البركات أحمد بن محمد الدردير العدوي المالكي

وهي حواشي السباعي والصاوي وبخيت

مع تقريرات الشيخ إبراهيم بصيلة المالكي على حاشية الصاوي

المجلد الثاني

النبوات السمعيات التصوف

اعتنى بها

د. محمد نصار

محمود مرسي الأزهري

دار الإحسان

2. CİLT

مجموع الحواشي السنية

على شرح الخريدة البهية

للإمام أبي البركات أحمد بن محمد الدردير العدوي المالكي

وهي حواشي السباعي والصاوي وبخيت

مع تقريرات الشيخ إبراهيم بصيلة المالكي على حاشية الصاوي

المجلد الثاني

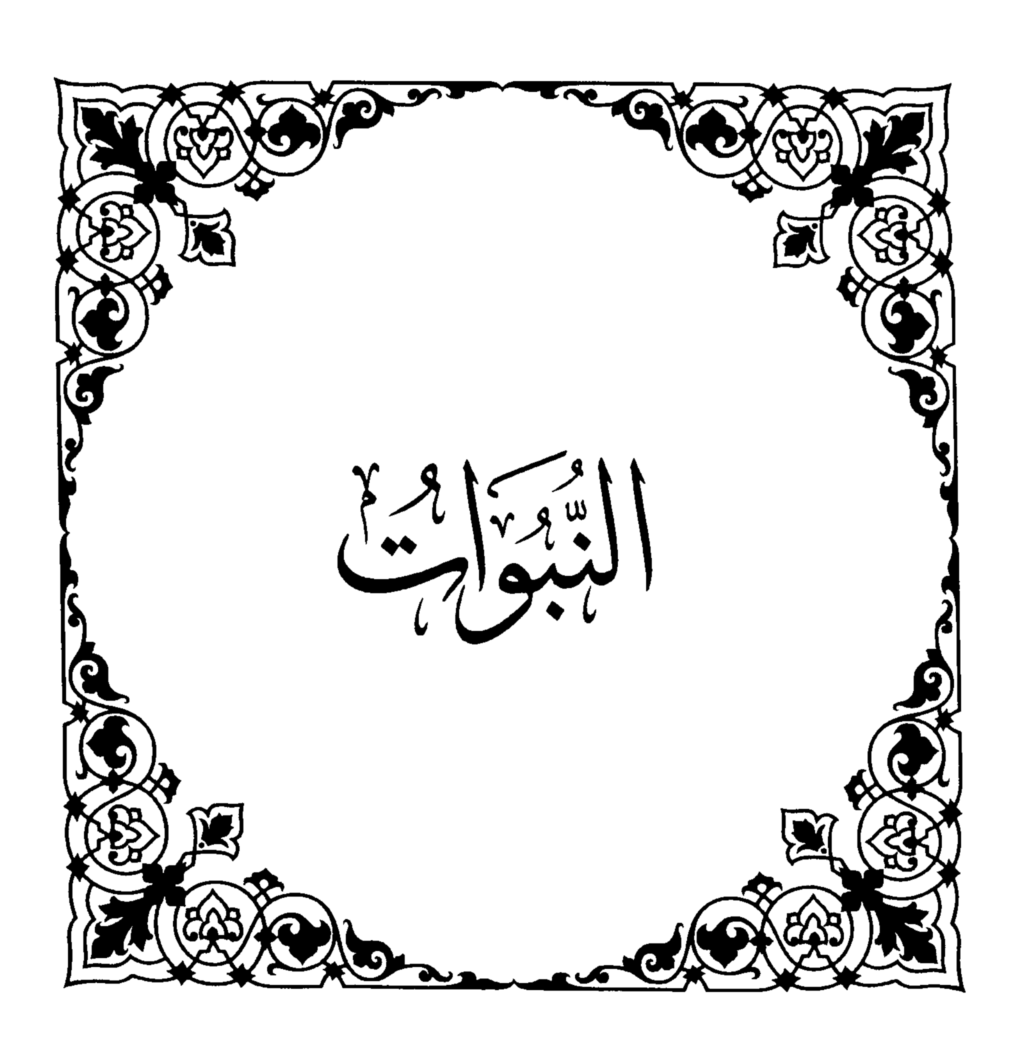
النبوات السمعيات التصوف

اعتنى بها

د. محمد نصار

محمود مرسي الأزهري

دار الإحسان
للنشر والتوزيع


النبوات

ولما فرغ من القسم الأول من أقسام هذا الفن وهو الألوهيات، شرع في القسم الثاني وهو النبوات، فقال: (**وصف**) أيها المكلف وجوبًا (**جميع الرسْل**) بسكون السين للضرورة، أي يجب عليك أن تعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام متصفون (**بالأمانه**) وهي حفظ الله تعالى بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة، ولو حال الطفولية، وهي المسماة بالعصمة،

سباعي

قوله: (النبوات): ويسمى بالنبويات أيضًا. **قوله: (الرسل)**: جمع رسول، فعول، فهو صفة كصبور، من الرسالة، وهي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته، يكشف بها عللَهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة. والسفارة بالسين المهملة والفاء، أصلها التردد بين فريقين للإصلاح بينهم، فكأنه قال: من الرسالة، وهي إصلاح العبد الذي هو الرسول بين الله وبين ذوي الألباب... إلخ. قوله: (**ولو نَهي كراهة**): هذا عند بعض المحققين وهو الراجح، أي كونهم

صاوي

قوله: (وهو الألوهيات): أي ما يتعلق بحضرة الإله من الواجب والمستحيل والجائز في حقه تعالى، والرد على المخالفين في ذلك. وختم ذلك المبحث بالرؤية، لأنه المقصد الأعظم للعارفين، ولذا قال بعضهم:

ليس قصدي من الجنان نعيما غير أني أريدها لأراكا

قوله: (وصف أيها المكلف وجوبًا): أي يجب عليك أن تعتقد أنهم موصوفون بتلك الصفات.

قوله: (ولو حال الطفولية): **إن قلت**: إنه لا تكليف قبل البعثة، فلا معصية قبلها، فكيف يُقال إنهم معصومون من المعاصي قبل النبوة، والحال أنه لا معصية قبلها؛ **قلت**: المراد الصورة التي يُحكم

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وهي المسماة بالعصمة): العصمة عندنا أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبًا. وعند الحكماء: ملكة تمنع الفجور[1]. وأجمع أهل الشرائع والملل كلها على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه، كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى. وفي جواز صدوره فيما

(١) قوله: (**والعصمة عندنا... إلخ**): بناء على أصلنا من استناد الأشياء إلى الفاعل المختار ابتداء. وقوله: (**وعند الحكماء... إلخ**): بناء على ما ذهبوا إليه من الإيجاب في اعتبار استعداد القوابل. اهـ منه.

....

سباعي

لا يُتصوَّر أن يكونوا عند الله إلا كذلك، فلا تكون أفعالهم محرَّمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى، لأن كمال شرفهم وعلوّ قدرهم يأبى وقوع ما نُهوا عنه -ولو تنزيهًا- منهم على غير وجه التشريع المندوب الذي ربما وجب عند توقف البيان على الفعل، مثل وضوئه عليه الصلاة والسلام مرتين مرتين. نعم تكون واجبةً أو مندوبة أو مباحة لا تؤدي إلى إزالة حشمة ولا خَرْم مروءة.

صاوي

عليها بأنها معصية بعد البعثة. **إن قلت**: إن إخوة يوسف قد فعلوا معه ما ظاهره الحرام، فعلى أنهم ليسوا بأنبياء فلا إشكال. وأما على أنهم أنبياء فهو مشكل؛ أُجيب بأنهم وإن كانوا أنبياء إلا أنهم ليسوا برسل مشرعين، فللنبي أن يفعل بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر، كما في خرق السفينة وقتل الغلام الواقع من الخضر ﷺ فهو بحسب الظاهر حرام، وبحسب الباطن مصلحة، فأخوة يوسف أعلمهم الله بالإلهام أو الوحي أن يوسف يملك مصر وتحصل له السيادة العظمى بها، فتعين عليهم أن يفعلوا أمورًا وإن كان ظاهرها الحرام، إلا أنها في الباطن والواقع واجبة عليهم، ليتوصلوا بذلك إلى وصوله

بصيلة

(**وبحسب الباطن مصلحة**): بينها الله سبحانه بقوله: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩] فلولا أنه خرقها لغُصبت، وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠].

بخيت

ذكر على سبيل السهو والنسيان خلاف، فمنعه الأكثرون، وجوزه القاضي أبوبكر. وأما سائر الذنوب فإن كانت كبيرة فهم معصومون عن تعمدها. وأما صدورها سهوًا أو على سبيل الخطأ في التأويل، فقال العضد في «المواقف» إنه جوزه الأكثرون. وقال شارحها العلامة: المختار خلافه.

وإن كانت صغيرة فإن كانت مشعرة بالخسة كسرقة لقمة، فهم معصومون عنها عمدًا وسهوًا، خلافًا للجاحظ وبعض المعتزلة، فإنهم جوزوها سهوًا بشرط أن يُنبهوا عليها فينتهوا؛ وإن لم تكن مشعرة، فقال في «شرح المقاصد»: هم معصومون عنها عمدًا. وقال في «شرح العقائد النسفية»: وأما الصغائر فتجوز عمدًا عند الجمهور خلافًا للجُبَّائي وأتباعه، وتجوز سهوًا بالاتفاق إلا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة، لكن المحققين اشترطوا أن يُنبهوا فينتهوا. هذا كله بعد الوحي.

....

سباعي

....

صاوي

مصر، ففعلهم هذا حرام ظاهرًا، مأمورون به باطنًا، ويُقال فيهم كما قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، وكذا يُقال في أكل آدم من الشجرة. ويوضح المقام قول العارف الجيلي:

ولي نكتة غـرا هنا سأقولها	وحق لها أن ترعويها المسامع
هي الفرق ما بين الولي وفاسق	تنبه لهـا فـالأمـر فيه بدائع
ومـا هـو إلا أنـه قبل وقعه	يخـبر قلبي بـالـذي هـو واقـع
فأجني الذي يقضيه في مرادها	وعيني لها قبل الفِعال تطالع
فكنت أرئ منها الإرادة قبل ما	أرئ الفعل مني والأسير مطاوع
إذا كنت في أمر الشريعة عاصيًا	فـإني في حكم الحقيقة طائع

ويؤول أيضًا ما يوهم خلاف الأمانة في حقهم، كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] بأن المراد ذنوب أمته ووزرهم، أو المراد

بصيلة

(**بأن المراد ذنوب أمته**): أو أنه كنى بالمغفرة عن العصمة، أي ليعصمك الله من الذنب فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر. وقد نص الأئمة الأعلام على أن المغفرة والعفو والتوبة جاءت في القرآن والسنة في معرض الإسقاط والترخيص وإن لم يكن ذنبًا، ومنه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾

بخيت

وأما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة. وذهب المعتزلة إلى امتناعها، لأنها توجب النفرة المانعة من اتباعهم، فتفوت مصلحة البعثة. والحق منع ما يوجب النفرة، كعهر الأمهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة.

ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحي وبعده، لكنهم جوزوا إظهار الكفر تقية.

وإذا تقرر هذا فما نُقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصية أو كذب فما كان منقولًا بطريق الآحاد فمردود، وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره إن أمكن، وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة. اهـ كلامه.

....

سباعي

....

صاوي

وزره على فرض وقوعه، أي إن وقع منك ذنب أو وزر، فقد غفرناه لك ووضعناه عنك، أو المراد بالوزر أثقال الوحي، فإنه كان يثقل عليه نزول الوحي، فأخبره الله بأنه وسَّع صدره، ووضع عنه أثقال الوحي، فكان بعد ذلك لا يثقل عليه.

بصيلة

[التوبة: ٤٣]، «عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق»، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: ١٣]، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧] أي رخص لكم. ذكره السيوطي. وأما قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] فقال القاضي عياض في «الشفا»: ليس إثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام، بل إعلام من الله أن ذلك المتصدى له لا يُزكى، وأنه لو كُشف لك حال الرجلين لاخترت الأعمى. وتصدي النبي للكافر المذكور كان لأجل أن يتألفه، فهو طاعة لله لا معصية فيه. وأما قصة نبينا مع زيد مولاه وزينب فليس يصح فيها إلا ما ذكره مولانا في كتابه العزيز من كونه زوَّج نبينا زينب بعد فراقها زوجها زيد، وشرع بذلك إباحة تزويج حلائل

بخيت

وهو يخالف ما في «شرح المقاصد» من عصمتهم عن الصغائر عمدًا، فيحمل ما في «شرح المقاصد» على المذهب المختار عند محققي الأشاعرة واختاره السيد الشريف. وقال المحققون من المحدثين والسلف الصالح بعصمتهم عن الصغائر عمدًا والكبائر مطلقًا، وما يشعر بصدور المعصية محمول على ترك الأولى، من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقوله في «شرح العقائد»: «وإلا فمحمول... إلخ» يدل على عدم جواز تعمد الصغيرة، وإلا لقال: فمحمول على الصغيرة أو ترك الأولى، فيناقض ما قدمه في صدر عبارته من الجواز عمدًا عند الجمهور، إلا أن يُقال: راعى الأدب في عدم نسبة تعمدها إليهم. أو يُقال: ليس قوله: فما نُقل عن الأنبياء... إلخ تفريعًا على ما تقرر في صدر العبارة، بل هو استئناف لاختيار المذهب المختار الذي اختاره في «شرح المقاصد» فلا تناقض.

نعم يرد أن ترك الأولى لا يقابل الصرف عن الظاهر، لأن الحمل على ترك الأولى صرف عن الظاهر أيضًا، إلا أن يُحمل الصرف على ماعدا ترك الأولى. وبما نقلناه لك تعلم كلام الشارح هنا.

إذ لو جاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرم أو المكروه طاعة. بيان الملازمة أن الله تعالى قد أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل إلا فيما ثبت اختصاصهم به عن الأمة،...

سباعي

قوله: (**في أقوالهم وأفعالهم**): أي غير الجبلية، كالقعود والقيام والمشي، فإننا غير متعبدين بذلك، وتندرج فيما نقتدي بهم فيه تقريراتهم وسكوتهم، إذ لا يقرون على الباطل ولا يسكتون عليه. **وناقش بعضهم في الملازمة** بأنه قد يُقال: لا يلزم انقلاب المحرَّم أو المكروه طاعة [أن] يلزمنا اتباعهم فيه، لاحتمال أن يُقال: إنما يلزمنا اتباعهم فيما يبلغونه عن الله تعالى من التوحيد وأحكام الشرائع، لا في غير ذلك كالأمور الجبلية ونحوها. قال: والدليل الذي لا غبار عليه على وجوب عصمتهم الإجماع.

قوله: (**إلا فيما ثبت اختصاصهم به**): كنكاح أزيد من أربع. وفيه إشارة إلى أن الأصل اتباعه

صاوي

قوله: (**إذ لو جاز عليهم أن يخونوا... إلخ**): هذا قياس استثنائي مركب من شرطية متصلة مذكورة، واستثنائية محذوفة، استثنى منها نقيض التالي، فأنتج نقيض المقدم، ونظم القياس هكذا: لو خانوا بفعل محرم أو مكروه، لانقلب المحرم أو المكروه طاعة في حقهم، لكن انقلاب المحرم أو المكروه طاعة مأمورًا بها باطل، فبطل المقدم وهو صدور الخيانة منهم، وإذا بطل صدور الخيانة منهم، وجبت لهم الأمانة وهو المطلوب. قوله: (**باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم**): مراده بالأفعال ما قابل الأقوال، فيشمل الإقرار، إذ لا يقرون على محرم أو مكروه.

بصيلة

الأدعياء، وقد أوحى الله لنبينا بما أراد من تزويج زينب له قبل أن يطلقها زيد، فلما ألقى في قلب زيد حب فراقها، جاء يشكو تعاظمها عليه للنبي ﷺ وأنه يريد فراقها، فأمره النبي بإمساكها وتقوى الله عملًا بالظاهر، وأخفى عن زيد وغيره ما في نفسه من وحي الله له بأن زيد يفارقها وهي زوجة له بعده، حياءً منه وخوفًا من أن يُقال: تزوج محمد زوجة من تبناه، فقال الله له: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآية.

بخيت

قوله: (**إذ لو جاز... إلخ**): هذا إنما يدل على عصمتهم فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه، كدعوى الرسالة وما يبلغون عن الله تعالى بعد البعثة لا قبلها، لأنا لم نؤمر باتباعهم قبلها.

وحينئذٍ فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به فهو طاعة، لأن الله تعالىٰ لا يأمر بالفحشاء.

سباعي

في أقواله وأفعاله حتىٰ تثبت الخصوصية، فلا يتوقف المكلَّف لاحتمال التخصيص، إذ الأصل عدمه، وهذا مبنيٌّ علىٰ أحد قولين للأصوليين في التمسك بالعام بعد وفاته عليه الصلاة والسلام قبل البحث عن المخصص. وقيل: لا، لاحتمال التخصيص. «وقد أُمِرنَا باتباعهم»، أي الاقتداء بهم. أما الاقتداء بنبينا عليه الصلاة والسلام فظاهر. وأما الاقتداء بغيره فيلزمنا، وقد يُقال: إنه مبنيٌّ علىٰ أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ، وهو مختار مذهب مالك. ومختار الشافعي أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا، ولو لم يرد ناسخ. وأجاب بعضهم بأن ضمير «أُمرنا» لمطلق المكلَّفين الشامل لهذه الأمة ولغيرها، فهو من باب التنازع. ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة علىٰ الآحاد، أي أمر كل أمة باتباع نبيها علىٰ حد: ركبَ القومُ دوابَّهم، أي ركب كل واحد دابته.

قيل: وهذا الجواب يتوقف علىٰ ثبوت نص من الشارع أن شرع الأمم السابقة وجوب الاقتداء بأنبيائها كشرعنا. والاحتجاج بآية ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ [آل عمران: ٣١] ظاهرٌ إن كان الخطاب للأمة علىٰ العموم. وإن كان الخطاب لقوم مخصوصين قالوا: نحن أبناء الله ونحن أحباء الله، فنزلت الآية، أو نزلت في قوم قالوا: يا رسول الله، إنا نحب الله؛ فالاحتجاج بها من جهة المعنىٰ، لأن غير المخاطبين يُقاس علىٰ المخاطبين، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهكذا الحكم في كل خطاب للموجودين، فإنه يدخل فيه من سيُوجد، أي إن كنتم تحبون طاعته فافعلوا ما أمركم به، لأن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما ورضاه بأمرهما، ومحبة الله للعبد عفوه عنه وإنعامه عليه برحمته، والذي يحب الله يتبع حبيبه اتباع محبة وصدق وإخلاص.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

(والصدق) أي في دعواهم الرسالة في تبليغهم الأحكام، وهو مطابقة حكم الخبر للواقع، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣]، ولأنهم لو جاز عليهم الكذب للزم الكذب في خبره

سباعي

قوله: (والصدق): هذه هي الصفة الثانية. وقوله: (أي دعواهم الرسالة): إشارة إلى أن المراد التصديق في نوع خاص دفعًا لما يُقال: إن الصدق داخل في الأمانة، لأنها شاملة للأفعال والأقوال،وعلى هذا فهو أخص من الأمانة التي هي العصمة في الظاهر والباطن، ومن المعلوم أن الأخص فيه ما في الأعم وزيادة، فكأنه غيره. ونكتته الاهتمام به، أي بالخاص.

قوله: (قال تعالى... إلخ): إشارة إلى الدليل السمعي.

وقوله: (ولأنهم... إلخ): إشارة إلى الدليل العقلي. واعلم أن الأمة أجمعت فيما كان طريقه البلاغ والغرض منه أن يُبلَّغ للأمة ليعملوا به أو يعتقدوه على العصمة فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصدًا وعمدًا، ولا سهوًا وغلطًا. وأما ما ليس طريقه البلاغ بأن كان من غير

صاوي

قوله: (والصدق): أي ولو في المزاح لما في الحديث: «أمزح ولا أقول إلا حقًّا». ويؤول له ما ظاهره الكذب في حق الأنبياء، كما في واقعة إبراهيم الخليل مع الأصنام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٣] هذا كلام خارج مخرج التقريع والتهديد والتبكيت، لأنه لم يكن عند الأصنام غيره، فما فائدة قولهم: ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٥٩].

بصيلة

....

بخيت

قوله: (في دعواهم الرسالة... إلخ): أي لإفادة المعجزة العلم الضروري بصدقهم فيما ذكر.

قوله: (﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣]): إن كان المراد لا يقع منه كلام أصلًا إلا موحى كما هو المتبادر من وقوع الفعل الشبيه بالنكرة في سياق النفي، دلت الآية على امتناع الكذب مطلقًا. وإن كان المراد لا يُبلِّغ إلا ما يُوحى إليه، دلت على امتناعه عمدًا فيما يبلغ بعد البعثة. وعلى كلٍّ فالآية دالة على امتناعه فيما يبلغون، فافهم.

قوله: (صدق عبدي... إلخ): على هذا فالدليل إنما يدل على صدقهم فيما يبلغون كما هو ظاهر.

تعالىٰ، لأنه تعالىٰ صدقهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله: «صدق عبدي في كل ما يبلغ عني». وتصديق الكاذب كذب محض، والكذب على الله تعالىٰ محال، لأنه نقص وما أدىٰ إلىٰ المحال محال.

سباعي

الأخبار التي تسند إليها الأحكام وأحوال المعاد، بل لا تُضاف إلىٰ وحي وإنما تتعلق بأمور الدنيا وأحوال أنفسهم أو غيرهم مما طريقه الخبر المحض، فجزم القاضي عياض فيه أيضًا بأنه يجب تنزيه الأنبياء عن أن يقع خبرهم في شئ من ذلك بخلاف مخبرهم لا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا، وأنهم معصومون من ذلك كله في حالة الرضا والسخط، والجد والمزح، والصحة والمرض.

ودليل ذلك اتفاق الصحابة ومَن بعدهم علىٰ ذلك، فإنا نعلم من دَيْدَنِ الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلىٰ التصديق في جميع أقواله، والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت، وعن أي شيءٍ وقعت، ولم يكن لهم توقف ولا تردد في شيءٍ منها، ولا استفهام عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا فإن أخباره وسيره وآثاره ﷺ وشمائله مُعتنىً بها مستقصًىٰ تفاصيلها، ولم يرد في شيءٍ منها استداركه عليه الصلاة والسلام أو اعترافه بوهم في شيءٍ أخبر به ولو كان ذلك لنُقِلَ.

وأيضا فالكذب متىٰ عُرف من أحد في شيءٍ من الأخبار علىٰ أي وجهٍ كان، اسْتُرِيبَ في خبره واتُّهِمَ في حديثه، ولم يكن لقوله في النفوس موقع. وأيضًا تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية، والإكثار منه كبيرة بإجماعٍ، مُسقِطٌ للمروءة، وكل هذا مما يُنزَّه عنه منصب النبوة، والمرَّةُ منه فيما يُستَبشَع مما تُخل بصاحبها وتُزري بقائلها لاحقةٌ بذلك. وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عدَدْناها من الصغائر فتجري علىٰ حكمها والخلاف فيها.

والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره، وسهوه وعمده، إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين، وتصديق ما جاؤوا به، وتجويز شيء ما من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه، ومناقض

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

والمعجزة: أمر خارق للعادة..

سباعي

للمعجزة، فالقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خُلفٌ في القول في وجهٍ من الوجوه، لا بقصد ولا بغير قصد، ولا يُتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم في حالة السهو فيما ليس طريقه البلاغ، وبأنه لا يجوز عليهم قبل النبوة ولا الاتِسام به في أمورهم وأحوال دنياهم، لأن ذلك مما يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم. ومن أراد المزيد فعليه بالمطوَّلات كشرحي اللقاني على جوهرته.

(**قوله: والمعجزة أمرٌ خارق للعادة**): اعلم أن الخارق خمسة: اثنان للنبي: الأول **الإرهاص** وهو ما قبل النبوة، والثاني **المعجزة** وهو ما بعدها؛ وما ظهر على يد عبد صالح **فكرامة**؛ وما ظهر على يد عبد ما كتخليصه من كربة كظلم ظالم **فمعونة**؛ وما يظهر على يد عبدٍ فاسق قسمان: **استدراج** أو **إهانة**، فالأول كأن يظهر على يده أمر فيه صلاح، والثاني ضده. ثم دلالة المعجزة على صدق مدعي الرسالة فيها خلاف، فالذي في كتاب الشيخ السنوسي وكتب الماتريدية وبعض الأشاعرة أنها عقلية. عللوا ذلك بأنه لا يجوز كذبه عقلًا، ولو كان كاذبًا لكان مصدقه الله تعالى، وتصديق الكاذب كذب، والكذب على الله مُحال. والذي مشى عليه السعد في هذا المقام أنها عادية، وهو الحق، بحيث لو خرق الله له العادة وهو كاذب لم يلزم عليه محال. وقيل: وضعية. أقوال ثلاثة وأنت إذا تأملت تجد شارحنا نوَّر الله ضريحه جمع بينها، إذ قوله: «ولأنهم لو جاز عليهم الكذب... إلخ» صريح في الأول، وقوله: «والمعجزة أمر خارق للعادة... إلخ» صريح في الثاني، وقوله: «المنزلة... إلخ» صريح في الثالث.

صاوي

قوله: (**المعجزة**): هي في الأصل مشتقة من الإعجاز، وهو إثبات العجز في الغير، ثم استُعمل في لازمه وهو إظهاره، ثم نُقلت للأمر الخارق الذي ذكره الشرح. والتاء في معجزة للنقل من الوصفية للاسمية.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (**والمعجزة... إلخ**): أي على وجه يدل على صدقه، ولها سبعة شروط: **الأول**: أن تكون فعل الله تعالى أو ما يقوم مقامه من الترك. **الثاني**: أن يكون خارقًا للعادة. **الثالث**: أن يتعذر معارضته.

مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة ....

سباعي

والمعجزة مشتقة من الإعجاز، وهو إثبات العجز للمعارض عن الإتيان بمثلها، وإسناد الإعجاز إلى الخارق مجاز، لأنه من الإسناد إلى السبب. والتاء في المعجزة للنقل من الوصفية إلى الاسمية. وقيل: للمبالغة كما في «علَّامة». وفيه مجاز آخر على مذهب الإمام الأشعري، وهو إطلاق العجز على نفي القدرة، كإطلاق الجهل على عدم العلم، وهو معنى وجودي ضد القدرة يتعلق بالموجود، فعجز الزَّمِن إنما هو عن القعود الموجود لا عن القيام المفقود، بمعنى أن القعود وُجد منه اضطرارًا لا اختيارًا. ووجه التجوُّز هنا على مذهب الشيخ الأشعري أنه لا يتأتى هنا، لأن مقتضى العجز عن المعارضة تعلق العجز بالمعارضة الموجودة، بمعنى أن المعارضة وُجدت منهم اضطرارًا لا اختيارًا، وهذا غير مراد هنا، والمراد بالعجز عن المعارضة عدم القدرة عليها مع عدم المعارضة، أي بأن لا يقدر أحد من الناس على أن يأتي بمثل ما يأتي به.

قوله: (مقرونٌ بالتحدي): هو في الأصل المعارضة، والمراد دعوى الرسالة، وزمن التحدي

صاوي

قوله: (مع عدم المعارضة): أي مع عدم القدرة على المعارضة والإتيان بمثله.

بصيلة

....

بخيت

الرابع: أن يكون مقرونًا بالتحدي. ولا يُشترط التصريح بالدعوى، بل يكفي قرائن الأحوال.

الخامس: أن يكون موافقًا للدعوى، فلو قال: معجزتي أن أحيي الموتى، ففعل خارقًا آخر لم يدل على صدقه.

السادس: أن لا يكون ما ادعاه وأظهره مكذِّبًا له. فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الذئب. فأنطقه فكذبه، لم يُعلم صدقه، بل ازداد اعتقاد كذبه، بخلاف ما لو قال: معجزتي أن يُحيى هذا الميت. فأحياه فكذبه، فالصحيح أن لا يخرج عن المعجزة، لأن الإحياء هو المعجزة وهو غير مكذِّب، وإنما المكذِّب ذلك الشخص بكلامه، وهو بعد الإحياء مختار في تصديقه وتكذيبه، فلا يضر تكذيبه. وأما الإنطاق فلما لم يمكن تحققه بدون المخصوص كان المعجزة هو الإنطاق الخاص، وهو مكذب فاندفع

فدخل في قولنا «أمر» الفعل والترك، كعدم إحراق النار لإبراهيم. وقولنا «خارق» احتراز من أن يُتمسك بالعادات. وقولنا «مقرون بالتحدي» أي دعوىٰ الرسالة احتراز من كرامات الأولياء،

سباعي

زمن النبوة برمته، فإنه في كل يوم حالُه قائل: أنا رسول الله. وليس المراد الزمن الملاصق لقوله: أنا رسول الله، وإلا لزم عدم القول بكثير من المعجزات وهو كفر. اهـ. مؤلفه.

قوله: (من أن يتمسك بالعادات): أي كقدوم زيد مثلًا. **قوله: (احتراز من كرامات الأولياء)**: قال سيدي عيسىٰ: هذا إنما يتأتىٰ علىٰ القول بأن الولي لا يدعي الولاية ويتحدىٰ بالكرامة، وإلا فالتعريف شامل له. اهـ. وقد أشرنا إلىٰ جوابه في القولة التي قبل هذه بقولنا: «والمراد... إلخ» والولي لا يدعي النبوة إن سُلِّم أن دعوىٰ الولاية يُسمىٰ في اللغة تحديًا. نعم في المسألة قولان. والمشهور أن الولي يعرف ولاية نفسه، وقيل: ولا يجوز أن يعرف ولاية نفسه، لأن مبناها الخوف وتهمة النفس.

صاوي

قوله: (كرامات الأولياء): أي وهي الأمور الخارقة للعادة الظاهرة علىٰ يد ظاهر الصلاح. والحاصل أن أحوال الخارق للعادة ستة جمعها بعضهم بقوله:

إذا ما رأيت الأمر يخرق عاده ... فمعجزة إن من نبي لنا صدر

وإن بان منه قبل وصف نبوه ... فالإرهاص سمه تتبع القوم في الأثر

وإن جاء يومًا من ولي فإنه الكرامه ... في التحقيق عند ذوي النظر

وإن كان من بعض العوام صدوره ... فكنوه حقًّا بالمعونة واشتهر

ومن فاسق إن كان وفق مراده ... يُسمىٰ بالاستدراج فيها قد استقر

وإلا فيُدعىٰ بالإهانة عندهم ... وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر

بصيلة

(وهي الأمور الخارقة للعادة الظاهرة على يد ظاهر الصلاح... إلخ): اعلم أن الكرامة للأولياء

بخيت

ما توهم أن الفرق محل تأمل. **السابع**: أن لا تكون المعجزة متقدمة علىٰ الدعوىٰ، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزمان يسير يُعتاد مثله.

وما عدا الخامس والسادس يُفهم من تعريفه، ويُفهم الخامس والسادس من قولنا: «علىٰ وجه... إلخ»، فافهم.

والإرهاصات وهي ما تتقدم بعثة الأنبياء تأسيسًا لها..................................

سباعي

....

صاوي

قوله: (والإرهاصات): مأخوذ من الرِّهص -بالكسر- وهو أساس الحائط، سُميت بذلك لأنها مؤسسة للنبوة ومقوية لها، وذلك كخمود نار فارس، وانشقاق إيوان كسرىٰ، وتظليل الغمام وغير ذلك.

بصيلة

وقع فيها خلاف بين أهل السنة والمعتزلة، ولذا قال في «المواقف»: المقصد التاسع في كرامة الأولياء وأنها جائزة عندنا -خلافًا لمن منع جواز الخوارق- واقعة، خلافًا للأستاذ أبي إسحاق والحليمي منا وغير أبي الحسين من المعتزلة. لنا أما جوازها فظاهر علىٰ أصولنا، وهي أن وجود الممكنات مستند إلىٰ قدرته الشاملة لجميعها، فلا يمتنع شيء علىٰ قدرته ولا يجب غرض في أفعاله، ولا شك أن الكرامة أمر ممكن، إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته. وأما وقوعها فلقصة مريم حيثُ حبلت بلا ذكر، ووُجد الرزق عندها بلا سبب، وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة، وجعلُ هذه الأمور معجزات لزكريا وإرهاصًا لعيسىٰ ما لا يقدم عليه منصف. وقصة آصف وهي إحضاره عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين، ولم يكن ذلك معجزة لسليمان ﷺ، إذ لم يظهر علىٰ يده مقارنًا لدعواه النبوة. وقصة أصحاب الكهف وهي أن الله سبحانه أبقاهم ثلاثمئة سنة وأزيد نيامًا أحياء بلا آفة، ولم يكونوا أنبياء إجماعًا. وشيء من هذه الأمور الخارقة الواقعة في تلك القصص لم يكن معجزة لفقد شرطه كما أشرنا إليه وهو مقارنة الدعوىٰ والتحدي. احتج من لم يجوز الخوارق أصلًا بما مر بجوابه.

ومن جوزها وأنكر الكرامة احتج بأنها لا تُميز عن المعجزة، فلا تكون المعجزة حينئذ دالة علىٰ النبوة وتسد باب إثباتها. **والجواب** أنها تتميز بالتحدي مع ادعاء النبوة في المعجزة، وعدمه -أي عدم التحدي مع ذلك الادعاء- في الكرامة.

بخيت

....

وقولنا «مع عدم المعارضة» احتراز من السحر والشعوذة.........................

سباعي

قوله: (من السحر والشعوذة): إخراج السحر بهذا القيد مبنيٌّ على القول بأن السحر خارق للعادة، وهو قول ابن عرفة وصاحب «المقاصد» وهو ضعيف. وقال القَرافيُّ: سبب غرابة السحر الجهل بأسبابه. وهو الحق، ومشى عليه الشيخ في «الكبرى» فإنه قال: ومن المعتاد السحر ونحوه. وعلى هذا القول يخرج السحر بقوله: «خارق للعادة». وقوله: «الشعوذة» بالذال المعجمة، ويُقال: الشعبذة. قيل: ويقال لها أبو مسلي، لأنها تسلِّي الناس عن أشغالهم. وفي «القاموس»: الشعوذة خفة في اليد وأخذٌ، كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. وظاهره أنه ليس بخارق، لأن خفة اليد من المعتاد. وعلى هذا يخرج بـ«خارق للعادة» ويخرج به ما يتُوصل به إلى الخوارق كالسيمياء والطلسمات والعزائم واستخدام العلويات. فالسيمياء: عبارة عما يُركب من خواص أرضية، كدهنٍ خاص أو مائعات خاصة أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة، وتوجب إدراك الحواس الخمس أو بعضها لحقائق خاصة من المأكولات والمشمومات والملموسات والمبصرات. وجعل القَرافي ذلك قسمًا من السحر، وهو عنده من المعتاد. والطلسمات: نقش أسماءٍ خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهله في أجسام من المعادن أو غيرها، تحدث لها آثار خاصة رُبطت في مجاري العادات، ولا يأتي ذلك من كل أحد، بل من بعض النفوس القوية الضالة لهذه الأعمال المجبولة على ذلك. اهـ. متبولي.

صاوي

قوله: (من السحر والشعوذة): أي فإن كلًّا منهما يمكن معارضته والإتيان بمثله. وما ذكره الشارح من أن السحر خارج بقيد «عدم المعارضة» مبني على القول بأنه خارق للعادة. وقال القرافي: إنه معتاد، وغرابته للجهل بأسبابه، فمن عرف أسبابه وتعاطاها أجاب معه. وعليه فهو خارج بقوله: «خارق للعادة». والشعوذة: هي خفة في اليد تري الشيء على خلاف ما هو عليه، ويقال: شعبذة بالباء أيضًا.

بصيلة

....

بخيت

....

وسيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم وعلى والديه وأولاده وآله وصحبه وأمته قد ادعى أنه رسول الله إلى الإنس والجن، بل للخلق جميعًا، وأظهر المعجزة على دعواه. أما دعواه الرسالة فقد عُلم بالتواتر حتى لا ينكر ذلك مؤمن ولا كافر.

سباعي

قوله: (وعلى والديه): بكسر الدال، فيه ردٌ على من تكلم بغير اللائق في أحواله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (وأولاده): سبعة: القاسم، وإبراهيم، وعبد الله الملقَّب بالطيِّب والطاهر، والإناث أربع: فاطمة، ورقية، وزينب، وأم كلثوم. والذكور ماتوا صغارًا، ولم يعقب من النساء إلا السيدة فاطمة، فكان منها إحياء نسله ﷺ، رضي الله عنها وعن بقيَّة إخوانها وسائر أهل البيت.

صاوي

قوله: (وعلى والديه): الأحسن كسر الدال ليشمل الأجداد. **قوله: (إلى الأنس والجن)**: أي إرسال تكليف.

وقوله: (بل للخلق جميعًا): أي ولكن إرساله للجمادات والحيوانات الغير العاقلة إرسال تشريف، وللملائكة قيل: تكليف. وقيل: تشريف، وللثقلين إرسال تكليف.

بصيلة

(ليشمل الأجداد): أي لأنهم كانوا على ملة ابراهيم، فهم مؤمنون من أهل الجنة، ولا عبرة بقول من قال في أبويه خلاف ذلك، بل الذي اشتُهر أن نوره عليه الصلاة والسلام كان ينتقل من الأصلاب الفاخرة إلى الأرحام الطاهرة، فهذا يدل على أن أبويه وأجداده كانوا على دين حق، أي على ملة ابراهيم عليه السلام.

(بل للخلق جميعًا): أي فبعثته عامة في الزمان والمكان إلى جميع المكلفين، فهو مرسل إليهم، فعموم الإرسال من خصوصياته. **فإن قلت**: إن رسالة نوح عليه السلام بعد الطوفان عامة، إذ لم يسلم من الهلاك إلا من كان معه في السفينة؛ **قلنا**: نعم، غير أنه لم يُرسل إلى الجن. وأما قبل الطوفان فلا دليل على عمومها. وأيضًا تسخير الجن والإنس والطير والريح لسليمان فتسخير سلطنة وملك، لا تسخير

بخيت

....

وأما إظهار المعجزة فلوجهين: أحدهما أنه أظهر كتابًا من عند الله تعالى، وتحدّى به، مع كمال بلاغتهم وقوتهم على معرفة أساليب الكلام، وطلب من إنسهم وجنهم ذلك فلم يقدروا على المعارضة، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] أي معينًا، فتحدى بعشر سور فلم يقدروا، فتحدى بسورة الصادق بأقصر صورة، فلم يقدروا على المعارضة، مع شدة حرصهم على ذلك حتى خاطروا بمهجهم. وأعرضوا عن المعارضة بالحروف إلى المقارعة بالسيوف، ولم يُنقل عن واحد منهم مع توفر

سباعي

قوله: (مع كمال بلاغتهم): الضمير للعرب، وكان منهم الشعراء الحذَّاق، ومع ذلك قام بهم العجز الكلي عن أن يأتوا بمثله، فعُلم بهذا أنه من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. **قوله: (مع شدة حرصهم على ذلك)**: أي على المعارضة. **قوله: (حتى خاطروا... إلخ)**: أي عارضوا بدليل ما بعده.

صاوي

قوله: (الصادق بأقصر سورة): الظاهر أنه منصوب نعت لمحذوف معمول «تحدى» تقديره: التحدي الصادق... إلخ.

بصيلة

نبوة ورسالة. وإيمان بعض الجن بموسى الذي حكاه الله عنهم بقوله ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا ﴾ [الأحقاف: ٣٠] الآية فكان تبرعًا منهم لا بإرسال من الله لهم، فتحصل أن رسالته عامة إلى يوم القيامة، وأيضًا شريعته باقية إليها. اهـ. جراحي.

بخيت

قوله: (مع كمال بلاغتهم): فيه إشارة إلى أن إعجازه لكونه في الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة بحيثُ لا يقدر البشر على مثله، كما ذهب إليه الجمهور. وقيل: إعجازه للأسلوب البديع والتأليف العجيب المخالف لما يعهده فصحاء العرب في كلامهم في المطالع والمقاطع، كما ذهب إليه بعض المتكلمين، أو لمجموع الأمرين كما قاله القاضي، أو لصرف الله إياه عن المعارضة مع القدرة كما ذهب إليه النظَّام، وهو من سخيف الكلام، أو صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها في المعارضة. والراجح الأول كما هو مفصل في محله.

دواعيهم الإتيان بشيء مما يدانيه، بل جعل الكذاب أن يعارضه، فأتي بخرافات مضحكة، أيُّ إنسان سمعها إلا وضحك وعلم أنها هذيان، كما في معارضته لسورة الكوثر بقوله: «إنا أعطيناك العقعق، فصل لربك وازعق، إن شانئك هو الأبلق» وكما في معارضته سورة الفيل بقوله: «الفيل، ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب طويل، ومشفر وتيل».

وما أحسن قول شرف الدين البوصيري في «البردة»:

ردت بلاغتها دعوىٰ معارضها ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم

ثانيهما: أنه نُقل عنه عليه الصلاة والسلام من خوارق العادات ما بلغ القدر المشترك من حد التواتر، وإن كان تفاصيلها آحادًا، كتسبيح الحصىٰ في كفه، وتكليم الجمادات والحيوانات،

سباعي

قوله: (دواعيهم): المراد بالدواعي الأسباب والآلات.

وقوله: (يدانيه): أي يقاربه. **قوله: (الكذاب)**: هو مُسيِّلَمة اللعين. وهذه الخرافات تقشعر منها جلود الصالحين، ولا تلتفت إليها نفوس العارفين.

قوله: (ردت بلاغتها): أي صرفت وأبطلت فصاحتها. **(دعوى معارضها ردَّ الغيور)**: عن نسائه الحرم، فإن كونه غيورًا يقتضي أن لا يسلِّم في ترك الجناة بالتماس النساء، وإن لم يَكُنَّ محارمه،

صاوي

قوله: (مما يدانيه): أي يقرب منه. **قوله: (بل جعل الكذاب)**: أي واسمه مُسيِّلَمة من أرض اليمامة، ادعىٰ النبوة في زمنه ﷺ، وكتب كتابًا وبعثه لرسول الله ﷺ صورته: من عند مُسيِّلَمة رسول الله إلىٰ محمد رسول الله، أما بعد، فإن الأرض بيني وبينك نصفان، لي نصفها ولك نصفها. فأرسل له رسول الله ﷺ يقول له: من عند محمد رسول الله إلىٰ مُسيِّلَمة الكذاب أما بعد: فـ ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

قوله: (رد الغيور): مفعول مطلق لقوله: ردت. والغيور صفة لموصوف محذوف أي الرجل

بصيلة

....

بخيت

قوله: (ما بلغ القدر المشترك... إلخ): أي وهو كافٍ في إثبات المطلوب.

ونبع الماء من الأصابع، وظهور البركة في الأطعمة والأشربة، وغير ذلك مما لا يُحصىٰ كثرة، هذا مع ما كان عليه من حسن الخلق الذي لا يراه أحد إلا ويقطع أنه ليس بكذاب، وإن كان يقع من الضالين العناد وكمال خلقه من تمام الحلم والعلم، مع كونه وُلد في قوم لا يعرفون شيئًا من غير أن يتعاطىٰ أسباب العلم ووفور القوة، مع قلة أكله جدًّا، فيقدم حيثُ يحجم الأبطال، ويقف حيثُ

سباعي

بل يرد أيديهم عنهم بمقتضىٰ طبعه، فكيف لا يرد يدي الجاني عن حُرُمِهِ هو؟! ومما عارض به أيضًا سورة «النازعات» قبَّحه الله: «والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابرات خبْزا»، فافتُضح لا بارك الله فيه.

قوله: (من حسن الخَلْق): بفتح الخاء وسكون اللام، المنظر الحسن والهيئة الجميلة. قوله: (الذي لا يراه أحد... إلخ): فقد رآه بعض الكفَّار، فبمجرد ما نظره قال: لا ينبغي أن يكذب مثل هذا. ونطق بالشهادتين في الحال. قوله: (وكمال خُلُقه): بضم الخاء واللام، أي الطبع الجميل.

قوله: (مع قلة أكله جدًا): يشير إلىٰ قول البُوصيري:

وشدَّ مِن سَغَبٍ أحشاءَهُ وطَوىٰ ... تَحتَ الحِجَارةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأدمِ

وكان عليه الصلاة والسلام يأكل بثلاثة أصابع.

قوله: (حيث يحجم الأبطال): أي فتأخر.

صاوي

الغيور، وهو كثير الغيرة عظيمها. وقوله: (عن الحرم): جمع حرمة أي إن الرجل إذا كان عظيم الغيرة ووجد جانيًا علىٰ حريمه، يدفعه بشدة وقوة، ولو أدىٰ إلىٰ قتله، فآيات القرآن العزيز بلاغتها ردت معارضها كهذا الرد. قوله: (فيقدم حيث تحجم الأبطال): أي يتقدم لقتال الكفار في محل يرجع منه الشجعان ولا يستطيعون الإقبال منه ولا الوقوف فيه.

بصيلة

....

بخيت

....

يفر عند شدة الهول صناديد الرجال، ويثبت على حاله من الدعوى لدى شدائد الأهوال، حتى لم يجد أعداؤه إليه مطعنًا في حال من الأحوال، بل شهد له العدو والحبيب بوفور الكمال والإفضال. كل ذلك نُقل إلينا بالتواتر، فعلمنا ذلك علمًا ضروريًّا، فلا يُعاند في ذلك إلا من استحق من الله تعالى شديد النكال.

وأما نبوة غيره كآدم فمن بعده فقد عُلم بالكتاب والسنة، وأثنى عليهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥] وغير ذلك، فيجب لهم ما يجب له عليه الصلاة والسلام. والبعض قد عينه الكتاب والبعض لم يعينه..............................

سباعي

قوله: (**صناديد**): جمع صنديد، وهو الفارس الشجاع الباسل الذي لا يقدر على دفعه أحد.
قوله: (**لدى شديد الأهوال**): من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الهول الشديد، والإضافة على معنى «من» أي الشديد من الأهوال.

صاوي

قوله: (**صناديد الرجال**): جمع صنديد، وهو الشجاع.

قوله: (**بل شهد له العدو والحبيب... إلخ**): أي وناهيك بما وقع من هرقل لأبي سفيان.

قوله: (**والبعض قد عينه الكتاب**): أي وهو خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر في «الأنعام» في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ [الأنعام: ٨٣] الآيات، والباقي: محمد، وآدم، وصالح، وهود، وشعيب، وإدريس، وذو الكفل كما يأتي.

قوله: (**والبعض لم يعينه**): أي وهو ما عدا هذه الخمسة والعشرين، قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

بصيلة

(**من هرقل لأبي سفيان**): وما اعترف به حال شدة عداوته له من أوصافه السنية وأخلاقه البهية، وكفى بذلك شاهدًا على نبوته.

بخيت

قوله: (**فقد عُلم بالكتاب... إلخ**): لم يستدل كما استدل غيره على نبوة آدم بالآيات الدالة على أنه أمر ونهي، قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾

وقد ثبت بالكتاب والسنة أنه آخر النبيين، فلا تبتدأ نبوة بعده عليه الصلاة والسلام.

سباعي

....

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

[الأعراف: ١٩]، مع القطع بأنه لم يكن في زمانه نبي آخر، فهو بالوحي[١] لا غير **لما أُورد عليه** من أن كلًّا من الأمر والنهي كان قبل البعثة، لأنه كان في الجنة ولا أمر ولا نهي شرعيين هناك[٢]، أو لأنها ليست دار تكليف، **وإن أُجيب عنه** بأنه على تقدير أن تكون حواء أمة له تكون الجنة في حقهما دار تكليف، حيث ترتب على ارتكابهما المنهي عنه ما ترتب عليه؛ لأنه لا يخفى ضعف هذا الجواب على متأمل وإن ارتضاه عبد الحكيم، فافهم.

قوله: (**وقد ثبت بالكتاب والسنة... إلخ**): أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ويلزم من ختمه لهم ختمه للرسل. وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام لعلي ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

وقال أهل البصائر: لما كانت فائدة الشرع دعوة الخلق إلى الحق وإرشادهم إلى مصالح المعاش والمعاد، وإعلامهم الأمور التي تعجز عنها عقولهم، وتقرير الحجج القاطعة، وإزالة الشبه الباطلة، وقد تكفلت هذه الشريعة الغراء بجميع هذه الأمور على الوجه الأتم الأكمل، بحيث لا يُتصور

---

(١) **قوله: (بالوحي)**: أي المقصود منه الإبلاغ، فلا يرد مريم وأم موسى، فإنه وإن أوحي إليهما لكن لم يقصد الإبلاغ. فافهم. اهـ منه.

(٢) **قوله: (ولا أمر ولا نهي.. إلخ)**: من هذا تعلم أن قوله تعالى في حق آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١] غير محمول على العصيان الشرعي لعدم وجود الشرعي، بل هو محمول على العصيان اللغوي، بمعنى مخالفة العبد لسيده لا بمعنى استحقاق الذم والعقاب الأخروي، بدليل حصول المجازاة على تلك المخالفة لآدم في الجنة التي ليست دار عقاب وقبل اليوم الآخر. وبما أوضحنا لك تعلم أن ما أطال به العلماء في هذا الموضوع وألفوا فيه الرسائل من أن العصيان حقيقي أو صوري لا طائل تحته، بل هو خروج عن الحقيقة. فافهم ولا تقلد. اهـ منه.

وقد ضرب الأشياخ لصدق مدعي الرسالة بدليل المعجزة مثالًا يتضح به دلالتها على صدقه، ويُعلم ذلك بالضرورة، فقالوا: مثال ذلك ما إذا قام رجل في مجلس ملك بحضور جماعة وادعى أنه رسول هذا الملك إليهم، فطلبوا منه الحجة على ذلك، فقال: دليلي على صدق قولي أن يغير الملك عادته بأن يقوم من سريره ويقعد ثلاث مرات، والملك يسمع ذلك، ففعل الملك ذلك، فلا شك أنه يحصل للجماعة العلم الضروري أنه صادق في دعواه، ومنزل منزلة قوله: صدق هذا الرجل فيما ادعاه. ولا فرق في حصول العلم بذلك لمن شاهده أو لم يشاهده، ولكن نُقل إليه خبر هذا الفعل بالتواتر.

(والتبليغ)...

سباعي

قوله: (والتبليغ): هذا هو الوصف الثالث، أي ويجب وجوبًا عقليًا في حقِّ الرسل تبلغيهم لجميع ما أتوا به من عند الله تعالى وأرسلوا لتبليغه للعباد. ويجب شرعًا اعتقاد أنهم بلغوه إليهم اعتقاديًا كان أو عمليًا، للإجماع على عصمتهم من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ ولو في قوة

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

عليه مزيد، كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلم يبق حاجة للخلق إلى بعثة نبي بعده، فلذا ختم به النبوة. وأما نزول عيسى ومتابعته[٣] لشريعته، فهو مما يؤكد كونه خاتم النبيين. اهـ.

وفيه نظر، لأنه لا ينفي الحاجة إلى نبي يُبعث لتقرير دينه وإزالة خفاء فيه ودعوة الخلق إليه، وأن الأحكام والشرائع رُوعي فيها مصالح العباد على حسب طبائعهم وأخلاقهم وأوقاتهم وأحوالهم، ولذا جاءت الشرائع ناسخة ومنسوخة، فكمال الشريعة وتمامها بحيثُ لا يُتصور المزيد عليه لا ينفي نسخها باعتبار تبدل الأمزجة والأوقات والأحوال. قاله عبد الحكيم.

قوله: (فلا شك أنه يحصل... إلخ): أي بمقتضى العادة.

---

(٣) قوله: (ومتابعته): وأما إبطاله الجزية فلانتهاء الحكم بانتهاء علته فلا يخل بالمتابعة. اهـ منه.

أي إيصال الأحكام التي أُمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم، إذ هم مأمورون بالتبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، والأمر للوجوب، وقد تقدم أنهم لا يخونون الله تعالى بفعل منهي عنه،..........................

سباعي

الخوف. **قوله: (أي إيصال... إلخ)**: أي الوفاء بما أُمروا بتليغه.

قوله: (﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]): أي وإن لم تبلغ بعض ما أُمرت بتبليغه من الرسالة، فحكمك حكم من لم يُبلغ شيئًا منها، فانظر هذا التخويف العظيم لأشرف خلقه وأكملهم معرفةً به، فكان خوفه على قدر معرفته، ولهذا كان يُسمع لصدره عليه الصلاة والسلام أزيز -أي غليان- كأزيز المِرْجل -بكسر الميم وسكون الراء المهملة- من خوف الله تعالى. وقد شهد له تعالى بكمال التبليغ، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أي الضلال، وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]، والآي في ذلك كثيرة. والمِرْجل: القِدْر المتخَذ من حجرٍ أو نحاسٍ. اهـ. من المصنف بزيادة.

وقوله -أي المصنف- أي «وإن لم تبلغ بعض ما أُمرت... إلخ» أشار به إلى مغايرة الشرط والجزاء، لأن قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ [المائدة: ٦٧]، بمعنى وإن لم تبلِّغ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ﴾ [المائدة: ٦٧] أي وإن لم تبلغ البعض فما بلغت رسالته، أي فحكمك حكم من لم يبلغ شيئًا. وعبارة الواحديِّ: إن كتمت آية مما أُنزل عليك لم تبلغ رسالتي، أي إن من ترك بلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئًا. وعلى هذا فمحل التأويل هو الشرط لا الجزاء. وقد يُقال: ما جعلوه تأويلًا هو ظاهر الآية، لأن ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ [المائدة: ٦٧] في مقابلة العموم الذي فيه ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، لأن «ما» موصولة

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

....

سباعي

للعموم، أي كلُّ ما أنزل إليك، وعليها ينصب النفي، فتكون لنفي العموم والشمول، وهو سلب جزئي، أي وإن لم تبلغ الكل بأن بلغت البعض فما بلغت رسالته، وأولى إذا لم يبلغ شيئًا أصلًا، وهذا ظاهر اللفظ لا تأويل فيه.

فإن قلتَ: إذا كان النفي للبعض كيف يصدق ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] مع أنه قد بلغ البعض بل الأكثر؟ **فالجواب**: أن الرسالة عبارة عن الكمال، والفرد إذا أُطلق إنما ينصرف للكامل، والإضافة تأتي لما تأتي له «أل» فتُحمل على الاستغراق، أي فما بلغت جميع أفراد رسالته، أو فما بلَّغت رسالته بكمالها وتمامها، وحينئذ فلا تأويل في الشرط ولا في الجزاء. قال سيدي عيسى: وهذا شيءٌ خفي على فحول المصنفين منَّ الله سبحانه وتعالى به، فلا تكن ممن يعرف الحق بالرجال. اهـ.

قيل: وقد يُقال: تأويل المصنف بالنسبة للجزاء، لأن قوله: «فحكمك حكم من لم يبلِّغ شيئًا» تأويل للكلام، لأنه نزَّل من لم يبلغ البعض منزلة من لم يبلغ الكل. اهـ. وقد يُقال: إن المصنف ظاهر كلامه أن التأويل بالنسبة للشرط والجزاء معًا، لأنه قال: «أي وإن لم تبلغ بعض... إلخ» وبعضهم جعل التأويل بالنسبة للجزاء، وجعله من إقامة السبب -أي الكتمان- مقام المسبَّب -أي العقاب- أي وإن لم تبلِّغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها، فعبَّر بالسبب عن المسبب مجازًا، ومنشأ الاحتياج إلى التأويل توهم اتحاد الشرط والجزاء، أي إن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة، وقد عرفت عدم اتحادهما.

تنبيهات: الأول: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] ناداه بأشرف الصفات البشرية. **الثاني**: لا بد في الرسالة من ثلاثة أمور: المرسِل، والرسول، والمرسَل إليه، ولكل منهم شأن، فللمرسِل

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

وما ثبت له عليه الصلاة والسلام يثبت لهم، وقال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾، ولا يتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ.

(**والفطانة**) بفتح الفاء، وهي حدة العقل وذكاؤه، فلا يجوز أن يكون الرسول ولا النبي مغفلًا

سباعي

الإرسال، وللرسول التبليغ، وللمرسَل إليه القبول والتسليم. **الثالث**: التبليغ على نوعين: **أحدهما** وهو الأصل أن يبلغه بعينه، وهو خاص بالقرآن؛ **ثانيهما** أن يبلغ ما يستنبط من أصول ما تقدَّم إنزاله، فينزل عليه موافقة ما استنبطه إما بنصه وإما بما يدل على موافقته. **الرابع**: ما ذكر -أعني الصدق والأمانة والتبليغ- لا يغني منها أحد عن الآخر، لأن بينهما عمومًا وخصوصًا من وجه، وما ذلك شأنه لا يغني بعضه عن بعض، فتشترك الثلاثة في نفي تبديل شيء مما أُمروا بتبليغه أو تغيير معناه عمدًا، لأنه كذب وخيانة وكتمان لما أُمروا بتبليغه مع نسبته إلى الله تعالى؛ ويشترك الأول والثاني في نفي زيادة شيء عمدًا من عند أنفسهم فيما أُمروا بتبلغيه مع نسبته إلى الله تعالى؛ ويشترك الثاني والثالث في نفي كتمان شيء من المأمور بتبليغه عمدًا؛ ويشترك الأول والثالث في نفي تبديل شيء مما أُمروا بتبليغه نسيانًا. وينفرد الأول بامتناع الكذب نسيانًا في غير المأمور بتبليغه، وينفرد الثاني بامتناع معصية غير الكذب في التبليغ، وينفرد الثالث بامتناع كتمان بعض الشيء مما أُمروا بتبليغه نسيانًا من غير تبديل ولا إخلال فيما بلغوه.

قوله: (﴿مُبَشِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]): أي للطائع بالثواب، و﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣] للعاصي بالعقاب. **قوله**: (**وهي حدة العقل**): أي والمراد التفطُّن والتيقُّظ لإلزام الخصوم وإحجاجهم، وطرق إبطال دعاويهم الباطلة. والتفطُّن والذكاء إدراك الأمور الدقيقة، وهو أخص من الفهم. قال الشيخ عبد السلام اللقاني: والظاهر اختصاص هذا الواجب بالرسل. واستدل أيضًا بقوله

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

أو أبله أو بليدًا، لأنهم أُرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبهة المجادلين، ولا يكون ذلك من مغفل ولا أبله، ولأنا مأمورون بالاقتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدىٰ به لا يكون بليدًا، ولأن البلادة صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف.

ومن ذلك يُعلم أنهم لا يكونون إلا من أشرف الناس رجالًا ونساءً، إذ شأن دنيء الأصول

سباعي

تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣] وبقوله: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ [هود: ٣٢] وبقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. اهـ. لكن الظاهر خلافه، وأنه عامٌّ في الرسول والنبي كما أشار له الشارح بقوله: «فلا يجوز أن يكون الرسول ولا النبيّ مغفلًا... إلخ» إذ الأنبياء وإن لم يكونوا رُسلًا لأحد، لكن عندهم من الفطانة والذكاء ما يرُدُّونَ به الخصم ويفحمونه علىٰ تقدير وقوع جدال منهم، كما هو اللائق بمنصب النبوَّة، إلا أن يُقال: إن المشترط في النبوة مطلَق الفِطنة، بخلاف الرسالة. ويؤخذ من كلامهم أن عطف الذكاء علىٰ الحِدَّة من عطف الخاص علىٰ العام.

قوله: **(أو بليدًا)**: عطف علىٰ المغفل من عطف المغاير، إذ المغفل هو الذي تدخل عليه الأمور الخفيَّة، كالشبه المزخرفة، لكن إذا نبهته تنبَّه. وأما البليد فهو الذي لا يفهم المسألة إلا بعُسر، والأبله مرادف للمغفل. قوله: **(لأنهم... إلخ)**: علَّة النفي والمنفي معًا، فافهم. قوله: **(وإبطال)**: معطوفٌ علىٰ إقامة. والشبه جمع شبهة وهي الكلام المزخرف، أي المزيَّن الظاهر الفاسد الباطل. قوله: **(ولا يكون ذلك)**: أي إقامة الحجج. قوله: **(ولأنا... إلخ)**: معطوفٌ علىٰ قوله: لأنهم... إلخ، وكذا قوله: ولأن البلادة... إلخ.

قوله: **(إذ شأن دنيِء الأصول)**: أي لأن شأن دنيِء الأصول، فإذ تعليلية. ومثَّله السعدُ بعُهرِ

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

أن تأنف النفس من اتباعه والاقتداء به، ولذا كانوا منزهين عن كل ما يخل بالمروءة وكل ما يؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية عليهم صلوات الله وسلامه.

(**ويستحيل**) في حقهم عليهم السلام (**ضدها**) أي ضد هذه الواجبات الأربعة المتقدمة (**عليهم**) فيمتنع في حقهم الخيانة بفعل منهي عنه،......................................

سباعي

الأمهات، والفجور، بأن تكون أم الإنسان عاهرًا، أي بأن تمكن من نفسها مَن طلب منها فاحشةً، أو كان أحد أصوله الذكور فاجرًا. **قوله: (ولذا كانوا... إلخ)**: هذه الواو تُكتب حمراء لأنها من المتن، والواو في قوله: «ويستحيل» زائدة، فالمناسب للسبك حذفها.

قوله: (ويستحيل ضدها عليهم): هذا شروع في بيان ثاني أقسام الحكم العقلي مما يتعلق بالرسل، وهو ما يستحيل عليهم عقلًا. وضمير «ضدها» عائد على الواجبات الأربعة المتقدمة كما فسره الشارح، يعني أنه يستحيل عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أضداد تلك الصفات الواجبة لهم عقلًا، فلا يُتصور العقل تحويم طائر شيء منها حول ساحة شرفهم الكريم ومنصبهم العظيم.

واعلم أنهم معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها بالإجماع عند من يُعتد به في الإجماع. وقد عيَّرت الأمم أنبياءها بما قدروا عليه، فلم يرموهم بشيءٍ منه مطلقًا، وما ذاك إلا لأنهم لم يجدوا إليه سبيلًا، ولو كان لنُقل بيقين، وإلا لما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة حيث قالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]. وفيه نظر، إذ لا يدل إلا على عدم الوقوع لا على امتناعه الذي هو محل النزاع. وأما الكبائر غير الكفر، ومنها اللسانية والجنانية، فقد أجمع الناس

صاوي

قوله: (ضدها): المراد بالضد: مطلق المنافي، وذلك لأن الكذب عدم مطابقة الخبر للواقع، والخيانة فعل المحرمات والمكروهات، والكتمان عدم الوفاء بما أُمروا بتبليغه للخلق، وحينئذ فالتقابل بين الصدق والكذب تقابل الشيء والمساوي لنقيضه. وأما بين الأمانة والخيانة، فتقابل الضدين،

بصيلة

....

بخيت

....

إذ أفعالهم لا تخلو عن الواجب والمندوب والمباح، وهذا بالنظر إلى الفعل في حد ذاته. وأما لو نُظر إليه بحسب عوارضه فالحق أن أفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب لا غير. وأما المباح فلا يقع منهم كما يقع من غيرهم، بل لا يقع منهم إلا مصاحبًا لنية تصرفه إلى كونه مطلوبًا.........

سباعي

على امتناع صدورها عنهم عمدًا بعد البعثة. وإنما اختلفوا في دليل امتناعها، فقيل: السمع، وهو الراجح عند الجمهور من المحققين وإليه ذهب القاضي أبو بكر. وقيل: العقل. وهو قول الكافة وإليه ذهب الأستاذ أبو إسحاق، وبه جزم اللقاني في جوهرته حيث عدَّ الخيانة من المستحيلات العقلية. وأما الصغائر عمدًا فقد جوَّزها عليهم جماعة من السلف وغيرهم، كإمام الحرمين منَّا، وأبي هاشم من المعتزلة، وإليه ذهب أبو جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين. ومنعها المحققون من الفقهاء والمتكلمين، وبه جزم في «الجوهرة». وعليه فهم معصومون من الصغائر عمدًا كعصمتهم من الكبائر، وهو الحق الذي ينبغي المصير إليه والتعويل عليه. وذهبت طائفة إلى الوقف فقالوا: العقل لا يُحيلُ وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين.

قال المحققون: ويجب على جميع الأقوال أن لا يُختلف في أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها بحيث تصل إلى حد لحوقها بالكبائر. كما أن محل الخِلاف غير صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة وإسقاط المروءة، وألحقت بفاعلها الإزراء والخِسَّة، كسرقة لقمة وتطفيفٍ بحبَّةٍ، لقيام الإجماع على عصمتهم من مثلها. وانظر حُجَّة كل من المجوِّزين والمانعين في المطولات.

قوله: (وهذا): أي وقوع المباح منهم. قوله: (بل لا يقع... إلخ): أي بخلاف غيرهم، فإنه يقع منه بمقتضى الشهوة، كالتشوق للحم الضأن أو كسوة حسنة مثلًا.

صاوي

لأنه فسر الخيانة بالفعل وهو وجودي. وأما بين التبليغ والكتمان، فتقابل الشيء والمساوي لنقيضه، وكذا بين الفطانة والبلادة. قوله: (بفعل منهي عنه): الباء للتصوير.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (إذ أفعالهم لا تخلو... إلخ): وقد يقع منهم المكروه تشريعًا كما صرحوا به.

وأقله قصد التشريع للغير وذلك من باب التعليم، وناهيك به مرتبة، وإذا كان بعض تابعيهم كالأولياء لا تخلو أفعاله من الواجب والمندوب بصرف المباحات بالنية الصالحة إلى المندوبات، كأن يصرف الأكل للتقوي على العبادة وإقامة البنية، والجماع لصون النفس عن الحرام وللنسل المطلوب، وغير ذلك، فكيف بهؤلاء السادة الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وكذا يستحيل عليهم الكذب لما مر، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

وكذا يستحيل عليهم كتمان شيء مما أُمروا بتبليغه، إذ كيف يقع منهم الكتمان وهو ملعون

سباعي

قوله: (وللنسل المطلوب): إشارة إلى خبر «تناكحوا تناسلوا» الحديث. **قوله: (وغير ذلك)**: كالنوم لراحة البدن ليتقوى على الطاعة. **قوله: (لما مرَّ)**: أي من لزوم الكذب في خبره تعالى. قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] الأقاويل: الأكاذيب، أي الأقوال الكاذبة. وقوله: (﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]): المراد منه هنا الهلاك، وقوله: (﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]): لازم لما قبله، لأنه يلزم من الهلاك قطع الوتين، عِرق بالقفا.

قوله: (كتمان شيءٍ): أي سهوًا. وأما عمدًا فيُؤخذ من الأمانة.

صاوي

قوله: (لما مر): أي من الدليل العقلي. وقوله: **(ولقوله تعالى... إلخ)**: هذا هو الدليل النقلي.

بصيلة

قول الشارح: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] أي بأن قال عنا ما لم نقله له ﴿لَأَخَذْنَا﴾ نلنا ﴿مِنْهُ﴾ عقابًا ﴿بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة والقدرة ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦] وهو عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] أي مانعين. وضمير «عنه» للنبي ﷺ، أي لا مانع لنا عنه من حيثُ العقابُ، ولكنا لم نأخذ منه باليمين... إلخ، فلم يتقول. وما ثبت له يثبت لإخوانه الأنبياء عليهم السلام.

بخيت

قوله: (﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ [الحاقة: ٤٤]... إلخ): لكنا لم نأخذ منه باليمين، ولم نقطع منه الوتين، فلم يتقول. وما ثبت له يثبت لبقية إخوانه الأنبياء عليهم السلام، فافهم.

صاحبه بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٥٩] الآية. وأما ما لم يؤمروا بتبليغه فبعضه يخيرون في تبليغه، وهو ما لم يؤمروا بعدم تبليغه، وبعضه يجب كتمانه وهو ما أُمروا بكتمانه، كبعض الأسرار الإلهية. وبعض هذا القسم أُذن لهم في إيصاله لبعض الأفراد كالخلفاء الأربعة وكأبي هريرة ﷺ، وهذه الأسرار هي المتداولة بين الأولياء.

وكذا يستحيل عليهم البلاهة والغفلة والبلادة.

(وجائز) عليهم ....

سباعي

قوله: (وبعض هذا القسم): أي الذي لم يُؤمروا بعدم تبليغه. **قوله: (وكذا يستحيل عليهم البلاهة... إلخ)**: وكذا يستحيل عليهم الجنون والجُذام والبَرَص والعنة والاعتراض. **فإن قلتَ**: إن الواجبات والمستحيلات التي ذكرها المؤلف عامة في الرسل والأنبياء، فلِمَ خصَّ الرسل؟ فالجواب: أن الرسل هم الذين يبلغون عن الله الأحكام، وهم الذين دلَّت المعجزة على صدقهم لتحديهم بها، وأمروا الخلق باتباعهم، وهم أخبرونا بعصمة الأنبياء والملائكة، كما أخبرونا عن المعاد والقرون الماضية، وما بقي من أركان الإيمان مندرج تحت الإيمان بالرسل، كالإيمان بالملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر والقدَر.

قوله: (وجائز... إلخ): شروع في بيان ثالث أقسام الحكم العقلي مما يتعلق بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو الجائز العقلي، وهو ما لم يجب عند العقل ثبوته لهم ولا نفيه عنهم

صاوي

قوله: (وبعض هذا القسم أذن لهم في إيصاله... إلخ): وبعض العلماء يجعل هذا من القسم المخير فيه، فتكون الأقسام ثلاثة: ما أُمروا بتبليغه لم يكتموا منه حرفًا، وما أُمروا بكتمانه لم يبلغوا منه حرفًا، وما خُيروا فيه بلغوا البعض، وكتموا البعض، وما بلغوه منه هو الأسرار الإلهية السارية في الأولياء، وهذا هو الظاهر.

بصيلة

....

بخيت

....

كل عرض بشري لا يؤدي إلىٰ نقص في مراتبهم العلية، بأن لا يكون منهيًا عنه ولا مباحًا مزريًا، ولا مرضًا مزمنًا أو تعافه النفس كالجذام والبرص، سواء كان مما لا يُستغنىٰ عنه كأكل الفواكه والنكاح أو كان من الأمراض غير المزمنة وغير المنفرة، فكل ذلك جائز (في حقهم) عليهم الصلاة والسلام. ولا تخلو هذه الأعراض النازلة بهم من فوائد: كتعظيم أجورهم وعلو مراتبهم عند الله

سباعي

ليصح عنده وجوده لهم وعدمه. **قوله**: (كل عرَضٍ... إلخ): احترز بالعرَض من وصفهم بصفة الألوهية، كالنصارىٰ في عيسىٰ ﷺ. **وقوله**: (بشري): احترز به من وصفهم بالملَكية كما تزعم جهلة العرب، فإنهم منعوا وصفهم بأوصاف البشر وقالوا: لا يكونون إلا ملائكة.

قوله: (لا يؤدي إلى نقص): احترز به عمَّن يصفهم من جهلة المؤرخين والمحدثين واليهود بالنقائص والمخالفة أخذًا بظاهر الكتاب والسنة، كنسبة الكذب إلىٰ إبراهيم، وما يذكرونه في قصة داود في ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ [ص: ٢٣]. الآية، وكما يذكرونه في قصة أيوب ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] إلىٰ غير ذلك مما هو مبسوطٌ في المطوَّلات، وهذا القَيد مُخْرِج لجميع النقائص. **قوله**: (بأن لا يكون... إلخ): تصوير لقوله: لايؤدي... إلخ.

قوله: (أو تعافه النفس): عطفه علىٰ ما قبله عطف تفسير. **وقوله**: (كالجذام): راجع لقوله: «مزمنًا». **وقوله**: (والبرص): راجع لقوله: «أو تعافه النفس».

قوله: (سواء كان): أي الجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

قوله: (والنكاح): أي ونكاحهم لنسائهم علىٰ الوجه الشرعي لا في حيض أو إحرام أو اعتكاف أو نِفَاس أو صوم واجب.

صاوي

قوله: (والنكاح): المراد به الجماع في الحل أعم من أن يكون بعقد أو ملك يمين، لكن يُقيد العقد بالمسلمات الحرائر.

بصيلة

....

بخيت

....

تعالى، والله تعالى وإن كان قادرًا على أن يفعل بهم ذلك من غير ابتلاء ومشقة تحصل لهم إلا أن حكمته تعالى اقتضت ترتب ذلك على الابتلاء ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وكالتشريع، كما عرفنا أحكام السهو في الصلاة من سهوه ﷺ، وكيف تؤدى الصلاة في حال المرض والخوف من فعله عليه الصلاة والسلام حال ما ذُكر. ودلالة الفعل أقوى من دلالة القول.

وكالتسلي بأحوالهم إذا نزل بنا ما نزل بهم.

وكالتنبيه على حقارة الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء».

فإذا نظر العاقل في أحوالهم عليهم الصلاة والسلام من أمراض وأسقام وقلة مال وأذية الخلق لهم، علم أنها لا قدر لها عند الله تعالى، فأعرض عنها بقلبه بالكلية، وعلق قلبه بربه في البكرة والعشية، إن كان ذا همة علية، حتى يرى إثر موته عاقبة هذه العيشة المرضية.

سباعي

قوله: (أن يفعل بهم ذلك): اسم الإشارة عائدٌ على تعظيم الأجور، وكذا في قوله: ترتب ذلك. **قوله: (وكالتشريع)**: معطوف على قوله: كتعظيم أجورهم.

قوله: (من سهوه): فيه تلويح لحديث ذي اليدين. **قوله: (وكالتسلي... إلخ)**: معطوف أيضًا على قوله: «كتعظيم أجورهم» وكذا قوله: «وكالتنبيه... إلخ».

قوله: (علم أنها... إلخ): ترقٍ في التنبيه على خستها. **وقوله: (فأعرض)**: تفريع على جواب

صاوي

قوله: (وكالتسلي): أي التصبر وعدم الحزن على فقد الدنيا، فإذا حصل لك فقر مثلًا أو مرض، تسلى بما وقع للأنبياء قبلك. **قوله: (وخسة قدرها)**: أي لأن حلالها حساب، وحرامها عقاب.

قوله: (جرعة ماء): بضم الجيم وفتحها، والمعنى لو كان للدنيا قيمة قليلة توازن جناح بعوضة فضلًا عن كونها كثيرة ما سقى... إلخ. **قوله: (العيشة المرضية)**: مفعول ثان لـ«يرى»، والأول قوله:

بصيلة

....

بخيت

....

ودخل في قولنا «المباح المزري» سؤالُ الصدقة بل قبولها، فلا يجوز عليهم، والأكلُ في السوق. ودخل في «المرض المزمن» العمىٰ والجنون ولو قل، لأن شأنه أن يزمن، ولأنه نقص. ولم يعم نبي قط، وما قيل إن شعيبًا عليه السلام كان ضريرًا لا أصل له، ويعقوب إنما حصلت له غشاوة وزالت.

وأما السهو فيجوز في الأفعال كالسلام من ركعتين دون الأقوال. وأما نسيان الأحكام فلا يجوز عليهم قبل التبليغ، ويجوز بعده لحفظه بعده، ولوجوب ضبطه علىٰ المبلغ ليعمل به وليبلغه،

سباعي

قوله: إذا نظر... إلخ. قوله: (**وماقيل: إن شعيبًا... إلخ**): هذا من كلام اليهود وهو باطل كما قال. قوله: (**ويعقوب إنما حصلت له غشاوة**): أي ضعف بصر لا عمىٰ حقيقةً، خلافًا للزمخشريِّ، ولعل شبهته والله أعلم قوله تعالىٰ: ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾[يوسف: ٩٦]، لأن البصر يُضاد العمىٰ. والجواب: أن المراد أزال ما كان يرىٰ بعينه من الماء المترقرق حال البكاء.

قوله: (**دون الأقوال**): أي الأخبار البلاغية، أي الأحكام التي يبلغونها عن الله، مثل عذاب القبر حقٌّ ونعيمه حقٌّ، ومثله الغلط، وأولىٰ القصد والعمد، وغير البلاغية كالأقوال الدينية الإنشائية، فالمراد بالأقوال ما يعمُّها. قوله: (**ويجوز بعده**): ثم يجوز أن يتذكروا ذلك بتذكير الله إياهم بلا واسطة، وأن يُذكَّروا من أممهم إلا ما قضىٰ الله تعالىٰ بنسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره، فيجوز أن ينساه النبي ﷺ جملةً. عدوي علىٰ اللقاني رحمهما الله. وأما قبله فينساه ثم يتذكره قبل أن يُنقل عنه شرع. وقيل: يتذكره قبل موته. وممن صرَّح بجواز النسيان في حقهم النووي. والفرق بين السهو والنسيان أن السهو زوال الصورة من القوة المدِركة لا من القوة الحافظة، والنسيان زواله منهما معًا.

قوله: (**ليعمل به**): متعلق بقوله: ولوجوب ضبطه.

صاوي

«عاقبة هذه». **قوله: (وزالت)**: أي حين جاءه البشير بقميص يوسف، كما أخبر الله تعالىٰ بقوله: ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾ [يوسف: ٩٦].

بصيلة

....

بخيت

....

ويجوز نسيان المنسوخ مطلقًا قبل التبليغ وبعده.

واعلم أن ما جاز عليهم من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية فإنما هو بحسب ظواهرهم فقط، وأما بواطنهم فهي معمورة بالأسرار الإلهية متعلقة بحب خالق البرية، فلا يحصل منهم ضجر ولا شكوىٰ ولا تأوه منها، بل لا يزيدهم منها الا قربًا وحبًّا، بل هذه الحالة تكون في كثير من أمتهم، فكيف بهم عليهم الصلاة والسلام.

ولما أوجبت المعتزلة إرسال الرسل بناءً على قاعدتهم من وجوب الصلاح عليه تعالىٰ. والأصلح في حق عبيده أن يرسل إليهم الرسل لينبهوهم على ما ينجيهم من المهالك وما يوبقهم فيها، وأحالة السَّمْنِيَّة والبراهمة نظرًا إلى أنه عبث لكون العقل كافيًا عنه، أشار إلى الرد عليهم بقوله

سباعي

قوله: (بالأسرار الإلهية): أي التي لا يعلم قدرها إلا الذي منَّ عليهم بها، فلا يخلو المرض ونحوه بقلامة ظفر منها، ولا يكدِّر شيئًا صفوها.

تتمة: قال الشيخ أبو حامد الغزالي: لا يجوز على الأنبياء الإغماء الطويل الزمن. وجزم به البلقيني، وتبعه السبكي على أن الإغماء الذي يحصل لهم ليس كالإغماء الذي يحصل لغيرهم، وإنما هو غلبة الأوجاع للحواس الظاهرة فقط دون القلب. قال: لأنه قد ورد أنه إنما تنام أعينهم دون قلوبهم، فإذا حُفظتْ وعُصمتْ من النوم فمن الإغماء أولى. قال: والأشهر امتناع الاحتلام عليهم كما قاله النووي، أي يمتنع عليهم المَنيُّ في المنام، لأنه من الشيطان، وهو لا سلاطة له عليهم. اهـ. متبولي.

قوله: (السَّمْنِيَّة): بفتح السين المهملة وسكون الميم وكسر النون وتشديد الياء المثنَّاة من تحت، نسبة إلى سَمْن، ويقال له سومان. والبراهمة جمعٌ من الهند أصحاب برهام.

صاوي

قوله: (والبراهمة): نسبة لبرهام كبيرهم. قوله: (نظرًا إلى أنه عبث... إلخ): أي فهو بناء على أصلهم الفاسد من التحسين والتقبيح العقليين. قوله: (أشار للرد عليهم): أي الفرق الثلاث، وكذا

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وأحاله السَّمْنِيَّة والبراهمة): أي أكثر البراهمة، وبعضهم قال بنبوة آدم ﷺ فقط. وقال

(إرسالهم..

سباعي

والحاصل أن السَّمَنِيَّة أحالت على الله تعالى إرسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن أرسله، ولا طريق إليه إلا الخبر، وأعلى أنواعه المتواتر، وهو لا يفيد عندهم علمًا، وأن البراهمة زعمت أنه عبث لا يليق بالحكيم لإغناء العقل عن الرسل، لأن ما جاء به الرسول إن كان موافقًا للعقل حسنًا عنده فهو يفعله وإن لم يأت به؛ وإن كان مخالفًا له قبيحًا عنده فهو يتركه ولا يقبله؛ وإن لم يكن عنده حسنًا ولا قبيحًا، فإن احتاج له فعله، وإلا تركه.

قوله: (إرسالهم): أي الرسل من البشر إلى الخلق من الثقلين من آدم إلى محمد ﷺ بإدخال المبدأ والغاية ليبلِّغونهم أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ويبينون لهم عنه سبحانه وتعالى ما يحتاجون له من أمور الدنيا والدين مما جاؤوا به من شرائعهم وأحكامهم التي أنزلها الله عز وجل في كتبه عليهم اختصاصًا كالقرآن، واشتراكًا كالتوراة لموسى وهارون ويوشع، حتى تقوم الحُجَّة عليهم بالبينة، إذ قد خلق تعالى الجنة والنار، وأعدَّ فيهما من الثواب والعقاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وتفاصيل أحوالها وطريق الوصول إلى الأول والاحتراز عن الثاني مما لا يستقل

صاوي

على الفلاسفة القائلين: إن الرسل موجودون بالعلة والطبيعة، لكن السَّمَنِيَّة والبراهمة والفلاسفة كفار، والمعتزلة فساق.

بصيلة

....

بخيت

الصابئية بنبوة شيث وإدريس فقط. وبعض اليهود ينكر نبوة غير موسى، وجمهور اليهود والمجوس والنصارى نبوة نبينا محمد ﷺ، وبعض النصارى وبعض اليهود ينكرون رسالته إلى غير العرب، وهو خلاف النص حيث قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]. وما قيل: إن الاحتياج إلى النبي ﷺ كان مختصًا بالعرب لفشو الشرك فيهم دون أهل الكتاب فاسد، لأنهم لاختلال دينهم بالنسخ والتحريف كانوا في ضلال مبين.

تفضل) وإحسان من الله تعالى (ورحمة) منه (للعالمين) وليس بواجب عليه، لما علمت أنه الفاعل

سباعي

به العقل، كما يشير اليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] أي ولا مثيبين، مع ما في ذلك من قطع التعليلات المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤] فلم يترك سبحانه للعبد سببًا للاعتذار يتمسك به، ولم يعاقِب إلا بعد حجة.

وهذا هو الإعذار، ولولاه لتوَّهموا أن لهم عذرًا وحجة، وذلك من أوجه ثلاثة: أحدها: أن يقولوا: إن الله تعالى إنما خلقنا لنعبده، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فكان يجب عليه أن يبيِّن لنا العبادة التي يريدها منَّا ما هي؟ وكم هي؟ وكيف هي؟ لأن الطاعة وإن وجب أصلها بحكم العقل، لكن كيفيتها وكميتها غير معلومة لنا.

ثانيها: أن يقولوا: إنك يا ربنا قد ركَّبتنا في هياكل تقبل السهو والغفلة، وسلطت علينا الشيطان والشهوة والهوىٰ، فهلَّا أيدتنا بمن إذا سهونا نبَّهنا، وإذا مال بنا الهوىٰ منعنا، فلِم تركتنا مع نفوسنا وأهوائنا؟! كأن ذلك منك إغراء على تلك القبائح لنا.

ثالثها: أن يقولوا: يا ربنا هبْ أنَّا نعلم بعقولنا حُسن الإيمان وقُبح الكفر، لكنا لم يصل إدراك عقولنا إلى أن مَن فعل القبيح عُذِّب خالدًا مخلدًا، لا سيَّما ونحن نعلم أن لنا في الفعل القبيح لذَّة، وليس عليك فيه مضرَّة، ولم نعلم أن من آمن وعمل صالحًا استحق الثواب، لا سيما وقد كنَّا علمنا أنه لا منفعة لك في شيء، فلا جرم اقتحمنا، وعلى شهواتنا أقدمنا.

قوله: (تفضل... إلخ): أي فلو كلَّف الخلق فأثابهم أو عاقبهم من غير إرسال لكانت إثابته

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....



السمعيات

المختار الذي لا حرج عليه و﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾[الأنبياء: ٢٣]، ولا بمستحيل لأن العقل إذا خُلِّي ونفسه قد يغفل عن أكثر الأحوال المناسبة له في معاشه، فكيف بدقائق الشرائع والسمعيات التي لا تُتلقى إلا من الصادق (**جل مولي**) بضم الميم وكسر اللام أي معطي (**النعمة**) التي من أجلها إرسال الرسل إلينا، فله الحمد على ذلك وعلى كل حال.

ولما كانت مباحث هذا الفن ثلاثة: إلهيات ونبوات وسمعيات، وقد تقدم الكلام على بيان الأولين، شرع في الثالث وهو السمعيات، فقال: (**يلزم**) أي يجب على المكلفين (**الإيمان**) أي التصديق (**بالحساب**)..

سباعي

إياهم محض الفضل، وكان عقابه إياهم محض العدل فيهم، فإنه سبحانه وتعالى منزَّه عن البخل والسفَه والعبث والظلم والجُور كما يشير إليه قول العلَّامة:

فإن يُثِبْنَا فبمحضِ الفضل وإن يُعذِّب فبمحضِ العدْلِ

تتمَّة: في إرسال الرسل تقوية للعقل فيما يستقل بمعرفته، كوجود الباري تعالى وعلمه وقدرته، واستفادة الحكم من الرسل فيما لا يستقل العقل بمعرفته، كمباحث الكلام والرؤية والمعاد الجسماني وتعليم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص، والسياسات الشاملة العائدة إلى الجماعات من المنازل والمدن، وغير ذلك من الثمرات والفوائد والغايات الراجعة للإرسال حسب ما جرت به العوائد. **قوله: (السمعيات)**: أي التي لا تُعرف إلا من السمع وليس للعقل فيها مجال.

قوله: (ويلزم الإيمان بالحساب): يعني أن الحساب ثابت بالعقل والنقل والكتاب والسنة

صاوي

قوله: (فله الحمد على ذلك): أي على إرسال الرسل لنا ولم يدعنا كالبهائم هملًا.

قوله: (أي يجب على المكلفين): أي وجوب الأصول من أنكره كفر، لثبوته كتابًا وسنةً

بصيلة

....

بخيت

قوله: (الإيمان بالحساب): لظواهر النصوص المتكثرة المشعرة به، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[البقرة: ٢٠٢]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨]،

وهو لغة: العد. واصطلاحًا: توقيف الله عباده في المحشر على أعمالهم فعلًا أو قولًا أو اعتقادًا تفصيلًا، بأن يكلمهم الله تعالى بكلام قديم ليس بحرف ولا صوت، بأن يزيل عنهم الحجاب

سباعي

والإجماع، وهو مصدر حاسب قياسًا، وحسب الشيء يحسُبه بالضم إذا عدَّه سماعًا، وعليه اعتمد من قال كالشارح: هو لغة: العد. واصطلاحًا: توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشَر.

قوله: (توقيف): أي تعليم، أي إنه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم. قال فخر الدين: بأن يخلق الله سبحانه وتعالى في قلوبهم علومًا ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب. **قوله: (على أعمالهم)**: مرتبط بقوله: توقيف الله عباده... إلخ. **قوله: (تفصيلًا)**: حال من «توقيف».

قوله: (بأن يكلمهم... إلخ): يقتضي بظاهره أنه تصوير لقوله: «توقيف الله... إلخ» وليس

صاوي

وإجماعًا، فالكتاب قال تعالى: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] وغير ذلك من الآيات. والسنة: قال عليه الصلاة والسلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» وغير ذلك من الأحاديث. وأجمع المسلمون عليه. والمراد بالمكلفين ما يشمل الجن، لأن لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

قوله: (في المحشر): بفتح الشين وكسرها.

بصيلة

(﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]): قال الجلال الدواني: الحكمة في الحساب مع أن الله عالم بتفاصيل أعمال العباد أن تظهر فضائل المتقين ومناقبهم، وفضائح العصاة ومثالبهم على أهل العَرَصات تتميمًا لمسرة الأولين وحسرة الآخرين. اهـ. ثم إن الحساب يختلف، فمنه اليسير والسر والفضل للمؤمنين، والعسر والجهر والعدل للكافرين على التفاوت في كل بحسب أعماله، فما يقتضيه ظاهر كلام الشارح من اليسير والعسير وما عطف عليه لكل من المؤمنين والكافرين فليس بمراد. وأما الأطفال والبُلْه والمجانين، فقال العلامة اللقاني: لم أقف على نص صريح في حسابهم. وهو ثابت

بخيت

وقال ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا» إلى غير ذلك.

والحكمة في الحساب مع أن الله عالم بتفاصيل أعمال العباد أن تظهر فضائل المتقين ومناقبهم، وفضائح العصاة ومثالبهم على أهل العَرَصات تتميمًا لمسرة الأولين وحسرة الآخرين.

حتى يسمعوه أو بصوت يخلقه الله تعالى يدل عليه، وقد يكون من الملائكة فقط، وقد يكون منه تعالى ومن الملائكة جميعًا.

وكيفيته مختلفة فمنه اليسير ومنه العسير، والسر والجهر، والفضل والعدل، على حسب الأعمال، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ويكون للمؤمنين والكافرين إنس وجنٍّ بعد أخذهم الكتب لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩] الآية.

سباعي

كذلك، بل هو إشارة إلى قول ثانٍ، وتوضيحه أن الله تعالى يكلم عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب. قال الفخر: إما بأن يسمعوا كلامه القديم، أو بأن يسمعوا صوتًا يدل عليه يتولى تعالى خلقه في أُذُن كل واحد من المكلَّفين أو في محل يقرب من أذنه، بحيث لا تبلغ قوة ذلك الصوت منع الغير من سماع ما كُلِّف به. اهـ. ولا شك في شهادة الآثار الصحيحة له. قاله اللقاني.

قوله: (**وكيفيته مختلفة... إلخ**): ومنه يُعلم الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، إذ القيامة مواطن شتى. ويُحاسب المؤمنون سرًّا، والمنافقون والكفار جهرًا، والجن كالإنس مؤمنهم وكافرهم، فيتولى تعالى خطاب المكلَّفين بنفسه، ويكون ذلك بمشهد من النبيين وغيرهم

صاوي

قوله: (**وقد يكون من الملائكة فقط**): أي وهو أصعبها.

قوله: (**بعد أخذهم الكتب**): أي وبعد الشفاعة في فصل القضاء.

بصيلة

بالكتاب والسنة كما ذكر المحشي وبالإجماع أيضًا، وهو من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق، وكل ما هو كذلك فهو واقع والإيمان به واجب.

بخيت

....

وأيسر الحساب محاسبة الله فقط، حتى لا يعلم بذلك إنس ولا جن ولا ملك بقوله له تعالى: هذه سيئاتك قد غفرتها لك، وهذه حسناتك قد ضاعفتها لك.

ولا يكون للمعصومين. ويُستثنى ممن يُحاسب سبعون ألفًا أفضلهم أبوبكر الصديق ﷺ، فإنهم يدخلون الجنة بغير حساب كما ورد بذلك الحديث.

وهذه الأمة وإن كانت آخر الأمم إلا أنها تُقدم في الآخرة في الحساب وغيره.

سباعي

لقوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩] ويُحاسب الفاسق بين معارفه ليكون ذلك أفظع في حقه. تأمل.

واعلم أن الناس عند الحساب كما قال العلماء: ثلاث فرق: فرقة لا تُحاسب أصلًا، وفرقة تُحاسَب حسابًا يسيرًا، وهما من المؤمنين، وفرقة تُحاسب حسابًا شديدًا يكون منها مسلم وكافر. وإذا كان من المؤمنين مَن يكون أدنى إلى رحمة الله تعالى فلا يُحاسب، فلا يبعد أن يكون من الكافرين من هو أدنى إلى غضبه فيدخل النار ولا يُحاسب أيضًا.

قوله: (وأيسر الحساب... إلخ): إشارة إلى قول ثالث، ونُقل -أي هذا القول- عن ابن عباس، وهو أن يوقِف الله تعالى عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم، فيقول: هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها، وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم. **قوله: (يقول)**: متعلق بقوله: محاسبة الله... إلخ. **قوله: (وهذه الأمة... إلخ)**: فائدة زائدة على حل المتن.

تتمة: الحساب منه عاجل ومنه آجل، فالحساب العاجل للحسنة نورها في القلب ثوابها،

صاوي

قوله: (وأيسر الحساب محاسبة الله فقط): أي لأن الغالب فيها العفو. **قوله: (يقول تعالى له: هذه سيئاتك... إلخ)**: أي بعد أن يضع كنفه عليه، وهذا لمن يحب الستر على عباد الله.

قوله: (كما ورد بذلك الحديث): وهو ما معناه: «أعطاني ربي سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير

بصيلة

....

بخيت

....

....

سباعي

وللسيئة ظلمتها في القلب عقوبتها. والآجل ما أُخِّر جزاؤه إلى دار الآخرة، والعاجل عكسه. ثم حكمة الحساب مع علمه تعالى بجميع الأشياء إظهار تفاوت شرف أرباب الكمال، وفضائح أرباب الضلال.

ثم أول ما يحاسب عليه العبد صلاته، وأول ما يُقضى فيه بين الناس الدماء. ونقل العلقميُّ عن شيخه السيوطي فيما نقله عن العراقي في شرح الترمذي: لا تعارض بين حديث: «أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته» وبين حديث الصحيح «إن أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» فحديث الصلاة محمول على حق الله على العبد، وحديث الصحيح محمول على حقوق الآدميين فيما بينهم.

فإن قيل: أيهما يُقدَّم محاسبة العباد على حقوق الله أو محاسبتهم على حقوقهم؟ فالجواب: أن هذا أمر توقيفي، وظواهر الأحاديث دالة على أن الذي يقع أولًا المحاسبة على حقوق الله تعالى قبل حقوق العباد. اهـ. والله أعلم. ثم مقتضى كلام الفخر سؤال الأطفال والبُله والمجانين سوى أهل الفترة. وقال اللقاني: لم أقف على حسابهم كالبهائم والطيور والوحوش وسائر الحيوانات، وإن كان الحق أنها تُحشَر. أما ما رُوي من الاقتصاص للجَمَّاء من القَرْنَاءِ، وللحجَرِ من الحجَرِ إذا ركبه، فقيل: هو كناية عن إظهار العدل، على أن التحقيق حمله على ظاهره. ويحاسب الله سبحانه وتعالى عباده معًا لا واحدًا واحدًا. وتتسع قدرته لمحاسبتهم معًا كما تتسع لإحداثهم معًا، وكما يرزقهم في غداة واحدة، كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة.

صاوي

حساب، فاستزدت ربي فزادني، فقال لي: هكذا وهكذا» كناية عن كونه أعطاه من غير عدد، فهؤلاء يُسمُّون عتقاء الرحمن. وورد في بعض الروايات أن مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعين ألفًا.

بصيلة

....

بخيت

....

(و) يجب الإيمان (بالحشر)..

سباعي

قال هشام بن عبد الملك لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم وعنا بهم: ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم الحساب؟ فقال له: تُحشَر الناس على مثل قرص تفئ منها أنهارٌ متفجِّرة، يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب. فلما سمع ذلك هشام رأى أنه ظفر به فقال: الله أكبر! فما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ! فقال له أبو جعفر: هم في النار أشغل ولم يشتغِلُوا أن قالوا: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٥٠]. فسكت هشام ولم يرجع كلامًا.

وينبغي لمن خاف من يوم الحساب أن يكثر من الأعمال الصالحة ولا يمل، وذلك ليُعطى منها أخصامه يوم القيامة، فإن الظالم إذا لم يكن معه شيء يعطيه لأخصامه طُرح على ظهره من سيئات خصمه ثم قُذف به في النار.

وكان سيدي علي الخواص نفعنا الله به يقول: لا ينبغي لأحد أن يستكثر أعماله في عينه، فإن أعمال أمثالنا لو صارت كالجبال ربما لم يحصل منها في الميزان الأخروي مثقال ذرة، لعدم الإخلاص منا فيها، نسأل الله اللطف بنا. اهـ.

وانظر يا أخي إلى مقالة هذا الإمام العظيم، فما بالك بي وأمثالي! فحاسب نفسك في الدنيا ترتح من حساب الآخرة. قال عليه الصلاة والسلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا».

قوله: (**ويجب الإيمان بالحشر**): اعلم أنه اختُلف في طريقه، فقالت المعتزلة: طريقه العقل. وقال أهل الحق: طريقه السمع. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]،

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

قوله: (**ويجب الإيمان بالحشر**): لإجماع أهل الملل الثلاث المسلمين والنصارى واليهود، ولنصوص القرآن في المواضع المتعددة بحيث لا تقبل التأويل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا

أي حشر الأجساد...

سباعي

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] إلى غير ذلك من النصوص الناطقة بحشر الأجساد. هذا، وعلى ما قاله المعتزلة هو من الممكنات التي أخبر بها الشارع، وكل ما هو كذلك فهو ثابت.

قوله: (**أي حشر الأجساد**): أنكره الفلاسفة بناءً على امتناع إعادة المعدوم بعينه، وهو مع أنه لا دليل لهم عليه يُعتَدُّ به غيرُ مُضِرٌ بالمقصود، لأن مرادنا أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان ويعيد روحه إليه، سواء سُمي ذلك إعادة للمعدوم بعينه أو لم يُسم. وبهذا يسقط ما قالوا: إنه لو أكل إنسان إنسانًا آخر بحيث صار جزءًا منه، فتلك الأجزاء إما أن تُعاد فيهما وهو محال لما يلزم عليه من حلول الجوهر في محلين أو في أحدهما، فلا يكون الآخر معاد بجميع أجزائه. **وذلك أي وجه سقوط ما قالوا** أن المُعاد إنما هو للأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره، والأجزاء المأكولة فضلة في الآكل لا أصلية، والمشاهد أن الإنسان باق مدة عمره وأجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه، وإذا كانت كذلك فلا يجب إعادتها فيه، بل في المأكول.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

خَلَقْنَٰهُ... إلخ﴾ [يس: ٧٧]. قال المفسرون: نزلت في أُبي بن خلف خاصم النبي ﷺ وأتاه بعظم قد رم وبلي، قبضه ففتته بيده، وقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعدما رم. فقال ﷺ: نعم، ويبعثك ويدخلك النار. فهذا مما يقطع عرق التأويل بالكلية.

قوله: (**أي حشر الأجساد**): فإنه المتبادر عند إطلاق أهل الشرع، إذ هو الذي يجب اعتقاده، ويكفر من أنكره، لأنه إنكار للنصوص. وأما الروحاني المحض الذي معناه على ما يراه الفلاسفة رجوع الأرواح إلى ما كانت عليه من التجرد عن علاقة البدن واستعمال الآلات، أو التبري عما ابتليت به من الظلمات الهيولانية على ما في «شرح المقاصد» ففي الآيات والأحاديث إشارة إليه، لكنه

وهو سوقها إلى الموقف المسمَّى بالحشر بعد بعثهم من قبورهم المسمَّى بالنشر...............

سباعي

فإن قيل: يُحتمَل أن تصير تلك الأجزاء الغذائية الأصلية في المأكول الفضلة في الآكل نطفة وأجزاء أصلية لبدَن آخر ويعود المحذور؛ **أُجيب**: بأن الفساد إنما هو في وقوع ذلك لا في إمكانه. **فإن قيل**: هذا أي قولكم بإعادة الأجساد قول بالتناسخ، وهو انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر، لأن البدن الثاني ليس هو البدن الأول؛ **قلنا**: إنما يلزم التناسخ لو لم يكن البدن الثاني مخلوقًا من الأجزاء الأصلية للبدن الأول. وإن سُمي ذلك تناسخًا كان نزاعًا في مجرد الاسم، ولادليل على استحالة إعادة الروح إلى مثل هذا البدن، أي البدن المخلوق من الأجزاء الأصلية للبدن الأول، بل الأدلة قائمة على حقيقته، سواء سُمي تناسخًا أم لا.

قوله: (**وهو سوقها... إلخ**): أي لفصل القضاء بينهم. **قوله**: (**المسمَّى بالحشر بعد بعثهم**): قال السنوسي في بعض شروحه: الفرق بين البعث والحشر أن البعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم، والحشر سوقهم جميعًا إلى الموقف الهائل.اهـ. فإذا تقرر ذلك فقول الشارح: «بعد

صاوي

قوله: (**وهو سوقها إلى الموقف**): أي وأول من تنشق عنه الأرض المصطفى ﷺ، ثم صاحباه، ثم أهل البقيع، ثم أهل مكة، ثم أهل الشام، ثم من بقي. وأنواع الحشر أربعة: **اثنان في الدنيا**: **أحدهما**: جلاؤه عليه الصلاة والسلام اليهود من المدينة إلى الشام. **ثانيهما**: سوق النار التي تخرج من قعر عدن الناس قرب قيام الساعة إلى المحشر. **واثنان في الآخرة**: **أحدهما**: جمعهم إلى الموقف بعد إحيائهم. **والثاني**: صرفهم من الموقف إلى الجنة أو النار. **قوله**: (**المسمى بالنشر**): أي فالحشر السوق، والنشر الإخراج من

بصيلة

....

بخيت

ليس منصوصًا فلا يكفر منكره، كيف وهو مبني على تجرد النفس الناطقة، وجمهور المتكلمين أنكروه وقالوا: ليست هي إلا الهيكل المحسوس. وقال الإمام حجة الإسلام: إن الميعاد الروحاني قد دلت عليه الدلائل العقلية، والشرع لم ينفه، فقلتُ بهما جمعًا بين العقل والنقل. وقيل: إن الكتب السماوية السابقة ناطقة بالروحاني كما أن القرآن ناطق بالجسماني.

....

سباعي

بعثهم» أي بعد إحيائهم. واعلم أن حشر الأجساد هو المعبَّر عنه بالمعاد الجُسماني. وأنكر الطبيعيون من الفلاسفة أيضًا حشر الأرواح المسمىٰ بالمعاد الرُّوحاني. وأثبت الإلهيون منهم الرُّوحاني.

والأقوال الممكنة في مسألة المعاد كما في شرح المواقف خمسة: **ثبوت المعاد الجسماني** فقط، أي إعادة كل جسد بروحه، بناءً علىٰ أنها جسم لطيف سارٍ في البدن سريان الماء في العود الأخضر والنار في الفحم، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة وسائر المجردات. **والثاني**: ثبوت المعاد الروحاني فقط، وهو قول الفلاسفة الإلهيين، وهو عندهم عبارة عن مفارقة النفس بدنها واتصالها بالعالم العقليِّ الذي هو عالم المجردات، وسعادتها وشقاوتها هناك بفضائلها النفسانية ورذائلها. **والثالث**: ثبوتهما معًا، وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد الدبوسي ومعمر من قدماء المعتزلة، وكثير من الصوفية، فإنهم قالوا: الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة،

صاوي

القبور. وهو أحد قولين، والآخر: أنهما متحدان وأنهما اسم للإخراج من القبور مع السوق.

بصيلة

(**اسم للإخراج من القبور**): اعلم أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله يبعث جميع العباد ويعيدهم بجمع أجزائهم الأصلية أحياء، وأجزاؤهم الأصلية هي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلىٰ آخره، ويسوقهم إلىٰ محشرهم لفصل القضاء بينهم، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الصادق، وكل ما هو كذلك فهو ثابت، والإخبار عنه مطابق. وفي القرآن ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٧٨] الآية ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] لا فرق في ذلك يعني بين من يُحاسب كالمكلف ولا غيره، فكل ذي روح يُحشر، وهو ظاهر قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] أي للجزاء، فيقتص من القرناء للجماء. وذهبت طائفة إلىٰ أنه لا يُحشر إلا من يُجازىٰ. وأنكر بعضهم حشر الأجسام الذي هو إعادتهم بجمع أجزائهم... إلخ ما تقدم، حيث قال: لو أكل إنسان آخر وصار غذاء له ومن أجزاء بدنه، فالأجزاء المأكولة إما أن تُعاد في بدن الآكل أو بدن

بخيت

....

كما سيأتي. ومراتب الناس في الحشر متفاوتة، فمنهم الراكب، ومنهم الماشي على رجليه، ومنهم من يمشي على وجهه. ويكون في صور مختلفة على حسب الأعمال، فمنهم من هو على صورة القردة وهم الزناة، ومنهم على صورة الخنازير وهم آكلوا السحت والمكس،......................

سباعي

وهي المكلَّف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب، والبدن يجري منها مجرى الآلة، والنفس باقية بعد فساد البدن، فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق أعاد البدن وأعاد الروح إلى تعلقها به. **الرابع**: عدم ثبوت شيءٍ منهما. وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين قبَّحهم الله. **والخامس**: التوقف في هذه الأقسام. والمنقول عن جالينوس التردد بين مذهب القدماء من الطبيعيين وبين مذهب الإلهيين.

قوله: (كما سيأتي): أي في حل قوله: «والنشر... إلخ». **قوله: (فمنهم الراكب)**: أي وهو المتقي. **وقوله: (ومنهم الماشي على رجليه)**: وهو الذي قلَّ عمله. **وقوله: (ومنهم من يمشي على وجهه)**: أي يتقي به كل جذب وشوك. وهل المُراد ماشٍ على وجهه وبطنه وإنما خصَّ الوجه لكونه أشرف الأعضاء وهو الظاهر، أو المراد ماشٍ على وجهه فقط ورجلاه إلى جهة العلو؟ انظر في ذلك وحرره نقلًا.

قوله: (آكلو السحت): أي الرشوة على الحكم. قال عليه الصلاة والسلام: «اللحمُ النابتُ

صاوي

....

بصيلة

المأكول، وأياما كان لا يكون أحدهما بعينه معادًا بتمامه. على أنه لا أولوية لجعلها جزءًا من بدن أحدهما دون الآخر، ولا سبيل إلى جعلها جزءًا من كل منهما. وأيضًا إذا كان الآكل كافرًا والمأكول مؤمنًا، يلزم تنعيم الأجزاء العاصية أو تعذيب الأجزاء المطيعة. **والجواب**: أن الحشر للأجزاء الأصلية لا الحاصلة بالتغذية، فالمعاد من كلٍّ من الآكل والمأكول الأجزاءُ الأصلية الحاصلة في أول الفطرة من غير لزوم فساد. فإن قيل: يجوز أن تصير تلك الأجزاء الغذائية الأصلية في المأكول نطفة وأجزاء أصلية لبدن آخر ويعود المحذور؛ **قلنا**: المحذور إنما هو في وقوع ذلك لا في إمكانه، فالله تعالى قادر يحفظها من أن تصير جزءًا لبدن آخر، فضلًا عن أن تصير جزءًا أصليًا. اهـ. من شرح المقاصد.

بخيت

....

ومنهم الأعمىٰ وهو الجائر في الحكم، ومنهم الأصم الأبكم وهو الذي يُعجب بعمله، ومنهم من يمضغ لسانه مُدْلعًا علىٰ صدره يسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أفعالهم أقوالهم، ومنهم المقطوع الأيدي والأرجل وهم الذين يؤذون الجيران،.........................

سباعي

من السحتِ النارُ أولىٰ به. قيل: وما السحت يا رسول الله؟ فقال: الرشوة علىٰ الحكم» وانظر ما يتعلق بذلك في كتب الفقه. وعليه فيكون عطف المَكْسِ علىٰ السحت مغايرًا، وجعله المؤلف في التقرير عطف خاص علىٰ عام، فيكون مراده بالسحت أعم مما في الحديث، والخَطْب سهل.

قوله: (وهو الجائر في الحكم): إنما جوزي بالعمىٰ لأنه تعامىٰ عن الحق في دار الدنيا قصدًا وبدَّل الدين بالدنيا، وما أحسن قول البوصيري:

فيا خُسـارة نفسٍ في تجارتها ... لم تشترِ الدينَ بالدنيا ولم تسم

قوله: (مُدْلعًا): أي مدلىٰ علىٰ صدره. **قوله: (تخالف أفعالهم أقوالهم)**: أي فيقولون ما لا يفعلون، ولله درُّ القائل حيث قال:

يا أيُّهـا الـرجـلُ المُعَلِّم غيره ... هـلّا لنفسكَ كـان ذا التعليم

تصف الدواءَ لذِي السِقامِ وذي الضَنىٰ ... كـيْـمَا يصِّح بـه وأنــت سقيم

وأراكَ تنصحُ بالرشادِ عقولنا ... أبـدًا وأنـتَ من الرشادِ عقيم

ابـدأ بنفسك فانْهِها عن غيِّها ... فـإذا انتهتَ عنه فأنت حكيم

لا تنه عن خُـلُـقٍ وتـأتي مثله ... عـارٌ عليكَ إذا فَعلت عظيم

فهناك يُسمَعُ ما تقول ويُشتفىٰ ... بالقول منكَ وينفع التعليم

صاوي

قوله: (مدلعًا): أي مُدلىٰ.

بصيلة

....

بخيت

....

ومنهم من يُصلب على جذوع من النار وهم السعاة بالناس إلى السلطان، ومنهم من أشد نتنًا من الجيف وهم الذين يُقبلون على الشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم، ومنهم من يلبس جبة سابغة من قطران لاصقة بجلده وهم أهل الكبر والعجب والخيلاء، كذا رأيته بخط شيخنا ناقلًا له عن الثعلبي.

(والعقاب) على الذنوب والكفر في القبر.......................................

سباعي

قوله: **(السعاة)**: هم أعوان الظلمة. قوله: **(شيخنا)**: المُراد به العلَّامة العدوي رحمه الله ناقلًا له في طياره وليس في تأليفه.

قوله: **(والعقاب)**: معطوف على الحساب لمشاركته له في الحكم، إذ حكم كلٍّ الوجوب، أي ومما يجب على المكلَّف اعتقاده والإيمان به العقاب في القبر وفي الحشر، ويكون للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين، إذ منهم من لا يريد الله عقابه فلا يُعاقَب، وإنما يريد تنعيمه، دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، وكحديث مسلم عن سلمان الفارسي يرفعه: «رباط يوم وليلة في سبيل الله خيرٌ من صيام شهر وقيامِه. وإن مات أجرى الله عليه الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقَه وأمِنَ الفتَّان»، وفي سنن النسائي وجامع الترمذي وغيرهما أن الشهيد يُجار من عذاب القبر.

صاوي

قوله: **(وهم الذين يقبلون على الشهوات واللذات)**: أي المحرمة. قوله: **(بخط شيخنا)**: المراد به العلامة العدوي نفعنا الله به.

بصيلة

....

بخيت

قوله: **(في القبر)**: لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فإن عطف عذاب يوم القيامة يقتضي أن يكون عرضهم على النار غير ذلك العذاب، فيكون عذابًا بعد الموت وقبل يوم القيامة، وهو المراد من عذاب القبر. وأنكر قوم عذاب القبر بالكلية.

وفي المحشر وبعده بأنواع مختلفة على حسب الأعمال، فمنهم من يُعاقب بالحيات أو بالعقارب، ومنهم من يُعاقب بالضرب، ومنهم من يُعاقب بغير ذلك. ثم مآل الكفار إلى النار ويُخلدون فيها. وأما أهل المعاصي فقد يُغفر لهم فلا يدخلون النار، وبعضهم يدخلها، ولكن لا يُخلد فيها، بل لا

سباعي

فإن قيل: الحديثُ الصحيح الوارد في سؤال الملَكين ليس فيه إلا أن عذاب القبر للكافرين، فما دليل وقوعه لبعض عصاة المؤمنين؟ قلنا: يدل عليه حديث القبرين وهو في الكتب الستة، ففيه «لعله يُخفف عنهما ما لم ييبَسا» وذلك يدل على أنهما مسلمان، إذ لو كانا كافرين لما شفع فيهما بغرس الجريدتين راجيًا التخفيف عنهما، ولما كان لإضافة التعذيب في أحدهما إلى ترك الانتثار من البول، وفي الآخر إلى المشي بالنميمة معنًى، إذ يكون كفر كل منهما أولى بإضافة التعذيب إليه. هذا وما صنعه المصنف من إثبات العقاب والثواب في القبر أولى مما وقع في بعض الكتب من الاقتصار على إثبات العذاب دون الثواب - أي التنعيم في القبر وبعده - الجزاء على الأعمال مستندًا ذلك البعضُ إلى أن النصوص الواردة في العذاب أكثر، وأن عامة أهل القبور كفار وعصاة، فالتعذيب بالذكر أجدر.

قوله: (وبعده): أي بعد المحشر.

قوله: (فقد يُغفر لهم): أي بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

قوله: (ثم مآل الكفار إلى النار ويخلدون فيها): أي مطلقًا، وهو رأي الجمهور. وقال الجاحظ وعبد الله العنبري: إن دوام العذاب إنما هو للكافر الذي لم يبالغ في الاجتهاد دون المبالغ في الاجتهاد الساعي بقدر وسعه وإن لم يهتد، إذ لا تقصير منه، و﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وفي «المنقذ» للإمام حجة الإسلام كلام يقرب منه بعض القرب. والجمهور يستدلون بظواهر النصوص والإجماع المنعقد قبل ظهور المخالفين على أن الكفار كلهم مخلدون في النار.

قوله: (ولكن لا يُخلَّد): بل يخرج آخرًا إلى الجنة وإن مات بلا توبة، خلافًا للمعتزلة والخوارج.

بد من خروجه منها بشفاعة نبينا محمد ﷺ أو غيره على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأما بعد البعث فمحله الروح والجسد قطعًا، وكذا قبله في البرزخ ....

سباعي

﴿ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]. وقال المحقق:

إذ جائزٌ غفران غيرِ الكُفرِ ... فلا نُكَفِّر مؤمنًا بالوِزرِ

وما ألطف قول شيخنا رحمه الله:

أيُّها السيّد المُدلَّل ضاعت ... في الهوى ضَيْعتي وأُنسيتُ نُسكي

وانظر الحقَّ في علوٍّ عُلاه ... كُلُّ شيءٍ يمحوه غير الشرك

قوله: (فمحله الروح والجسد قطعًا): أي كما هو مذهب الجمهور، وخالف محمد بن جرير الطبري وعبد الله بن كرام وطائفة فقالوا: إن المعذَّب الجسدُ، ولا يُشترط إعادة الروح، وإن اللهَ يخلق فيه إدراكًا بحيث يسمع ويعلم ويلذُّ ويألم. قال أصحابنا: وهذا فاسد، لأن الألم والإحساس إنما يكون عادةً في الحيِّ، ولا حياة عادةً إلا بالروح.

قوله: (في البرزخ): البرزخ أصله الحاجز بين الدنيا والآخرة، وله زمان ومكان وحال، فزمانه من حين الموت إلى يوم القيامة. وحاله الأرواح. ومكانه من القبر إلى عليين لأرواح أهل السعادة.

صاوي

قوله: (وكذا قبله في البرزخ): أي ويكون للكفار والمنافقين والعصاة من هذه الأمة أو غيرها، ويدوم على الكفار والمنافقين وبعض العصاة، وينقطع عمن خفت ذنوبهم

بصيلة

....

بخيت

والدليل على عدم خلوده في النار قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، والإيمان خير، ورؤيته لا تكون قبل دخول النار إجماعًا، فتكون بعد خروجه، فلا يكون مخلدًا فيها. وقوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله الا الله دخل الجنة» والآيات المشعرة بخلود صاحب الكبيرة محمولة على المكث الطويل جمعًا بين الآيات، فإن الخلود يُستعمل حقيقة في المكث الطويل أعم من أن يكون معه دوام أو لا.

على المشهور، بأن يعيد الله الروح إليه أو إلى جزء منه إن قلنا إن المعذب بعض الجسد، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه، أو أكلته السباع أو الحيتان، فإن القادر لا يعجزه شيء. وقيل: إنه يتعلق بالأرواح فقط.

سباعي

وأما أرواح أهل الشقاوة فلا تُفتح لها أبواب السماء، بل هي في سِجِّين مسجونة وبلعنة الله فيه مصفودة، أي مقيَّدة.

قوله: (على المشهور): ومقابله ما ذهب إليه ابن حزم وابن هُبَيْرَة من أن محله الروح فقط، وقد أشار إليه الشارح بقوله: «وقيل... إلخ» وذكر نحو ما لابن حزم القرطبي عن بعضهم ولفظه: قيل: إن العَرْض للتنعيم والتعذيب إنما هو على الروح وحده، ويجوز أن يكون معه جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليها مع جميع البدن فتُرَد إليه الروح كما تُرَد حين يُقعِده الملكَان. اهـ. ثم المراد بالعرض إنما هو للبدن، لأنه المتبادَر من المقام، وحينئذ فيقرأ بسكون الراء.

قوله: (بأن يعيد... إلخ): الباء فيه للتصوير، أي العقاب مصوَّر بأن يعيد الروح إليه، أي إلى البدن بتمامه وقت السؤال. **قوله: (أو إلى جزء منه)**: قال بن حجر: وظاهر الخبر أنها تحُل في نصف الميت الأعلى، فيُسأل البدن وفيه الروح، وهو مذهب الجمهور كما تقدم مع ذكر مقابله. وعلى كل حال هي حياة لا تنفي إطلاق اسم الميت عليه، بل هي أمر متوسط بين الموت والحياة، كتوسط النوم بينهما. اهـ. بمعناه. وقد اتفقوا على أن اللهَ سبحانه لم يخلق في الميت القدرة والأفعال الاختيارية، وأنه لا يدرك الحاضرون حياته كمن أصابته السكتة. قال السعدُ: وهو مشكِل بجوابه للملكين. وقال اللقاني: يمكن التخصيص بغيره.

قوله: (قد تفرقت أجزاؤه... إلخ): لا يبعد أن يخلق الله تعالى الحياة في أجزائه أو يعيدَه كما كان

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وقيل: إنه يتعلق بالروح فقط): وقيل: يُعذب الجسم بدون إحياء. وهو خلاف العقل.

(والثواب) أي الجزاء على الأعمال بالجنة في الآخرة وغيرها من أنواع النعيم،..............

سباعي

خصوصًا على قول أبي المعالي. المرضيُّ عندنا أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب أو من غيره يحييها ويوجه السؤال عليها، وذلك غير مستحيل عقلًا. قاله القرطبي.

قوله: (والثواب): عطفٌ على الحساب، وهذه الأمور -أي الحساب وما عُطف عليه إلى آخر السمعيات- جائزة عقلًا، واجبة سمعًا. ودليل وجوبها أنها أمور ممكنة عقلًا أخبرنا بها الصادق على ما نطقت به النصوص، وكلُّ ما هو كذلك فهو حقٌّ يجب شرعًا قبوله. وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وجمهور المعتزلة، ولا يحتاج الإيمان بما ذُكر إلى بيان كيفية الحقيقة، فإن العقول تعجز عن مثل ذلك، وهو مما نقله الأئمة متواترًا، فمن أنكر شيئًا من السمعيات فهو كافر، إذ يلزمه تكذيب الله ورسوله في خبريهما، وكذلك كل ما عُلم من الدين بالضرورة.

قوله: (أي الجزاء): تفسير للثواب، إذ الثواب مقدار من الجزاء يعلمه الله يعطيه لمن يشاء من عباده في نظير أعمالهم الحسنة. قوله: (وغيرها): أي غير الجنة، ومصدوق الغير هو القبر. ومن النعيم فيه توسيعه، وجعْلُ قنديل فيه، وفتح طاقة فيه من الجنة، وامتلاؤه خضرًا، وجعله روضة من رياض الجنة، وكل هذا محمول على حقيقته عند العلماء. وأما نعيم الجنة فمنه الرؤية، وهي أجلُّ أنواعه، ومنه التمتع بالحور العين، والأكل من أثمارها والشرب من أنهارها، والتنزه في القصور، وخدمة الولدان، وغير ذلك مما لا يمكن حصره، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

تنبيه: تنعيم الله المؤمنين في القبر واجبٌ لما ورد في ذلك من النصوص البالغ مجموعها حد

صاوي

قوله: (وغيرها من أنواع النعيم): أي كرؤية وجه الله الكريم.

بصيلة

....

بخيت

وقيل: تُجمع الآلام في جسده، فإذا حُشر أحس بها دفعة. وهذا إنكار لعذاب القبر بالحقيقة، وقيل بإحيائه لكن من غير إعادة روح.

وكذا في البرزخ وبعده، وأنواعه مختلفة أيضًا على حسب الأعمال والإفضال من الواحد المتعال.

سباعي

التواتر وإن كانت تفاصيلها آحادًا، ولا يختص تنعيم القبر بمؤمني هذه الأمة، كما أنه لا يختص بالمكلَّفين، غير أن من زال عقلُه قبل التكليف حُكمه حكم النُّجاة. وأما من زال عقله بعده فالمعتبر حالته التي زال عقله وهو عليها من كفر أو إيمان ونحوهما، وكذا لا يختص بالمقبور. اهـ. شيخنا العلَّامة الشنواني ناقلًا له من كبير عبد السلام.

صاوي

قوله: (وكذا في البرزخ): هو في اللغة: الحاجز بين الشيئين. وعرفًا: الحاجز بين الدنيا والآخرة. وله زمان وحاله ومكان، فزمانه من الموت إلى يوم القيامة، وحاله الأرواح، ومكانه من القبر إلى الجنة لأرواح السعداء، أو إلى النار لأرواح الأشقياء. **وقوله (وبعده)**: أي وبعد البرزخ، وهو يوم القيامة، فينعم بظل العرش مثلًا.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وأنواعه مختلفة أيضًا على حسب... إلخ): قال الغزالي في «الإحياء»: اعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بمثل هذا:

أحدها: وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأن الحية مثلًا موجودة تلدغ الميت، ولكنا لا نشاهد ذلك، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، ألا ترى أن الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل ﵇ وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون بأنه ﷺ يشاهده، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك، وإن آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا يشاهد الأمة، فكيف لا تجوز هذا في الميت؟!

المقام الثاني: أن تتذكر أمر النائم، فإنه يرى في منامه حية تلدغه وهو يتألم بذلك، حتى تراه في منامه يصيح ويعرق جبينه، وقد ينزعج عن مكانه، كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده، وأنت ترى ظاهره ساكنًا ولا ترى حواليه حية، والحية موجودة في حقه، والعذاب حاصل له، ولكنه في حقك غير مشاهد، وإذا كان العذاب ألم اللدغ، فلا فرق بين حية تُتخيل أو تُشاهد.

(والنشر) وهو البعث، ....

سباعي

قوله: (والنشر): معطوفٌ على الحساب. وقوله: (وهو البعث): تفسير له، أي ومما يجب على المكلَّف اعتقاده أن النشر وهو البعث واجب. ودليله سمعي، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] إلى غير ذلك.

ثم بعده تُساق الخلائق إلى المحشر بالشام، ويحشرون على أرض غير هذه الأرض، وهي الأرض البيضاء، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. والحشرُ القيام لرب العالمين، ثم بعده العرض، ثم تتنزل الملائكة وتصطَفُ بهم، وتدنو منهم الشمس، ثم تتطاير الصحف، ثم أخْذُها بالأيمانِ والشمائل، أي يأخذها الملك ويعطيها للمؤمن بيمينه والكافر بشماله، فيقرؤها ويعلم ما فيها، ثم يشفع فيهم النبي عليه الصلاة والسلام. وهذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة، ثم ينصرفون

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

المقام الثالث: أن تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم، بل الذي يلقاك منها وهو السم، ثم السم ليس هو الألم، بل عذابك بالأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل هذا الأثر من غير سم لكان ذلك العذاب قد توفر. وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يُضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت، فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات. اهـ.

وذكر بعد هذا ما يدل على أن التصديق بجميع هذه المقامات واجب حيث قال: بل هذه الطرق الثلاث في التعذيب ممكنة، والتصديق بها واجب، ورب عبد يعاقب بنوع واحد منها، ورب عبد يجتمع عليه اثنان، وعبد يجتمع عليه الثلاثة، هذا هو الحق، فصدق به. اهـ باختصار وشنع على من أنكر واحدًا منها.

والمراد به إحياء الله الموتى من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية، بأن يجمعها الله تعالى بعد تفرقها.

سباعي

إلى الميزان فتُوزَن به أعمالهم، ثم يؤمَر بهم إلى الصراط، ويشربون من الحوض، والكفار لا يشربون منه، وكذلك من غيَّر وبدَّلَ من أمته، ثم يمرون على الصراط، وهذا على الترتيب، وما في النظم غير مرتب. اهـ. مؤلفه. وسيأتي الكلام على الصراط وما بعده عند ذكره.

قوله: (والمُراد به): أي بالنشرِ، وحاصله أن الناس اختلفوا في البعث، فقال بعضهم: هو الإحياء. وقال الآخر: هو الإخراج. والمتبادَر من صنع الشارح ترجيح الأول، والله أعلم بحقيقة الحال. **قوله: (بعد جمع أجزائهم... إلخ)**: أي إن الأجسام تعود بعد جمع الله الأجزاء -أي بعد تفرقها- وهو مذهب الأقل، وحكاه الآمدي بصيغة التمريض. **قوله: (الأصلية)**: أي لا جميع الأجزاء على الإطلاق لتتناول الأجزاء الفضلية الحاصلة بالتغذي. ومن الأدلة المصرِّحة بإعادة جميع الأجزاء الأصلية حديث ابن عباس في البخاري: «قام فينا رسول الله ﷺ فقال: إنكم تُحشرون حُفاة عُراة غُرْلًا»، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية، ففيه أنه تعالى يعيد القُلْفَة التي قُطِعَت منه، لأنها من أجزائه الأصلية، إذ هي من جلده الذي من شأنه البقاء معه إلى الموت.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

قوله: (بعد تفرقها): وهو مذهب بعض المتكلمين الذين ينكرون جواز إعادة المعدوم موافقة للفلاسفة، ويدعون بداهة استحالته، ويزعمون أن إقامة الدلائل للتنبيه، منها أنه لو أُعيد المعدوم، فإن أُعيد معه الوقت أيضًا لزم أن لا يوجد ذلك الشيء بعد العدم أو قبله في نفس الأمر، بل في مجرد الوهم وهو ظاهر البطلان؛ وإن لم يعد معه الوقت بأن يكون هناك وقتان تخلل بينهما وقت العدم، لزم تخلل العدم بين الوجودين، فإن تغاير الوجودان بالذات كان الموجود الثاني مثل الأول لا عينه، فلا إعادة وإن اتحدا بالذات وتغايرا باعتبار الزمانين لزم تقدمه على نفسه بالوجود زمانًا، لأنه موجود في كل من الزمانين في نفس الأمر، وقد تخلل بينهما زمان عدمه في نفس الأمر، وكما أن تقدمه على نفسه بالوجود ذاتًا محال بديهة، كذلك تقدمه على نفسه بالوجود زمانًا.

وقيل: بعد عدمها بالكلية ما عدا عَجْب الذَّنَب، فإنه لا يُعدم. وقيل: هو الإخراج من القبور بعد

سباعي

قوله: (ما عدا عَجْب الذَّنَب): يعني أنه اختُلف في فنائه وبقائه على قولين، مشهورُهما أنه لا يفنى لحديث الصحيحين: «ليس من الإنسانِ إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْبُ الذَّنَب، منه خَلق الخلق يوم القيامة» وفي رواية مسلم: «كل ابن آدم يأكله الترابُ إلا عَجْبُ الذَّنَب، منه خُلق ومنه يُركَّب» وفي رواية لابن حبان: «وما هو يا رسول الله؟ قال: هو مثل حبة خردلة منه تنشأون». ومن هنا قال العلماء إنه عظم كالخردلة في العصعص، وهو آخر سلسلة الظهر، وفي بقائه أسرار لا يعلمها إلا الله تعالى.

قوله: (وقيل: بعد عدمها... إلخ): هذا مذهب الأكثرين حيث قالوا: إن الله سبحانه وتعالى

صاوي

قوله: (وقيل بعد عدمها بالكلية): أي فيصير الجسم معدومًا بالكلية كما كان قبل وجوده، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. هذا القول هو المعتمد. وهذا الخلاف في غير من لا تأكل

بصيلة

قول الشارح (ما عدا عَجْب الذَّنَب) هو بفتح العين المهملة وسكون الجيم آخره باء موحدة،

بخيت

إن قيل: لو أكل إنسان إنسانًا آخر وصار غذاءً له وجزءًا من بدنه، فإما أن يُعاد الأجزاء المأكولة في بدن كل منهما، وهو باطل ضرورة أو في بدن أحدهما، فلا يكون الآخر معادًا بعينه. وأيضًا إذا كان الآكل كافرًا والمأكول مؤمنًا يلزم تنعيم تلك الأجزاء في الجنة وتعذيبها في النار معًا، وهو باطل ضرورة؛ **قلت**: البدن المحشور مؤلف من الأجزاء الأصلية، ولعل الله يحفظها من أن تكون أجزاء أصلية لبدن آخر، وإمكان ذلك لا يوجب الوقوع. وقد ادعى المعتزلة أنه يجب على الله الحكيم حفظها من ذلك ليتمكن من إيصال الجزاء إلى مستحقه.

قال السعد: ونحن نقول لعل الله يحفظها عن التفرق أيضًا، فلا يحتاج إلى الإعادة بطريق الجمع والتأليف أيضًا، بل إنما تُعاد إلى الحياة والصور والهيئات.اهـ. لكن يأباه قوله تعالى: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، ولذا استدل بها على أن الحشر بجمع جميع الأجزاء المتفرقة لا بطريق إعادة المعدوم، فتدبر في هذا المقام فقد ذلت فيه الأقدام.

قوله: (وقيل بعد عدمها): لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ومبنى

الإحياء برد الروح فيه.

سباعي

يعدم الذات بالكليَّة ثم يعيدها. قال البدر الزركشي: وهو الصحيح. وهذا قول أهل السنة والمعتزلة القائلين بصحة الفناء على الأجسام، بل بوقوعه. قال الآمدي: وهذا هو الصحيح، وعليه الأكثر. ثم حكى مقابله بصيغة التمريض. اهـ. من صغير اللقاني.

فإذا علمت هذا تعلم أنه كان ينبغي للشارح أن يُقدمه على الأول، ويحكي الأول بقيل، إلا أن يُقال: إنه لاحظ القول بالتوقف وأنه لم يرد دليل بتعيين أحدهما، لأن السعد لما ذكر القولين قال: «والحق التوقف» وهو اختيار إمام الحرمين حيث قال: «يجوز عقلًا أن تُعدم الجواهر ثم تُعاد، وأن

صاوي

الأرض أجسامهم، ونظمهم التتائي، فقال:

لا تأكل الأرض جسمًا للنبي ولا ... لعالم وشهيد قتل معترك

ولا لقارئ قرآن ومحتسب ... آذانه لإله مجري الفلك

وزاد العلامة الأجهوري خمسة فقال:

وزيد من صار صدِّيقًا كذلك من ... غدا محبًا لأجل الواحد الملك

ومن موت بطعن أو رباط أو ... كثير ذكر وهذا أعظم نسك

بصيلة

وقد تبدل ميمًا. وحُكي عن بعضهم تثليث أوله، يعني: أنه اشتهر القول بعدم فناء عَجْب الذَّنَب، لحديث الصحيحين وهو: «ليس من الإنسان شئ إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا، وهو عَجْب الذَّنَب، منه خَلقُ الخلق يوم القيامة» وفي رواية مسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْب الذَّنَب، منه خُلق ومنه يركَّب» وفي رواية لابن حبان: «قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه

بخيت

الاستدلال بهذه الآية على أمرين: **الأول**: حمل الهلاك على العدم الطارئ.

الثاني: حمل هالك على معنى سيهلك مجازًا، بناءً على أن استعمال اسم الفاعل في المستقبل مجاز باتفاق أئمة اللغة، وفي الحال حقيقة باتفاقهم، وفي الماضي مختلف فيه، كذا في «شرح المقاصد»

....

سباعي

تبقىٰ وتزول أعراضها المعهودة ثم تُعاد بعينها» ولم يدل دليل سمعي علىٰ تعيين أحدهما، فلا يبعد أن تُغير أجسام العباد إلىٰ صفة أجسام التراب، ثم يُعاد تركيبها إلىٰ ما عُهد، ولا نُحيل أن يُعدَم منها شيء ثم يُعاد. وفي «المواقف» وشرحه للسيد: هل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرِّقها ويعيد فيها التأليف؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء، فلا جزم فيه نفيًا ولا إثباتًا لعدم الدليل علىٰ شيء من الطرفين، وليس في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] دليلٌ علىٰ الإعدام، لأن التفريقَ هلاكٌ كالإعدام، فإن هلاك كل شيءٍ خروجه عن صفاته المطلوبة منه، وزوال التأليف كذلك، ومثله يُسمَّىٰ فناءً عرفًا، فلا يتم الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] علىٰ الإعدام أيضًا. اهـ. ونحوه للفخر بعد حكاية الخِلاف، وتعريف التفريق.

وعبارة الغزالي في كتاب «الاقتصاد»: فإن قيل: ما تقولون أيعدم الجواهر والأعراض ثم

صاوي

....

بصيلة

تنشأون». ومن هنا قالوا: إنه عظم كالخردلة في العصعص، وهو آخر سلسلة الظهر. واختار المزني فناءه مستمسكًا بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

بخيت

لأنه لو حُمل الهلاك علىٰ الحال لزم هلاك الكل وقت نزول الآية، أو علىٰ الماضي لزم قبله، وليس كذلك، فتعين الاستقبال. وليس بعد الحشر إجماعًا فتعين أنه في المستقبل وقبل الحشر. وفائدة التجوز التنبيه علىٰ كونه محققًا.

وأُورد عليه: أولًا: يجوز أن يُجعل الهلاك علىٰ معنىٰ الخروج عن الانتفاع به بتفرق الأجزاء، والقولُ بأن ذلك الخروج لا يمكن إلا بالإعدام بالكلية، لأن الشيء بعد تفرق أجزائه يبقىٰ دليلًا علىٰ الصانع وهو من أعظم المنافع مدفوعٌ بأن المراد الانتفاع المقصود به اللائق بحاله، كما يُقال: هلك الطعام، إذا لم يبق صالحًا للأكل، وإن بقي صالحًا لمنافع أخر، لكن يرد أن الشيء شامل للجواهر الفردة من أجزاء الجسم، وهلاكها لا تكون إلا بالإعدام لامتناع التفرق، وكذا هلاك الهيولىٰ والصورة علىٰ

....

سباعي

يُعادان جميعًا، أو تعدم الأعراض دون الجواهر وإنما تعاد الأعراض؟ **قلنا**: كُلُّ ذلكَ ممكنٌ. والحق أنه ليس في الشرع دليلٌ قاطع على تعيين أحد هذه الممكنات. ورأيت لبعضهم: الحق وقوع الأمرين جميعًا، إعادة ما انعدم بعينه، وإعادة ما تفرّق بأعراضه وهو حسن. اهـ. لقاني.

تنبيهات: **الأول**: معنى الفناء ذهاب العين والأثر، لا ما تسميه العامة فناء، من مطلق ذهاب صورة الشيء. **الثاني**: معنى التفريق أن لا يبقى في الجسم جواهران فردان على الاتصال، لا بمعنى انحلال البنية والتركيب، إذ ليس محلًّا للخلاف في الإعادة، كما أن ما تسميه العامة فناء ليس محلًّا

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

القول بهما، وإنما يكون الهلاك بتفريق الأجزاء في المركبات بانحلال التركيب لا في البسائط.

وثانيًا: بجواز حمله على معنى الموت كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]، ولا يخفى أنه تخصيص للعام بالحيوانات من غير قرينة.

وثالثًا: بعد تسليم أن الهلاك بمعنى العدم يجوز أن يُحمل الهلاك على معنى القابل له دائمًا، لكونه ممكنًا، وكل ممكن لا يستحق الوجود إلا بالنظر إلى العلة الخارجية، ولذا قال الإمام الرازي: تأويل الآية بكونه آيلًا للعدم ليس أولى من تأويله بكونه قابلًا له، يعني أن كلا التأويلين مجازي، وليس التجوز بعلاقة الأول أولى من التجوز بعلاقة الاستعداد، بل الجملة الاسمية الدالة على الدوام ترجح الثاني، ولذا حكم حجة الإسلام بكون المراد هو الثاني قطعًا، فمآل الآية حينئذ الدلالة على الإمكان الذاتي.

ورابعًا: لو وقع إعدام الكل لوقع إعدام الجنة والنار، فيلزم أن لا يكون أُكُل الجنة وظلها دائمة، مع أن النصوص دالة على دوامها.

وخامسًا: ما تقدم من استحالته فتدبر.

(والصراط) وهو لغة: الطريق الواضح. وشرعًا: جسر ممدود........................

سباعي

للخلاف. **الثالث**: محل الخلاف من لَمْ يرِد فيه نص أنه لا يُبلى. أما من ورد فيه ذلك فلا يفنى اتفاقًا كالأنبياء، فإن الأرضَ لا تأكل أجسامهم، وفي الحديث: «إن اللهَ عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرضِ أجساد الأنبياء». قال ابن العربي: حديث حسن. وقال غيره: صحيح. بل هم أحياء في قبورهم يصلون ويسبحون ويحُجُّون ويتقربون إلى ربهم بسائر عباداتهم التي كانوا عليها في الدنيا، تلذذًا بها لا اقتضاءً للتكليف، وكالشهداء والمؤذِّنين احتسابًا وحديثهم في الطبراني، وحامل القرآن وحديثه عند ابن مَنْده، ومَن لم يعمل خطيئةً قط وحديثه عند المروزي، والعلماء العاملون زادهم بعضهم، ومثله لا يُقال إلا بتوقيف. والروحُ و عَجْبُ الذَّنَب والجنة والنار وأهلها والعرش والكرسي واللوح والقلم على ما قاله ابن عباس ومجاهد. اهـ. لقاني.

قوله: (والصراط): بالصاد والسين المهملتين، وبإشمام الصاد زايًا مُعجَمة، من صرِط الشيء -بكسر الراء- إذا ابتلع. **قوله: (وهو لغة الطريق الواضح)**: أي لأنه يبتلعُ المارة كما أن الطريق كذلك، أي يغيِّبهم. هذا وجه المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي. **قوله: (وشرعًا جسر ممدود)**: أي وهو ثابت ويجب الإيمان به، إذ ورد به الكتاب والسنة واتفقت عليه الكلمة في الجملة، أي بقطع النظر عن إبقائه على ظاهره وصرفه عنها، فأهل السنة يبقونه على ظاهره، وأنكر إبقاءه على ظاهره كثيرٌ من المعتزلة قالوا: بل المراد به طريق الجنة المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣]. وقيل: المراد به الأدلة الواضحة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

....

سباعي

وفي مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن أناسًا قالوا: «يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال: رسول الله ﷺ هل تُمارونَ في القمرِ ليلة البدرِ؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونَه كذلك، يجمع الله الناسَ يوم القيامة فيقول: من كان يعبدُ شيئًا فليتبعه. فيتبعُ من كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في صورة غير صورتِه التي يعرفونَ، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذُ بالله منكَ، هذا مكانُنا حتىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربُنا عرفناهُ. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه، ويُضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأُمَتي أولَ مَن يجوزُه. ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعواهم يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم. وفي جهنم كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعْدانِ غير أنه لا يَعلم عِظَمَها إلا الله تختطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن يوفىٰ بعمله، ومنهم المُجازىٰ حتىٰ يُنجىٰ» الحديث.

وأنكره أكثر المعتزلة قائلين لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين. **والجواب**: أن الله تعالىٰ قادرٌ علىٰ أن يُمَكِّن من العبور عليه ويُسهلّه علىٰ المؤمنين، حتىٰ إنهم يجوزونه كالبرق الخاطف، إلىٰ آخر ما يأتي في الشارح مما ورد في الحديث. فإن الذي قدر علىٰ أن يُسيِّر الطير في الهواء قادرٌ علىٰ أن يُسيِّر الإنسان علىٰ الصراط. وفي الصحيحين عن أنس أن رجلًا قال: «يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر علىٰ وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه علىٰ الرجلين قادرًا علىٰ أن يمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة». وبعبارة: أنكره جميع المعتزلة.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

علىٰ متن جهنم بين الموقف والجنة، لأن جهنم بينهما، ترده المؤمنون والكفار للمرور عليه إلىٰ الجنة، أدق من الشعرة، وأحد من السيف.

وأنكر القرافي تبعًا لشيخه العز كونه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، بل هو متسع، لما ورد ما يدل علىٰ ذلك.

والأظهر أنه مختلف في الضيق والاتساع باختلاف الأعمال.

سباعي

قوله: (متن جهنم): أي ظهرها. قوله: (للمرور عليه): تنازعه كل من ممدود وترده. وقوله: (إلىٰ الجنة): متعلق بالمرور.

قوله: (وأنكر القَرافي... إلخ): عبارة الزركشي: الصراط وردت فيه الأخبار الصحيحة واستفاضت، وهو محمول علىٰ ظاهره بغير تأويل، والله أعلم بحقيقته. وانظر بسط ذلك في اللقاني.
قوله: (بل هو متسع... إلخ): هذا من كلام القَرافي، ونصه: والصحيح أنه عريض وفيه طريقان: يمنىٰ ويسرىٰ، فأهل السعادة يُسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يُسلك بهم ذات الشمال. وفيه طاقاتٌ كل طاقة تنفذ إلىٰ طبقة من طباق جهنم، وجهنم بين الخلائق وبين الجنة، والجسر علىٰ ظهرها منصوب، فلا يدخل الجنة أحد حتىٰ يمر علىٰ جهنم، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] علىٰ أحد الأقوال، وله تتمة انظرها والرد عليه في اللقاني. ورأيت بخط شيخ مشايخنا العدوي بطرة أن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] أي داخلها، وهو التحقيق. اهـ. انظر في ذلك.

صاوي

قوله: (علىٰ متن جهنم): أي ظهرها.

قوله: (الأظهر أنه مختلف): أي وهو الصواب.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (ترده المؤمنون... إلخ): في قوله ترده إشارة إلىٰ ما نُقل من حمل قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] علىٰ ذلك.

وقيل: إن الكفار لا يمرون عليه، بل يُؤمر بهم إلىٰ النار من أول الأمر. وقيل: بعضهم يمر وبعضهم لا.

والمارون عليه مختلفون فمنهم سالم بعمله ناج من الوقوع في نار جهنم، وهم علىٰ أقسام: فمنهم من يجوزه كلمحة البصر، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف، ومنهم كالطير، ومنهم كالجواد السابق، ومنهم من يسعىٰ سعيًا، ومنهم من يمشي، ومنهم من يمر عليه حبوًا، علىٰ قدر تفاوتهم في الأعمال الصالحة والإعراض عن المعاصي، فكل من كان أسرع إعراضًا عنها إذا مرت علىٰ خاطره كان أسرع مرورًا، ومنهم من تخدشه كلاليبه فيسقط، ولكن يتعلق بها فيعتدل ويمر، ويجاوزه بعد أعوام، ومنهم غير السالم، بل يسقط في نار جهنم، وهم متفاوتون أيضًا بقدر الجرائم.

ثم منهم من يُخلد في النار كالكفار، ومنهم من يخرج منها بعد مدة علىٰ حسب ما شاء الله تعالىٰ، وهم عصاة المؤمنين بشفاعة النبي ﷺ أو غيره من الأخيار.

وهو من الممكنات التي أخبر بها الصادق، وكل ما كان كذلك، فيجب الإيمان به، قال

سباعي

قوله: (**وقيل: إن الكفار لا يمرون عليه**): قاله الحليمي وهو ضعيف. نعم يمكن حمله علىٰ أثناء المرور لا علىٰ ابتدائه.

قوله: (**يسعى سعيًا**): أي يجري جريًا. **قوله:** (**ومنهم غير السالم**): معطوف علىٰ قوله: «فمنهم سالم بعمله». **قوله:** (**بشفاعة النبي**): متعلق بقوله: يخرج. **قوله:** (**وهو**): أي الصراط، وهو إشارة

صاوي

قوله: (**وهم على أقسام**): أي ثمانية.

قوله: (**من تخدشه كلاليبه**): أي وهي في حافتيه معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به، كشوك السعدان كما ورد ذلك.

قوله: (**كالكفار**): الكاف استقصائية. والأوضح أن يقول: وهم الكفار.

بصيلة

....

بخيت

....

تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [يس: ٦٦]، وفي الحديث: «يُضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجوزه» وغير ذلك.

قال ابن الفاكهاني: وهو موجود والأخبار عنه صحيحة. انتهىٰ. فذهب أهل السنة إلىٰ إبقائها علىٰ ظاهرها، مع تفويض علم حقيقته إلىٰ الله تعالىٰ، خلافًا للمعتزلة. وقال بعضهم: إنه

سباعي

إلىٰ قياس اقتراني، وهو الذي لم تُذكر نتيجته ولا نقيضها بالفعل، ونظمه: الصراط من الممكنات التي أخبر بها الصادق، وكل ما هو كذلك يجب الإيمان به. وفيه إشارة إلىٰ الدليل العقلي والسمعي معًا.

قوله: (وفي الحديث): أي حديث مسلم عن أبي هريرة، وتقدم لك ذكره. **قوله: (بين ظهراني)**: تثنية ظهر، والمراد بالظهرين النواحي بالنسبة للصراط، وقيل: إن «بين» بمعنىٰ علىٰ، والنون والياء زائدتان، أي علىٰ ظهرها. اهـ. مؤلفه.

قوله: (قال ابن الفاكهاني... إلخ): ولفظه: والصراط الذي وصفناه موجود والأخبار عنه صحيحة. **قوله: (فذهب أهل السنة... إلخ)**: قد تقدمت لك عبارة الزركشي. **قوله: (خلافًا للمعتزلة)**: أي الذاهبين إلىٰ التأويل، وتقدم بيانه قريبًا، فراجعه.

قوله: (وقال بعضهم: إنه سيُوجد... إلخ): مقابل قول ابن الفاكهاني. وقال الزركشي: لم

صاوي

قوله: (بين ظهراني جهنم): تثنية ظهر. والمراد به الجانب أي بين جانبيها، أو النون والياء زائدتان للمبالغة، والمعنىٰ بين أجزاء ظهر جهنم. **قوله: (خلافًا للمعتزلة)**: أي فإنهم يقولون بعدم وجوده ويؤولون ما ورد. **وقوله: (وقال بعضهم)**: أي بعض المعتزلة، فهم افترقوا فرقتين: فرقة

بصيلة

(أو النون والياء زائدتان... إلخ): وذلك لأنه ليس إلا ظهر واحد. **(فإنهم يقولون بعدم وجوده)**: تمسكوا بأنه لا يمكن العبور عليه إذا كان أرق من الشعرة... إلخ، فإيجاده عبث، وإن أمكن

بخيت

قوله: (خلافًا للمعتزلة): تمسكوا بأنه لا يمكن العبور عليه إذا كان أدق من الشعرة... إلخ، فإيجاده عبث، وإن أمكن ففيه تعذيب الأنبياء والصالحين، ولا عذاب عليهم يوم القيامة. **ورُدَّ بأن** العبور عليه ممكن عقلًا بحسب الذات، غايته أنه محال عادي، والأنبياء والأتقياء يجوزون عليه من

سيُوجد عند الحاجة إليه.

(والميزان) وهو قبل الصراط تُوزن به أعمال العباد، ودل عليه الكتاب في آيات متعددة،......

سباعي

يجعلوا فيه الخلاف في النار هل هو مخلوق الآن أو فيما بعد؟ وفي «كنز الأسرار» نقلًا عن بعضهم: يجوز أن يخلقه الله تعالى حين يُضرب على متن جهنم، ويجوز أن يكون خلقه حين خلق جهنم أو نحوه في كلام القاضي عياض.

تنبيهات: **الأول**: ورد في بعض الآثار أن طوله مسيرة ثلاثة آلاف سنة، ألف منها صعود، وألف منها هبوط، وألف استواء. وفي بعض الآثار أن جبريل في أوله وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه، وعن علمهم ماذا عملوا به. وفي بعض الآثار فيه سبعُ قناطر يُسأل كل عبد عند [كل] قنطرة منها عن أنواع من التكليف، وبيانها في كبير اللقاني. **الثاني**: قال الحليمي: لم يثبت أنه يبقى إلى خروج الموحدين من النار ليجُوزوا عليه إلى الجنة، أو يُزال ثم يُعاد لهم أو لا يُعاد، أو تصعد به الملائكة إلى السور الذي في الأعراف. **الثالث**: قال البدر الزركشي: قالوا: ومن الحكمة فيه أن يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى النجاة، ولتصير الجنة أثر تفاوتهم بعدُ، ولتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور. **الرابع**: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها النبي ﷺ: «أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض؟ قال: على الصراط» والله أعلم. اهـ. من اللقاني.

قوله: **(والميزان)**: أي والوزن، ففيه حذف الواو وما عطفت، أي ومما يجب اعتقاده أن الميزان

صاوي

تنكره رأسًا، وفرقة تنكر وجوده الآن، ويقولون: يُوجد عند الحاجة إليه.

قوله: **(في آيات متعددة)**: منها قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، ﴿وَنَضَعُ

بصيلة

ففيه تعذيب الأنبياء والصالحين، ولا عذاب عليهم يوم القيامة. ورُدَّ بأن العبور عليه ممكن عقلًا بحسب الذات، غايته أنه محال عادة، والأنبياء والصالحون يمرون عليه من غير تعب ولا نصب، فمنهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح العاصف... إلى آخر ما دُوِّن.

بخيت

غير تعب ولا نصب، فمنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف... إلى آخر ما ورد.

والسنة حتى بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، والحمل على الحقيقة ممكن، فيجب الإيمان به، وإن كنا لا نعرف حقيقة جوهره. والتأويل بتمام العدل كما ذهب إليه المعتزلة عناد ومكابرة.

سباعي

والوزن حقٌّ ثابت يجب الإيمان بها مثل أخذ العباد الصُّحُف، وذلك بالكتاب والسنة والإجماع كما قال الشارح، ولا يكون في حق كلِّ أحدٍ بدليل الحديث الصحيح، فيُقال: «يا محمد، أدخِل الجنة من أمتك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن» الحديث، وأحرى الأنبياء. وذكر بعضهم أن أهل الصبر لا تُوزَن أعمالهم وإنما يصب لهم الأجر صبًّا.

قوله: (حتى بلغت أحاديثه... إلخ): أي جملتها وإن كانت تفاصيلها آحادًا، وكل ما هو كذلك -أي بلغت جملته مبلغ التواتر- فالعقل يجوِّزه. **قوله: (والحمل)**: أي حمل الميزان على الحقيقة ممكن، فوجب لكونه ورد به الشرع. **قوله: (وإن كنَّا لا نعرف... إلخ)**: قال اللقاني: لم أقف إلى الآن على ماهية جِرْم الميزان من أي الجواهر هو، كما لم أقف على نص في أنه موجود الآن أو سيُوجد.

قوله: (والتأويل): مبتدأ، وقوله: **(عناد)**: خبر.

صاوي

﴿ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٨-٩] إلى غير ذلك من الآيات.

قوله: (وإن كنا لا نعرف حقيقة جوهره): أي فغاية ما نعرف منه أنه كفتان: نورانية للحسنات، وظلمانية للسيئات. **قوله: (عناد ومكابرة)**: أي لأنه إذا أمكن الحمل على الحقيقة فلا يعدل عنها، والعدل عنها بارتكاب المجاز تكلف ومكابرة.

بصيلة

(تكلف ومكابرة): وأيضًا لو جاز حمل الميزان على ما ذُكر، لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجسام في الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمود، وهذا كله فاسد، لأنه رد لما جاء به الصادق، فقد رُوي عن ابن عباس ﷺ: «توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كِفتان ولسان -فقوله: «كِفتان»

بخيت

قوله: (والحمل على الحقيقة ممكن): وقيل: هو عبارة عما يُعرف به مقادير الأعمال. وليس علينا البحث عن كيفيته، بل نؤمن به ونفوض كيفيته إليه تعالى، وهو اختيار كثير منا.

والصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، والجمع في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] للتعظيم، وأن خفة الموزون وثقله على صورته في الدنيا، وأن الكفار تُوزن أعمالهم كالمؤمنين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩] الآية، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨ - ٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، أي نافعًا.

سباعي

قوله: (**لجميع الأمم ولجميع الأعمال**): قال يوسف بن عمر: صفة الوزن أن تُجعل جميع أعمال العباد في الميزان مرة واحدة، فالحسنات في كفةِ النور، والسيئات في كفة الظلمة، ويخلق الله لكل إنسانٍ علمًا ضروريًّا يفهم به خفة أعماله وثِقَلها. اهـ. وعليه فالرجحان معنويٌّ. وقيل: لكل أمة ميزان. وقيل: لكل مكلَّف ميزان. وقيل: للمؤمن موازين بعدد خيراته وأنواع حسناته، فلصومه ميزان، ولصلاته ميزان، وهكذا. ووقوعه بصيغة الجمع يؤيد التعدد، وقد أشار إلى جوابه الشارح بقوله: والجمع... إلخ.

قوله: (**للتعظيم**): نحو ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] وإنما هو رسولٌ واحدٌ. قوله: (**وأن الكفَّار توزَن أعمالهم**): الحاصل أن في وزن أعمال

صاوي

قوله: (**للتعظيم**): أي فهو نظير ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]. قوله: (**على صورته في الدنيا**): أي فالخفيفة تطيش وتعلو، والثقيلة تسقط لأسفل. قوله: (**وأن الكفار توزن أعمالهم**): أي فيُوزن غير الكفر من السيئات ليُجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر. وحسناتهم التي لا تتوقف على نية كالعتق والوقف وصلة الرحم يُخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر، فتُوزن أعمالهم لأجل

بصيلة

بكسر الكاف- وجبريل يأخذ بعموده ناظرًا إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، تحضره الجِنة والناس، وملك موكل بالميزان، فيؤتى بابن آدم فيُوقف بين يدي الميزان، فإن رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق كلها: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خفت ميزانه نادى بضد ذلك». قال اللقاني: لم أقف على جرمه من أي الجواهر هو.

بخيت

....

ولا يكون للأنبياء ولا للملائكة، ولا لمن يدخل الجنة بغير حساب، لأنه فرع عن الحساب، ولا حساب على من ذُكر.

وهو على صورة ميزان الدنيا، له كفتان ولسان، وتُوزن الأعمال بأن تصور الأعمال الصالحة في صورة حسنة نورانية، فتُوضع في كفة النور، وهي المعدة للحسنات، وهي عن يمين العرش

سباعي

الكفار قولين: قيل: توزن. وقيل: لا تُوزن. وحُجة الأول ظواهر الآيات والأحاديث بوزن أعمالهم. وأُوِّل دليل الثاني وهو ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] بأن معناه مفيدًا، كما أوّلوا دليل قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] كالهباءِ في عدم نفعه وحصول فائدته. والحق أن مؤمني الجن كمؤمني الإنس في الوزن، وكفارهم ككفارهم.

قوله: (له): أي للميزان **(كفتان)**: كل كفة منها كطباق السموات والأرض.

صاوي

ذلك لا للنجاة من عذاب الكفر، فإنه لا يُخفف عنهم ولا ينقطع، بدليل أن أبا لهب جُوزي بالتخفيف بسبب عتقه جاريته التي بشرته بولادته ﷺ. وقيل: حسناته التي فعلها يجازىٰ عليها في الدنيا، كسعة الرزق وعافية البدن، ولا يُجازىٰ عليها في الآخرة أصلًا، ويكون ثمرة وزن عمله التشديد في عذاب الكفر وعدمه، لأن الكفار يتفاوتون في العذاب بقدر تفاوتهم في الكفر.

قوله: (ولا لمن يدخل الجنة بغير حساب): أي لما ورد: «يا محمد، أدخِل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن». **قوله: (بأن تصور الأعمال... إلخ)**: أي ولا يُقال: إن فيه قلبًا للحقائق، لأنه مثال، وعلى تسليم أن فيه قلبًا للحقائق يُقال: إن الممتنع قلب أقسام الحكم العقلي لا تصيير المعنى جرمًا، لأن قدرته تعالى صالحة لذلك، فإنه من جملة الممكنات.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (بأن تصور الأعمال... إلخ): بهذا تندفع شبهة المعتزلة، وهي أن الأعمال أعراض وقد عُدمت، فلا يُمكن إعادتها. وعلى تقدير إعادتها لا يُمكن وزنها. **وحاصل الدفع** أنا لا نسلم عدم إمكان إعادة الأعراض المعدومة بأن تُجعل أجسامًا نورانية أو ظلمانية، وحينئذ يمكن وزنها. ولو سُلِّم فيجوز أن يوزن صحائفها. على أن شبهتهم إنما ترد لو كان الميزان ما هو المتعارف عليه. أما لو كان

مقابلة للجنة. وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية، فتوضع في كفة الظلمة المعدة للسيئات، وهي عن شمال العرش تجاه النار.

وقيل: تُوزن الصحف المكتوبة فيها الأعمال، بناءً على أن الحسنات متميزة عن السيئات بكتاب، ويشهد له حديثُ البطاقة. ....

سباعي

قوله: (وهي عن شمال العرش): ويأخذ جبريل عليه السلام بعموده وينظر إلى لسانه، فهو صاحب الوزن يومئذ، وميكائيل أمينٌ عليه، تحضره الجِنَّة والناس كما جاءت به الأحاديث. وظواهر الأحاديث أن وزن الأعمال خفةً وثقلًا على صورة وزن الدنيا فيهما، فما ثقل نزل إلى أسفل ثم يُرفع إلى عليين، وما خفَّ طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سِجين، وبه صرَّح القرطبي. وقال بعض المتأخرين: الصفة مختلفة، وإن عمل المؤمن إذا رجح صعد، وتسفلت سيئاته، وإن الكافر تتسفل كفته لخلوِّ الأخرى عن الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، فإذا علمت ذلك تعلم أن قول الشارح: «وتُوزن الأعمال... إلخ» إشارة إلى طريق آخر غير هاتين الطريقتين.

تنبيهات: الأول: يُؤخذ للمظلوم من حسنات الظالم، فإذا نفدت طُرح عليه من سيئات المظلوم، فإن لم تكن له سيئة كالأنبياء ولا للظالم حسنة كالكافر، عوَّضه الله حسب علمه بظلامته، ثم عذب الظالم بقدرها. وظلامة الذمي يستوفيها ﷺ. وقيل: تسقط كالحربي. **الثاني**: الوزن لغةً: معرفة كمية بأخرى تحقيقًا على وجهٍ مخصوص. والميزان واوي الفاء، قُلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها. (**قوله: وقيل... إلخ**): هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين وأبو المعالي، واستقر به ابن عطية. قال الفخر: وهو الذي قاله عليه الصلاة والسلام حين سُئل عن ذلك.

قوله: (ويشهد له حديث البطاقة): هذا ما استشهد به المحققون. وحاصله أنه روى عبد

صاوي

قوله: (حديث البطاقة): أي فقد ورد ما معناه أن عبدًا كُتب عليه تسعة وتسعون سجلًا من

بصيلة

....

بخيت

عبارة عما يُعرف به مقادير الأعمال مطلقًا فلا.

وهناك صنج مثاقيل الذر يعلم بها كمية التفاوت تحقيقًا لتمام العدل، ....

سباعي

الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن رسول الله ﷺ: «إن الله ليستخلصُ رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجلًا، كُلُّ سِجلٍ منها مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمكَ كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذرٌ أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا لحسنةً، وإنه لا ظُلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقةً -وفي رواية: كالأُنمُلة- فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فيقول: احضر وزنَك. فيقول: يارب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيُقال: إنك لا تُظلَم. قال: فتُوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء». والبِطاقة -بكسر الموحدة- وهي الورقة الصغيرة.

ومما يُستفاد من هذا الحديث أن الوزن هناك ليس بحسب كبر الأجرام وصغرها كما هو المعهود في الدنيا، بل هو بحسب معانٍ وأسرارٍ مُودَعة فيها، كما يشهد به قوله ﷺ: «ولا يثقل مع

صاوي

المعاصي، كل سجل طوله مد البصر، فتُوضع في كفة السيئات، فيقول الله: يا عبدي، هل فعلت حسنة؟ فيقول: لا يا رب. فيقول سبحانه وتعالى: بل بقي لك عندنا أمانة، فيُؤمر بإخراج بطاقة، وهي ورقة صغيرة قدر الأنملة مكتوب فيها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فتُوضع في كفة الحسنات، فتطيش سجلات المعاصي، ولا يثقل مع اسم الله شيء، فيقول: امضوا بعبدي إلى الجنة بفضلي ومغفرتي.

قوله: (**يُعلم بها كمية التفاوت**): أي فتُوضع السيئات في مقابلة الحسنات، فإن رجح أحدهما وُضع صنج بقدر ما رجح، فينعم بقدره أو يعذب بقدره، فإن لم يكن له إلا حسنات فقط أو سيئات فقط، وضعت الصنج في الكفة الأخرى.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (**تحقيقًا لتمام العدل**): أي وإظهارًا لفضائل المتقين، وفضائح العاصين، فاندفع قول المعتزلة بأنه عبث لأن مقادير الأعمال معلومة له تعالى.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

(والحوض) أي حوض رسول الله ﷺ، وورد فيه أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر، وفي الصحيحين: «حوضي مسيرة شهر، ....

سباعي

اسم الله شيءٌ». وما قيل من أن الراجح في الميزان يرتفع والمرجوح يسفل منافٍ لظاهر هذا الحديث.

قوله: (فمن يعمل... إلخ): دليل لقوله: وهناك صنج...إلخ.

لطيفة: الموزونات منها ظاهر، ومنها باطن، فالظاهر منها يُوزَن بميزان ظاهر يعدله ميزان باطن هو المنير من صفات العقل، والباطن تزنه العقول باطنًا، وتعبر عنه الألسن بعبارات متوازنة المخارج والمعاني، فليس إذًا في الدنيا غير الوزن وتوابعه ومعانيه، وفي مثل هذا قول القائل:

مَلِكٌ تقوم الحادثات لِعدْلِه ... فلكلِّ حادثةٍ لها ميزانُ

تتصرَّف الأشياءُ في مَلَكوته ... فلكل شيءٍ مدَّة وأوانُ

قوله: (الحوض): أي ومما يجب الإيمان به حوض النبي ﷺ الذي يُعطاه في الآخرة. **قوله: (بلغَت حدّ التواتر)**: أي بلغت جملتها حد التواتر المعنوي وإن كانت تفاصيلها آحادًا. **قوله: (وفي الصحيحين)**: أي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ولا ينافي التواتر ما ورد في رواية لأحمد من أن «الحوض كما بين عَدَن وعَمّان البلقاء» فعدن مدينة باليمن، وعمان -بفتح العين المهملة وتشديد الميم- مدينة قديمة بالشام، وفي رواية في الصحيحين: «ما بين صنعاء والمدينة». وفي رواية فيهما أيضًا: «ما بين المدينة وعمان»، وفي رواية: «ما بين أيلة ومكة»، وفي رواية لابن ماجه: «ما بين

صاوي

قوله: (وفي الصحيحين... إلخ): وقد ورد فيما أوحى الله إلى عيسى في صفة نبينا ﷺ: «له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس، فيه آنية مثل نجوم السماء، وله كل لون شراب الجنة، وطعم كل ثمار الجنة».

بصيلة

....

بخيت

....

وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، ......

سباعي

المدينة إلى بيت المقدس» لأن كلًّا من هذه المسافات شهر تقريبًا وإن كان بعضها يزيد على بعض، فالمقصود بيان المسافة لا التحديد، وذكر لكل مخاطب ما يعرفه.

وأما رواية: «ما بين جَرْباء وأَذْرُح» فهي دون الشهر، بل دون نصف الشهر، بل قد قيل: إنها مسافة ثلاثة أيام، وإنما تكون غير منافية للروايات إذا كان المراد تمثيل طول المسافة لكل أحد بما يعرفه دون تحديد، وإن استُبعد هذا التأويل، فيُرجع إلى الروايات الراجحة، ورواية ما بين «جَرْباء» بفتح الجيم وسكون الراء وموحدة مقصورًا وممدودًا قرية بالشام، «وأَذْرُح» بفتح الهمزة وسكون المعجمة وضم الراء بعدها حاء مهملة قرية به أيضًا، قيل: إنها غلط. وإن عُدَّ اختلاف الروايات في المسافة اضطرابًا فالقدر المشترك بينها طول المسافة، وكلها مثبتة للحوض، لكن عدُّه اضطرابًا قصور. قال القرطبي: ظن بعض القاصرين أن الاختلاف الواقع في الروايات في قدر الحوض اضطراب وليس كذلك، بل كلها تفيد أنه كبير متسع الجوانب. قال: ولعل ذكره للجهات المختلفة بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهة، فخاطب كل قوم بالجهةِ التي يعرفونها. وقال النووي: ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة، فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة. وقيل: إن سبب هذا الاختلاف الواقع في الروايات ملاحظة اختلاف السرعة وعدمها، فإن البُرُدَ -يعني الرسل- منهم من يقطع مسافة شهر في عشرة أيام، ومسافة عشرة أيام في شهر.

قوله: **(وزواياه سواء)**: معناه أن كلًا من نواحيه الأربع لا يزيد على كلٍّ من بقيتها، كما ورد أن طوله وعرضه واحد في روايات لأحمد بإسناد حسن. اهـ. كمال. قوله: **(أبيض من اللبن)**: الرواية: «أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل» بلفظ اللبن، وفي أخرى: «ماؤه كأنه المخْض» وفي أخرى: «أشد

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

من شرب منه فلا يظمأ أبدًا».

والصحيح أن لكل نبي حوضًا، فليس من خصوصيات نبينا ﷺ، وأنه يكون قبل الميزان.

سباعي

بياضًا من الثلج، وأبرد من الثلج، وأحلىٰ من العسل» هكذا جاءت الروايات بهذه الصفة. **قوله:** (**من شرب منه فلا يظمأ أبدًا**): ظاهره أنه كناية عن دخول الجنة بدون تعذيب بالنار التي دخولها سبب الظمأ. قيل: ويُحتمل أن المراد لا يعذَّب بالظمأ من شرب منه وإن دخل النار، وهذا احتمال بعيد. اهـ. كمال.

قوله: (**والصحيح... إلخ**): ففي حديث الترمذي أن «لكلِّ نبيٍّ حوضًا وأنهم يتباهون أيُّهم أكثر واردة، وأنا أرجو أن أكون أكثرهم واردة». قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن غريب. وروىٰ ابن عباس قال: «سُئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء؟ فقال: إي والذي نفسي بيده إن فيه ماء، وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملكًا بأيديهم عِصِيٌّ من نار يذودُون الكفار عن حياض الأنبياء». **قوله:** (**والصحيح أن لكل نبيٍّ حوضًا**): قال البكري المعروف بابن الواسطي: لكل نبيٍّ حوضًا إلا صالحًا فإن حوضه ضرع ناقته. **فإن قلتَ:** لأي شيءٍ خص الإيمان بحوض نبينا ﷺ حيث قال: «أي حوض رسول الله...إلخ» **قلتُ:** لأن الأحاديث التي بلغت مبلغ التواتر إنما وردت فيه خاصةً. وأما غيره فالوارد فيه إنما هو آحاد لا تكاد تبلغ الصحة. لقاني بمعناه.

قوله: (**وأنه يكون قبل الميزان**): قال القرطبي: اختُلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟ فقيل: الميزان. قال القرطبي: والمعنىٰ يقتضيه، فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا، فيُقدَّم لهم

صاوي

قوله: (**والصحيح أن لكل نبي حوضًا**): أي ولم يصح أن حوض صالح ضرع ناقته.

قوله: (**وأنه يكون قبل الميزان**): أي وهل هو قبل الصراط أو بعده؟ قولان. وبالجملة فالواجب علينا اعتقاد أنه ثابت، وجهل تقدمه علىٰ الصراط والميزان أو تأخره لا يضر في الاعتقاد.

بصيلة

....

بخيت

....

وهل هو حوض واحد أو حوضان، والثاني بعد الصراط؟ قولان. وقيل: الذي بعد الصراط هو الكوثر، وهو نهر في الجنة لا حوض، وإنما الحوض قبل الصراط.

وهو جسم مخصوص يُصب فيه ميزابان من ماء الكوثر، ترده أمته عليه الصلاة والسلام، من شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا، ويكون الشرب في الجنة إنما هو على سبيل التلذذ لا العطش،

سباعي

الحوض قبل الصراط والميزان. وبالجملة قال بعضهم: جَهْلُ التقدم والتأخر في الصراط والميزان والحوض غيرُ قادحٍ في العقيدة بعد اعتقاد الثبوت، وما صحَّ من ذلك واجب اعتقاده.

قوله: (وهل هو حوض واحد أو حوضان): الذي صححه القرطبي أن له ﷺ حوضين، فإذا علمت هذا تعلم ما تقرر في القولة التي قبل هذه على ما صححه، أي على ما رجحه من كلام القاضي عياض من أن الحوض قبل الصراط.

قوله: (وهو): أي الكوثر نهرٌ في الجنة. **قوله: (وإنما الحوض قبل الصراط)**: قال الحافظ ابن حجر: ظاهر الأحاديث أن الحوض بجانب الجنة ينصب فيه الماء من النهر الذي في داخلها، فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب فيه من الكوثر. نقله اللقاني. تأمل. **ورُدَّ على ابن حجر** بأن الحوض إذا كان عند الجنة لم يحتج إلى الشرب منه. **وأُجيب** بأنهم يحبسون هناك لأجل المظالم التي بينهم حتى يتحللوا منها، وهو المسمَّى بموقف القِصاص.

قوله: (إنما على سبيل التلذذ... إلخ): جواب عمَّا يُقال: إذا كان من شرب منه لا يظمأ أبدًا فلا يحتاج إلى الشرب من الكوثر في الجنة، فأجاب بقوله: إنما هو... إلخ.

صاوي

قوله: (ترده أمته): أي والأمين عليه علي بن أبي طالب كما ورد.

قوله: (لا يظمأ بعدها أبدًا): ولو دخل النار فلا يعذب فيها بالعطش.

بصيلة

....

بخيت

....

ويُطرد عنه من بدَّل وغيَّر، إما بالارتداد، وإما أن يحدث في الدين ما ليس منه، كأهل البدع على اختلاف أنواعهم، وكأهل الكبائر المعلنين بها، وكالظلمة الجائرين في أحكامهم، لأن المرتد مخلد في النار. وخالف المعتزلة في ذلك وهم أحق للطرد منه عن غيرهم.

(والنيران) بكسر النون جمع نار، وهي جسم لطيف محرق يميل إلى جهة العلو. والمراد بها دار العقاب الذي أشده النار بجميع طبقاتها السبع، أعلاها جهنم وهي لعصاة المؤمنين ثم تخرب بعد

سباعي

قوله: (ويطرد... إلخ): ففي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «وإني لأصدُّ الناسَ عنه كما يصُدُّ الرجلُ إبلَ الناس عن حوضه. قال: يارسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيمَا ليس لأحدٍ من الأمم، تَرِدُونَه غُرًّا محجَّلين من الوضوء».

قوله: (إلا أن المرتد... إلخ): أي وأما المُبدِّل بالمعاصي فهو في مشيئة الله حتى يمضي مراده.

قوله: (وخالف في ذلك المعتزلة): أي منعوه. قال سيدي يوسف بن عمر: مَن كذَّب به فهو مبتدع.

(قوله: والنيران): أي إن النار ثابتة بالكتاب والسنة واتفاق عظماء علماء الأمة، وكلُّ ما هو كذلك فالإيمان به واجب.

قوله: (جمع نار): الألف من نار منقلبة عن واو، بدليل تصغيرها على نويرة، وتُجمع على نيرة جمع قِلّة، وكذا على أنوار وعلى نيران جمع كثرة، وعلى نُوَر. وأما النور فهو ضوؤها، وهو كل نيِّر.

قوله: (أعلاها جهنم): وفيها من يُعذَّب على قدرِ عمله من المؤمنين ثم يخرج.

صاوي

قوله: (ويطرد عنه من بدَّل وغيَّر): أي فالكافر لا يشرب منه، والمبتدع يشرب منه بعد الرد.

قوله: (دار العقاب): ورد في صفتها أن أرضها من رصاص، وسقفها من نحاس، حيطانها من كبريت، وقودها الناس والحجارة.

بصيلة

....

بخيت

....

خروجهم منها، فلظىٰ، فالحطمة، فالسعير، فسقر، فالجحيم، فالهاوية وباب كلٍّ من داخل الأخرىٰ علىٰ الاستواء. وحرها هواء محرق، لا جمر لها سوىٰ بني آدم والجن والأحجار المتخذة آلهةً من دون

سباعي

وقوله: (فلظى): وفيها اليهود، **(فالحُطَمة)**: وفيها النصارىٰ، **(فالسعير)**: وفيها الصابئون، **(فسَقَر)**: وفيها المجوس، **(فالجحيم)**: وفيها عبدة الأصنام، **(فالهاوية)**: وفيها المنافقون، وقد نظَّم ذلك شيخنا رحمه الله بقوله:

جهنمُ للعاصي لظَىٰ ليهودها ... وحُطْمه دارٌ للنصارىٰ أولي الصَمَمِ

سعيرٌ عذابُ الصابئين ودارهم ... مجوسٌ لها سقْرٌ جحيم لذِي صنَمِ

وهـاويـةٌ دارُ النفاقِ وقيتها ... وأسأل رب العرشِ أمنًا من النِّقَمِ

وتسكن الطاء والقاف للوزن.

قوله: (وباب كلٍّ من داخل الأخرى): أي إن في كل طبقة بابًا ينزل للأخرىٰ علىٰ استواء، لأن كل واحدة علىٰ الأخرىٰ، وبين أعلىٰ جهنم وأسفلها خمسٌ أو سبعمئة سنة، وفيها الحر والبرد

صاوي

قوله: (فلظى): أي وهي لليهود. **قوله: (فالحطمة)**: وهي للنصارىٰ. **قوله: (فالسعير)**: وهي للصابئين فرقة من اليهود زادوا ضلالًا بعبادتهم العجل. **قوله: (فسقر)**: وهي للمجوس عباد النار.

قوله: (فالجحيم): وهي لعبدة الأصنام. **قوله: (فالهاوية)**: وهي للمنافقين، وكل من اشتد كفره، كفرعون وهامان وقارون.

بصيلة

(وهي لليهود): تأكل اليد والرجلين، تدعو من أدبر عن التوحيد، وتولىٰ عن ما جاء به محمد ﷺ.

(وهي للنصارى): تحطم العظام وتحرق الأفئدة. **(وهي للصابئين)**: سُميت بالسعير لأنها لم تُطْفَ منذ خلقت. قال الجراحي: سُميت سقر بذلك لأنها تأكل لحوم الرجال والنساء. وسُميت الجحيم بالجحيم لأنها عظيمة. انظر المناسبة، ولم يصح في محل النار خبر. والأكثر علىٰ أن النار تحت الأرضين.

بخيت

....

الله، نعوذ بالله منها.

(والجنان) جمع جنة، وهي لغة: البستان. والمراد منها: دار الثواب. وهي سبع، أعلاها وأفضلها

سباعي

والجوع، وجميع ما فيها من الآلام التي يجدها الداخلون إنما يكون عند دخولهم متى دخلوها، وإذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم في نفسها ولا في نفس ملائكتها، بل هي ومَن فيها من زبانيتها في رحمةِ الله منعمون متلذِذون يسبِّحون لا يفترون. ذكرَه سيِّدي محيي الدين فيما نقله عنه سيدي عبد الوهاب وأقره. اهـ. شيخنا الشنواني ناقلًا له من كبير عبد السلام، ثم قال: ومن أراد المزيد فعليه به.

قوله: (والجنان): عطفٌ على النيران، أي ومما يجب الإيمان به الجنة. والدليل عليها قصة آدم الآتي بيانها. **قوله: (وهي لغة البستان)**: هكذا قال الجوهري. وقال غيره: هي ما تكاثف من الشجر وظللت أغصانه بعضها على بعض. **قوله: (دار الثواب)**: أي التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ

صاوي

وقد نظم ذلك شيخنا الأمير بقوله:

جهنمُ للعاصي لظَى ليهودها ... وحُطَمه دارٌ للنصارى أولي الصَمَمِ

سعيرٌ عذابُ الصابئين ودارهم ... مجوسٌ لها سقَرٌ جحيم لذِي صنَمِ

وهـاويـةٌ دارُ النفاقِ وقيتها ... وأسأل رب العرشِ أمنًا من النِّقَمِ

وما ذكره الشرح تبع فيه بعض الأحاديث، ولكن آيات القرآن شاهدة بأن كل اسم من تلك الأسماء يُطلق على ما يعم الجميع، لأنه يذكر صفات الكفار بأي وجه ويعبر عن وعيدهم بأي اسم من هذه الأسماء، فتدبر. وذكر ابن العربي أن نار الدنيا من جهنم طُفئت في البحر مرتين، ولولا ذلك لم يُنتفع بها، وبعد أخذ نار الدنيا منها أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم ألف سنة حتى احمرت، ثم ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة.

قوله: (دار الثواب): أي ولها ثمانية أبواب كبار: باب الشهادتين، وباب الصلاة، وباب الصيام،

بصيلة

....

بخيت

....

الفردوس، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة، فجنة المأوىٰ، فجنة الخلد، فجنة النعيم، فجنة عدن، فدار السلام، فدار الجلال، هذا ما ذهب إليه ابن عباس وجماعة.

وذهب الجمهور إلىٰ أنها أربع بدليل ما في سورة «الرحمن». وقيل: الجنة واحدة، وما تقدم أسماء

سباعي

سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر بجميع أنواعها. والمراد بالثواب الجزاء علىٰ الأعمال الصالحة.

قوله: (**وفوقها**): أي الفردوس (**عرش الرحمن**): أي هو سقفها بمعنىٰ أنه متصل بها لعلوِّها، وإن كان سقفًا للجميع لكنه مرتفع كارتفاع السماء عن الأرض. قاله اللقاني في حاشيته علىٰ «الجوهرة».

قوله: (**ومنها تنفجر أنهار الجنة**): أي الأربعة. وإنما كانت الأنهار أربعة لأن التحلي لا يقع إلا علىٰ الأربع صور: ماء ولبن وخمر وعسل، ولكلٍّ منها أهل، فأهل أنهار الماء هم أصحاب العلوم التي تدخلها الآراء، وأصحاب أنهار اللبن الحليب الذي لم يتغير طعمه لعقدِه أو مَخْضِه هم أصحاب الاستنباط الصحيح من الأئمة المجتهدين، وأصحاب أنهار الخمر هم الأمناء من أصحاب العلوم الذوقية، كعلم الخضر عليه السلام، وأصحاب أنهار العسل المُصَفَّىٰ هم أصحاب العلم بالله تعالىٰ وشرائعه من طريق أولي الإيمان وصفاء الإلهام.

قوله: (**فجنة المأوى... إلخ**): انظر هل هي علىٰ هذا الترتيب المذكور؟ أي فالأعلىٰ الفردوس، ويليها جنة المأوىٰ، ويليها جنة الخلد، وهكذا. انظر النصوص في ذلك المعنىٰ.

قوله: (**بدليل ما في سورة الرحمن**): أي من قوله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] أي جنة النعيم وجنة المأوىٰ، ثم قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٢٦] أي جنة عدن وجنة الفردوس. قاله شيخ مشايخنا العدوي عن بعض المفسرين.

صاوي

وباب الزكاة، وباب الحج، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصلة، وباب الجهاد في سبيل الله. ومن داخلها عشرة أبواب صغار. ومحل الجنة فوق السموات السبع، ولم يصح في محل النار خبر.

بصيلة

....

بخيت

....

لمسمًّىٰ واحد، إذ كل اسم صالح لها.

سباعي

قوله: (إذ كل اسم صالح لها): أي لتحقيق معاني تلك الأسماء كلها فيها. وعلىٰ ما ذهب إليه ابن عباس من أنها سبع جنات، قال اللقاني: متجاورَة. وصورة ذلك كما ذكره سيدي محيي الدين كدوائر ثمانية، جنة في قلب جنة، أعلاها جنة عدن بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، وتلي جنة عدن في الفضل جنة الفردوس، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم... إلخ.

وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم أخواتها، فجنة النعيم مثلًا جنةُ خُلد ودار السلام، وجنة مأوىٰ، ودار مقامة، وجميع الجنان بمقام الوسيلة ليتنعموا بمشاهدة طلعته ﷺ، فسائر الجنان تتفرع من مقام الوسيلة، فلها شعبة في كل جنة، ومن تلك الشعبة يظهر محمد ﷺ لأهل تلك الجنة، فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون. اهـ.

ومكان الجنة -كما صرحت به الأحاديث الصحيحة- السماء السابعة وتحت عرش الرحمن، وأرضها تنتهي إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وأبوابها ثمانية كما في الحديث، وفيه «أن مَن كان من أهلِ الصلاة دُعِي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام. فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، ما علىٰ هذا الذي يدخل من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعىٰ منها كلها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر».

قال سيدي محيي الدين: معناه أن دعاء الله الناس إلىٰ الدخول دعاء واحد، منهم من يدخل من بابٍ واحد، ومنهم من يدخل من بابين، ومنهم من يدخل من ثلاثة، وأعمهم دخولًا من دخل من الثمانية في آنٍ واحد. وإيضاح ذلك أن أعضاء التكليف ثمانية، لكل عضوٍ باب. اهـ. من كبير عبد السلام.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

والجنة والنار موجودان الآن، والجنة هي التي أُهبط منها آدم عليه السلام ....

سباعي

قوله: (موجودان): أي وباقيان لا يفنيان ولا يفنى أهلها.

قوله: (والجنة هي التي أُهبط منها آدم): هذا دليل أول على وجود الجنة والنار. والمعنى أن آدم وحوَّاء كانا ساكنين في الجنة ثم أُخرِجا منها بالأكل من الشجرة، وكونهما يخصفان من ورق الجنة على ما نطق به الكتاب والسنة والإجماع قبل ظهور المخالفين. فإن قلتَ: قصة آدم إنما تدل على الجنة فقط؛ قلتُ: لا قائل بخلق الجنة دون النار، فثبوتها بثبوتها. والدليل الثاني الآيات الصريحة في ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [ق: ٣١]، ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

وحمل هذه الآيات على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي مبالغةً في تحقق وقوعه، مثل ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الزمر: ٦٨]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] خلاف الظاهر،

صاوي

قوله: (موجودتان الآن): أي ويبقيان ببقاء الله، خلافًا للجهمية القائلين بفنائهما وفناء أهليهما، وهم كفار. وقوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] المراد سقف الجنة والنار وأرضهما، لا سماء الدنيا وأرضها، لتبدلهما قبل الدخول. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] أي بدخول النار أولًا، ثم يخرجون منها، فخلودهم إما من غير سابقة عذاب، أو مع سابقته، وهذا في السعداء،

بصيلة

....

بخيت

قوله: (والجنة والنار موجودان الآن): لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وأُورد عليه أنهما دارا ثواب وعقاب، وذلك غير واقع قبل يوم القيامة إجماعًا من قِبل المسلمين، فلا فائدة في خلقهما الآن؛ وأُجيب: بأنه تعالى لا يجب عليه رعاية المصلحة والحكمة عندنا. ولو سُلِّم فلا تنحصر فيما ذُكر. ولو سُلِّم فلا نسلم عدم وقوعه قبل يوم القيامة، إذ قد ورد أنه يُفتح للمؤمن في

خلافًا للمعتزلة الذاهبين إلى أنهما سيُوجدان في الآخرة.........

سباعي

فلا يُرتكب إلا لرد قاطع بعدم عن إبقاء تلك النصوص على ظواهرها، ولذا قال بعضهم: اتفق سلف الأمة ومن تابعهم على إجراء الآي والأحاديث على ظاهرها من غير تأويل، وأجمعوا على أن تأويلها من غير ضرورة إلحاد في الدين. **فإن عورض هذا الدليل** بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص: ٨٣]؛ **أُجيب**: بأنه يحتمل الحال والاستمرار، ولو سُلِّم فقصة آدم تبقى سالمة عن المعارض.

قوله: (خلافًا للمعتزلة): المراد أكثرهم كما قال السعد، ولما كان القائل بعدمهما الآن ووجودها عند الحاجة إليهما الأكثر والأعظم كأبي هاشم الجبائي وعبد الجبار وأتباعهما. قال: خلافًا للمعتزلة.

قوله: (الذاهبين... إلخ): أي وتمسكوا في ذلك بوجوه: **الأول**: أن خلقهما قبل يوم الجزاء عبثٌ لا يليق بالحكيم، وضعفُه ظاهر. **الثاني**: أنهما لو خُلقتا لهلكتا لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾

صاوي

ويُقال في الأشقياء ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ من مدة البرزخ والموقف. وانظر بسط الأجوبة في حاشيتنا على الجلالين إن شئت.

قوله: (إلى أنهما سيُوجدان في الآخرة): أي وخلافًا للفلاسفة، فإنهم أنكروا وجودهما بالمرة.

بصيلة

(وخلافًا للفلاسفة): اعلم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، لقوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

بخيت

قبره باب إلى الجنة، وللكافر باب إلى النار. ولم يرد نص صريح في تعيين مكانهما، والأكثرون على أن الجنة فوق السماء السابعة وتحت العرش لقوله تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٤ – ١٥]، وقوله عليه السلام: «سقف الجنة عرش الرحمن»، وأن النار تحت الأرضين.

قوله: (خلافًا للمعتزلة الذاهبين... إلخ): قالوا لأنهما لو كانا موجودين الآن فإما في عالم الأفلاك، أو في عالم العناصر، أو في عالم آخر، والكل باطل.

أما الأول والثاني: فلأنه ورد في التنزيل أن عرض الجنة كعرض السماوات والأرض، فكيف توجد الجنة والنار معًا فيهما.

....

سباعي

[القصص: ٨٨]، واللازم باطل للإجماع على دوامهما للنصوص الشاهدة بدوام أُكُل الجنة وظلها. وأُجيب بتخصيصهما من آية الهلاك جمعًا بين الأدلة، ويُحمل الهلاك على غير الفناء، بأن يُحمل على الخروج عن الحدِّ الذي يُراد له، وبأن الدوام المجمع عليه هو أنه لا انقطاع لبقائهما ولا انتهاء لوجودهما، بحيث لا تبقيان على العدم زمانًا يُعتد به كما في دوام المأكول، فإنه على التجدد والانقضاء قطعًا، إذ لا يمكن دوام مأكولٍ بعينه، وإنما المراد بالدوام أنه إذا فنى شيءٌ جِئ ببدله، وهذا لا ينافي الفناء لحظة.

والثالث: أنهما لو وجدتا ففلكيات هذا العالم لا تسعهما، وكذلك عنصرياته، وكونهما في عالم

صاوي

....

بصيلة

[آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وقالت المعتزلة: إنهما ليسا مخلوقين الآن، بل يُخلقان يوم الجزاء، لأنهما لو كانا موجودين فإما في عالم الأفلاك، أو في عالم العناصر، أو في عالم آخر، والكل باطل. أما الأولان، فلأنه ورد في التنزيل أن عرض الجنة كعرض السماوات والأرضين، فكيف تُوجد الجنة والنار معًا فيهما. وأما الثالث فلأنه يستلزم الخلاء بينهما. **والجواب** امتناع الخلاء، ولو سُلِّم يمكن أن تكون الفرجة مملوءة بجسم آخر. **قلت:** إذا كانت الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش كما هو ظاهر الحديث، يكون عرضها كعرض السماوات والأرض من غير إشكال. **بقي أن يُقال من طرف المعتزلة:** ما فائدة الجنة الآن وأفعاله لا تخلو عن المصالح؟ **الجواب:** أنه لا يجب عليه تعالى رعاية المصلحة. على أنه قد ورد: «أنه يُفتح للمؤمن في قبره باب إلى الجنة، وللكافر باب إلى النار» وأي فائدة أعظم من هذه. اهـ. ملخصًا من الجلال الدواني.

بخيت

وأما الثالث: فلأنه يستلزم الخلاء لأن الفلك بسيط كروي، فلو وُجد عالم آخر لكان مشتملًا على العناصر والأفلاك أيضًا، ضرورة أن له جهات مختلفة تُحدد بمحيط، فتلك الأفلاك لكونها بسيطة كروية أيضًا، فسواء تماسا أو انفصلا يلزم أن يوجد بينهما فرجة، إذ لا تماس بين الكرتين إلا بنقطة واحدة، **والجواب:** بمنع امتناع الخلاء، ولو سُلِّم فيمكن أن تكون الفرجة مملوءة بجسم آخر، وبأنه إذا كانت الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش كما هو ظاهر الحديث يكون عرضها كعرض

وأن آدم أُهبط من بستان على ربوة من الأرض...

سباعي

آخر مستلزم للمحال الذي هو الخرق والالتئام لمقدمات بنوها على قواعد فلسفية جهلًا أو عنادًا. تُعلم من كبير اللقاني. **وملخَّص الجواب** أن الجنة والنار موجودتان الآن في عالم يعلمه الله الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا. وفي الحديث أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ «تدعوني إلى جنة عرضُها السماوات والأرض، فأين النار؟ فقال عليه السلام: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار» وهو حديث صحيح يشهد له ما أخرجه الحاكم وصححه عن أبي هريرة: «أن أعرابيًا قال: يا رسول الله أرأيت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فأين النار؟ فقال: رسول الله ﷺ أرأيت الليل إذا جاء، فأين يكون النهار؟ قال السائل: الله ورسوله أعلم. فقال: كذلك الله يفعل ما يشاء» اهـ. من اللقاني بزيادة الحديث من عبد السلام.

قوله: (وأن آدم): معطوف على قوله: «إلى أنهما... إلخ»، وحمل الجنة في قصة آدم على بستان من بساتين الدنيا، وآدم على رجل كان يُسمَّى بذلك، وكان في حديقة على ربوة فعصى فيها فأُهبط

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

السماوات والأرض من غير إشكال.

فإن قلت: إن كانت تحت الكرسي يكون سقفها الكرسي لا العرش، وإن كانت فوقه فلا يكون عرضها كعرض السماوات والأرض، بل أعظم بكثير، لما روي عنه ﷺ أنه قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي، إلا كحلقة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» بل على فرض أنها فوق السماوات السبع وتحت الكرسي يكون عرضها أعظم أيضًا، بناء على أن قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] يدل بظاهره على كون الجنة كروية أيضًا، فتكون كرة محيطة بالسماوات والأرض، فتكون أعرض منهما؛ **قلت**: المختار أنها فوق الكرسي، ولا محذور لأن الآية من قبيل الكناية عن زيادة اتساعها جدًّا، بدليل أنه لو فُرض أن عرضها مساوٍ لعرض

(و) يجب الإيمان بوجود (الجن) وهم أجسام لطيفة نارية........

سباعي

منها إلى بطن الوادي يجري مجرى التلاعب بالدين والمزاحمة لإجماع المسلمين.

قوله: (بوجود الجن): قال النووي: الجن موجودون وقد يراهم بعض الآدميين. وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧] فمحمول على الغالب، ولو كانت رؤيتهم محالًا لما قال النبي ﷺ في الشيطان الذي تفلت عليه في صلاته: «لقد هممت أن أربطه حتى تصبحوا تنظرون إليه كلكم، وتلعب به ولدان المدينة». وقال القاضي عياض: قيل: رؤيتهم على خلقتهم وصورهم الأصلية ممتنعة لظاهر الآية إلا للأنبياء ومن خُرقت له العادة، وإنما يراهم بنو آدم في صور غير صورهم كما جاء في الآثار. قلتُ: هذه دعوى مجرَّدة، فإن لم يصح لها مستند فهي مردودة. اهـ. كلام النووي. قال اللقاني: قلتُ: وجزم شيخ الإسلام بما جزم به النووي. اهـ. من اللقاني بحروفه.

قوله: (ناريَّة): الذي في صغير اللقاني: والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة ويظهر منها أفعال عجيبة، منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي. والشياطين أجسام نارية شأنها إلقاء الناس في الفساد والغواية بتذكيرنا أسباب المعاصي واللَّذات، وإنسائنا من جميع الطاعات وما أشبه ذلك، قال سبحانه وتعالى حكايةً عن الشيطان: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. قال: قيل: تركُّبُ الأنواع الثلاثة -يعني الشياطين والجن والملائكة- من امتزاج العناصر الأربعة، إلا أن الغالب على الشياطين عنصر النار، وعلى الأخيرين عنصر الهواء. وانظر تعليل ذلك في الشرح المذكور.

صاوي

قوله: (ويجب الإيمان بوجود الجن): أي ومن أنكر وجودهم كَفَر لمصادمة القرآن.

بصيلة

....

بخيت

السماوات والأرض، فيكون طولها أعظم لا محالة، فتكون أوسع من السماوات والأرض، وإن لم يكن لها طول وعرض في الواقع إن كانت كرة، إذ لا يجب في الكنايات إمكان المعنى الحقيقي.

لهم قدرة على التشكلات، (و) بوجود (**الأملاك**) وعصمتهم أيضًا، ....

سباعي

قوله: (وبوجود الأملاك): أي ويجب الإيمان بوجود الأملاك. **وقوله: (وعصمتهم)**: أي ويجب الإيمان بعصمتهم، وهي **لغةً**: المنع والحماية. **واصطلاحًا** بناء على أصلنا معاشر أهل السنة من إسنادنا جميع الممكنات للفاعل المختار ابتداءً وبلا واسطة: أن لا يخلق في المكلَّف الذنب مع بقاء قدرته واختياره. وقال العدوي: وهذا معنى قولهم هي لطف من الله بالعبد يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء. اهـ. نقلًا عن السعد. **وقوله: (أيضًا)**: أي كما

صاوي

قوله: (على التشكلات): أي بأي صورة جميلة أو قبيحة، وتحكم عليهم الصورة.

بصيلة

(وتحكم عليهم الصورة): يعني أن أي صورة تصور فيها الجن صار لهم في تلك الصورة خواصها، ففي الحية يصير فيها السم، وفي الكلب العقر، وفي الغنم طيب اللحم وعدم الأذى، وفي الحمار الحمل، وكذا بقية الصور، وتستمر تلك الصورة وخواصها، فإذا بُودر لقتله فيها، تعذر عليه التحويل لحكم الصورة عليه، بخلاف الملائكة. **فإن قلت**: إذا تصور جبريل مثلًا بجسم آدمي كدِحية الكلبي، أين يذهب بقية جسده وله ستمئة جناح، كل جناح منها يملأ ما بين المشرق والمغرب؟ فإن قلتم: باق، لزم تداخل الأجسام الكثيرة في الأجسام القليلة؛ وإن قلتم: غير باق، فما هذا جبريل، بل خلق آخر. **جوابه**: أنه جُعل لجبريل ﷺ جواهر أصلية ترد عليها الكثيرة وتذهب، كما جُعل للإنسان جواهر أصلية يرد عليها السمن والهزال. اهـ. جراحي.

تتمة: الملائكة معصومون، وما صدر منهم في قصة خلق آدم من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية لم يكن على سبيل الاعتراض، بل على سبيل عرض الشبهة لدفعها، ونسبة الإفساد والسفك إليه ليس غيبة كما توهم، بل لمثل ذلك، وقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ... إلخ﴾ [البقرة: ٣٠] ليس من قبيل تزكية النفس والعجب، بل لتتمة تقرير الشبهة. وأما إبليس

بخيت

قوله: (وعصمتهم أيضًا): وما صدر منهم في قصة خلق آدم من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية لم يكن على سبيل الاعتراض، بل على سبيل عرض الشبهة لدفعها،

قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، جمع ملك وهو جسم لطيف روحاني نوراني له القدرة على التشكلات الجميلة، ويجب الإيمان بهم إجمالًا فيمن عُلم منهم إجمالًا، وتفصيلًا فيمن عُلم منهم تفصيلًا بالشخص كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، وهم رؤساء

سباعي

يجب الإيمان بوجودهم يجب الإيمان بعصمتهم أيضًا، من آض يئيض إذا رجع.

وقوله: (**قال... إلخ**): دليل على الثاني، ويُؤخذ منه دليل الأول بداهة على أنه ورد به السمع في غيرِ ما آية. **قوله**: (**له القدرة... إلخ**): أي جعل الله تعالى له القدرة على ذلك. **وقوله**: (**الجميلة**): قال مؤلفه: كأن يكون في صورة طائر جميل أو آدمي كذلك. اهـ. وهو كامل في العلم والقدرة على الأفعال الشاقَّة، شأنه الطاعات، ومسكنه السماوات، وهم رسل الله إلى أنبيائه وأمناؤه على وحيه.

صاوي

قوله: (**على التشكلات الجميلة**): المراد بها ما عدا الخسيسة، كالكلب والخنزير، فيشمل الفظيعة الهائلة، كمالك خازن النار ومنكر ونكير وعزرائيل في إتيانهم الكفار، ولا تحكم عليهم الصورة.

بصيلة

فالأكثرون على أنه ليس ملكًا، وما اشتُهر من قصة هاروت وماروت ليس بصحيح عند المحققين، أو أنهما رجلان سُمِّيا ملكين لصلاحهما. وعلى تقدير ثبوت القصة وأنهما ملكان قد يُقال: قد رُكبت فيهما الشهوة، فلم يبقيا على صرفة الملكية.

بخيت

ونسبة الإفساد والسفك إليه ليس غيبة كما توهم، بل لمثل ذلك. على أن الغيبة لا تُتصور في حق من لم يوجد بعد. وقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ... إلخ﴾ [البقرة: ٣٠] ليس من قبيل تزكية النفس والعجب، بل لتتمة تقرير الشبهة.

وأما إبليس فالأكثرون على أنه ليس مَلَكًا. وما اشتهر من قصة هاروت وماروت ليس بصحيح عند المحققين أو أنهما رجلان سُمِّيا ملكين لصلاحهما. ويؤيده قراءة «الملِكين» بكسر اللام. وعلى تقدير ثبوت القصة وأنهما ملكان، قد يُقال: قد رُكبت فيهما الشهوة، فلم يبقيا على صرفة الملكية.

قوله: (**ما أمرهم**): أي في الماضي عن وقت النزول، و(**يؤمرون**): أي في المستقبل. وأما قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] فللاستمرار.

الملائكة عليهم الصلاة والسلام أجمعين، ومنكر ونكير، ورضوان خازن الجنان، ومالك خازن النيران. أو بالنوع كحملة العرش، وأعوان السيد عزرائيل، والحفظة، وهم ملائكة موكلون بحفظ البشر ولو صغيرًا وكافرًا من الجن مثلًا،..

سباعي

قوله: (منكر ونكير): قيل: هذا باعتبار الكافر. وأما باعتبار المؤمن فهما مبشر وبشير.

قوله: (أو بالنوع): معطوف على قوله: «بالشخص» وهو راجع لقوله: «إجمالًا». وقوله: «بالشخص» راجع لقوله: «تفصيلًا» ففي كلامه لفٌّ ونشر مُشوش. **قوله: (كحملة العرش)**: أي الثمانية كما في الآية. **قوله: (وأعوان السيد عزرائيل)**: عطف على قوله: «كحملة العرش»، وكذا قوله: «الحفظة». **قوله**: (وهم): أي الحافظون. **وقوله: (بحفظ البشر)**: متعلق بموكلون. **وقوله: (من الجن)**: متعلق بحفظ البشر. **فإن قلتَ**: هل على الجن والملائكة حفظة؟ **قلتُ**: تردد في ذلك الجزولي، ثم جزم بأن على الجن حفظة، واستبعد القول بذلك في الملائكة. قال اللقاني: ولم أقف عليه في الجن لغيره. اهـ. والحق الوقف عن ذلك فيهما، لكن الجزولي حافِظ، ومَن حفظ حُجة على من لم يحفظ.

قوله: (وكافرًا): أي لأنه تضبط أنفاسه وأعماله له وعليه. ولفظ النووي: الصوابُ الذي عليه

صاوي

قوله: (كحملة العرش): وهم في الدنيا أربعة، وفي الآخرة ثمانية.

قوله: (موكلون بحفظ البشر): أي تكرمة لهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

قوله: (من الجن مثلًا): أي والعاهات والآفات.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (منكر ونكير): لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا أُقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يُقال لأحدهما منكر، وللآخر نكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يُفتح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنور له فيه، ثم يُقال له: نم. فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم كنوم العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه. حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك. وإن كان منافقًا، فيقول: سمعت الناس يقولون قولًا، فقلتُ مثلهم، لا

قال تعالىٰ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١].

والكتبة، وهم ملائكة يكتبون علىٰ المكلف جميع ما صدر منه..........................

سباعي

المحققون، بل نقل فيه بعضهم الإجماع أن الكافر إذا فعل أفعالًا جميلة كالصدَقة وصِلة الرحم ثم أسلم ومات علىٰ الإسلام أن ثواب ذلك يُكتب له. وأما دعوىٰ أنه مخالف للقواعد فغير مسلمة. اهـ. قال اللقاني: قلتُ: وضابط ذلك كما قاله بعضهم الطاعات التي لا تتوقف علىٰ نيَّة. وقد سلمه ابن حجر وابن المنير وابن بطال المالكيان أيضًا. وممن نصَّ علىٰ أن علىٰ الكافر حفظةٌ يوسف بن عمر. قال بعضهم: وهو الذي لا يصح غيره، وهو الجاري علىٰ القول بتكليفهم بفروع الشريعة. والصحيح كَتْب حسنات الصبي وإن كان المجنون لا حفظة عليه، لأن حالته ليست متوجهة للتكليف، بخلاف الصبي. اهـ.

قوله: (قال تعالىٰ... إلخ): دليل علىٰ وجود الحفظة. **وقوله: (من أمر الله)**: من بمعنىٰ الباء.

قوله: (والكتبَة): معطوف علىٰ قوله: «كحملة العرش» عطف مغايرة كالذي قبله.

قوله: (يكتبون): اللائق أن الكتب حقيقي بآلة وقِرطاس ومِداد حقيقة يعلمها الله سبحانه وتعالىٰ، حملًا للنصوص علىٰ ظاهرها كما هو الواجب، وعلم الآلة مفوَّض إليه سبحانه. غاية

صاوي

قوله: (من أمر الله): أي من ضرر خلقه الجن والأنس وغيرهم. وقيل: «من» بمعنىٰ الباء، أي بأمره عن كل مكروه، فإذا جاء القدر تخلوا عنه. قال كعب الأحبار: لولا أن الله تعالىٰ وكَّل بكم حفظةً يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم، لتخطفتكم الجن.

قوله: (يكتبون... إلخ): أي وحكمة الكتابة أن العبد إذا علم بها استحيىٰ وترك المعصية.

بصيلة

....

بخيت

أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيُقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذَّبًا حتىٰ يبعثه الله تعالىٰ من مضجعه ذلك».

وأنكر الجبائي وابنه والبلخي تسمية الملكين منكرًا ونكيرًا، وقالوا: إنما المنكر ما يصدر عن الكافر عند تلجلجه إذا سُئل، والنكير إنما هو تقريع الملكين له، وهو خلاف ظاهر الحديث.

من قول ولو نفسيًّا وفعل واعتقاد، لا يفارقونه إلا في حالة الجماع والغسل والخلاء. والمشهور أنهما ملكان يُسمىٰ أحدهما الرقيب، والثاني العتيد، كما في سورة «ق»..........................

سباعي

الأمر اعتقاد أنهما يكتبان علىٰ شيء يحتمل الطيَّ والنشر لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، والذي خلقهم وخلق غيرهم لا يعجز أن يخلق لهم سوىٰ الأوراق والجلود وسائر ما يكتب الناس عليه شيئًا يكتبون عليه، إما بقلم يخلقه لهم سوىٰ هذه الأقلام، أو بشيء آخر، مِداد أو غير مِداد.

وأما حديث: «إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة» فمحمول علىٰ أن المُراد دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبرُّك عليه. ولا يمنع ذلك دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح، علىٰ أن الخطابي قال: المُراد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة لا الحَفَظة، فإنهم لا يفارقون، والله أعلم. من كبير عبد السلام.

قوله: (من قول... إلخ): بيانٌ لـ«ما» من قوله: ما صدر عنه. **قوله: (لا يفارقون إلا في حالة الجماع... إلخ)**: وذلك لا يمنع من كتبهم ما صدر عنه في تلك الأحوال، كالاعتقاد القلبي، يجعل الله لهم أمارة علىٰ ذلك. **قوله: (والمشهور أنهما ملكان)**: أي بالنوع وهو المعتمد. **قوله: (كما في سورة «ق»)**: وهو قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

صاوي

قوله: (لا يفارقونه إلا في حال الجماع... إلخ): أي فإذا فعل في تلك الأحوال الثلاث حسنة أو سيئة، فإنهم يعرفونها بنتن رائحة السيئة، وطيب رائحة الحسنة.

قوله: (يُسمَّى أحدهما: الرقيب): وهو كاتب الحسنات. **وقوله: (والثاني: العتيد)**: أي وهو كاتب السيئات. وقيل: كلٌّ يُسمَّىٰ بكلٍّ، وجعل الله كاتب الحسنات أميرًا علىٰ كاتب السيئات، فإن فعل حسنةً كُتبت حالًا، وإن فعل سيئة يقول كاتب السيئات: أكتب؟ فيقول له كاتب الحسنات:

بصيلة

....

بخيت

....

ولكل يوم وليلة ملكان يتعاقبون عند صلاة العصر وصلاة الصبح، وقيل: بل هما ملكان فقط لا يتغيران ما دام حيًّا، فإذا مات جلسا على قبره يستغفران، أي إن كان مؤمنًا. ومحلهما من الإنسان عاتقاه، وقيل: ذقنه. وقيل: شفتاه. وقيل: عنقه..

سباعي

قوله: (ولكل يوم وليلة ملكان): أي بالنوع، فهو من تتمة المشهور، وإنما قال: والكتبَة بالجمع لمشاكلة ما قبله.

قوله: (وقيل: بل هما ملكان فقط): أي بالشخص، وهو مقابل المشهور. **قوله: (أي إن كان مؤمنًا)**: أي ويلعنانه إن كان كافرًا. **قوله: (عاتقاه)**: أي كتفاه: أحدهما على عاتقه الأيمن وهو كاتب الحسنات، والآخر على عاتقه الأيسر وهو كاتب السيئات. وكاتب الحسنات أمين على كاتب

صاوي

اصبر لعله يستغفر ويتوب. فإن تاب كتب حسنة، فإن لم يتب بعد ست ساعات فلكية، قال له كاتب الحسنات: اكتب، أراحنا الله منه. وتُعرض صحائف الأعمال صباحًا ومساءً على رسول الله، فإن رأى خيرًا حمد الله وشكر لصاحبه، وإن رأى غير ذلك استغفر لفاعله.

قوله: (ولكل يوم وليلة ملكان... إلخ): المعتمد أن الحفظة عشرة بالليل، وعشرة بالنهار و«يجتمعون في صلاة الصبح والعصر، فيسألهم الله وهو أعلم بهم فيقول لهم: كيف تركتم عبادي، فيقولون: يا ربنا تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» كما ورد بذلك الحديث الصحيح، ولا يفارقون الشخص أبدًا إلى الممات، فإذا مات فقد فرغ حفظهم له. وهم واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، وآخر أمامه، وآخر خلفه، واثنان على عينيه، وواحد على شفته، واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبي ﷺ، وواحد آخذ بناصيته، فإن تواضع رفعه، وإن تكبر خفضه.

إن قلت: إنا نجد تخلف حفظهم له بأن تُفقأ عينه مثلًا؛ **يجاب بأن** هذا أمر مبرم، فلابد من إنفاذه، وهكذا كل مبرم. **قوله: (إن كان مؤمنًا)**: أي ويلعنانه إن كان كافرًا.

بصيلة

....

بخيت

....

وقيل: الناجذان. وقيل: إن الكتبة هم الحفظة. وبالجملة الواجب اعتقاده أن على الإنسان حفَظَةً

سباعي

السيئات، فلا يمكنه من كتبها إلا بعد مُضيٍّ ست ساعات من غير توبة من المكلَّف أو استغفار أو فعل مكفِّر لها، مع مبادرته بكتب الحسنات فورًا، وفي بعض الآثار أن كتْب المباحات على القول به لكاتب السيئات. ويؤرخون ما يكتبون من أعمال العباد بالأيام والجُمَع والشهور والأعوام والأماكن. فعليك بمحاسبة نفسك لتريح الملائكة من التعب، وتخفف عليك من الرهب، فعدِّد على نفسك كل صباح جميع ما عملته ليلًا، وكل مساء جميع ما عملته نهارًا، ثم كل جمعة كذلك، ثم كل شهر كذلك، ثم كل عام كذلك. ثم دُمْ مدَّة حياتك على ذلك، فما وجدته في ذلك كله من حسنة حمدت الله عليه، ومن سيئة استغفرت الله وتبت منها. وأقرب منه إلى السلامة أن تحاسبها على كل فعلٍ قبل الإقدام عليه حتى لا تتلبس به إلا بعد معرفة حكم الله فيه، فما كان خيرًا فعلته، وما كان شرًّا أمسكت عنه. فمن حاسب نفسه في الدنيا هان عليه حساب الآخرة.

قوله: (الناجِذان): هما جانبا الناب من داخل.

قوله: (وقيل: إن الكتبة... إلخ): وعليه فيكون العطف مرادفًا، والحق ما تقدَّم، فقد ذكر بعضهم أن المعقبات في الآية غير الكاتبين بلا خلاف.

قوله: (وبالجملة): أتى به قطعًا للنزاع في هذه المسألة وهو أن الشيخ العزيزي ﷺ لما قرر هذا المحل قال: إن من لم يعلم الملائكة تفصيلًا يكون كافرًا. والحق الذي انحط عليه الحال أنه لا يكفر إلا إن أنكر الملائكة.

صاوي

قوله: (وقيل: الناجذان): هما مؤخر أضراسه اليمين واليسار، وقلمهما لسانه، ومدادهما ريقه.

قوله: (وقيل: إن الكتبة هي الحفظة): هذا ضعيف. والمعتمد أنهم غيرهم، فالحفظة عشرون بالليل والنهار، والكتبة ملكان رقيب وعتيد كما علمت.

بصيلة

....

بخيت

....

وكتَبَـةً على سبيل الإجمال.

(ثم) يجب الإيمان بوجود (الأنبيا) عليهم الصلاة والسلام تفصيلًا فيما عُلم منهم تفصيلًا، وهم المذكورون في القرآن، كمحمد عليه الصلاة والسلام، وآدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، واليسع، وذي الكفل، وإلياس، ويونس وهو ذو النون -أي الحوت- وأيوب، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وداود، وسليمان، وشعيب، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإجمالًا فيما عُلم منهم إجمالًا. والأولى ترك حصرهم في عدد معين لقوله تعالى:

سباعي

قوله: (والأنبياء): فيه حذف الواو مع ما عطفت، أشار إلى ذلك بقوله: «ويجب... إلخ»، وهو متعلق بقوله: «تفصيلًا». والأنبياء جمع نبي، كالأولياء جمع ولي. وقد تعرض الشارح لتعريفه في الخطبة وسبق الكلام عليه هناك. وآثر ذكر النبوة على ذكر الرسالة إما لأنه يُعلم منه وجوب الإيمان بوجود الرسل بالطريق الأولى، أو أنه لاحظ القول بالترادف.

فائدة: الأنبياء كلهم عجم إلا خمسة: محمدٌ، وإسماعيل، وهُود، وصالِح، وشُعيب. وأسماؤهم كلها أعجمية إلا أربعة: محمد، وشعيب، وهود، وصالح، وحينئذ فمحمد وشعيب وهود وصالح ذواتهم عربية وكذا أسماؤهم. وأما إسماعيل فاسمه أعجميٌّ وذاته عربية، خلافًا لمن فهم خلاف ذلك. اهـ. شبرخيتي.

فائدة أخرى: أسماء الملائكة كلها ممنوعة من الصرف إلا أربعة: مالك، ورضوان، ومنكر، ونكير.

قوله: (تفصيلًا): منصوب على التمييز. **قوله: (كمحمد)**: الكاف أدخلت الأسباط ولقمان والعزيز وذا القرنين على قول في الثلاثة الأخيرة. **قوله: (وإجمالًا)**: عطف على قوله: تفصيلًا.

صاوي

قوله: (تفصيلًا... إلخ): المراد أنه بحيث لو سُئل عن واحد منهم لم ينكر كونه نبيًّا، وإن لم يحفظ أسماءهم عن ظهر قلب.

بصيلة

....

بخيت

....

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، ولا يؤمن في ذكر العدد أن يُدخل فيهم من ليس منهم، لجواز أن يذكر أكثر من الواقع، أو يخرج منهم من هو منهم إن كان العدد أقل. وما رُوي أن النبي ﷺ سُئل عن عددهم فقال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا»، وفي رواية: «مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفًا» فخبر آحاد لا يفيد القطع، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات.

ويجب اعتقاد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين أفضلهم..................

سباعي

قوله: (فخبر آحاد): أي وخبر الآحاد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة في أصول الفقه لا يفيد إلا الظن، ولاعبرة بالظن في باب الاعتقادات كما قال، خصوصًا إذا اشتمل على اختلاف رواية، وكان القول بموجبه مما يفضي إلى مخالفة ظاهر الكتاب، وهو أن بعض الأنبياء لم يذكر للنبي ﷺ، ويحتمل إلى مخالفة الواقع وهو عد النبي من غير الأنبياء، أو غير النبي من الأنبياء، على أن اسم العدد اسم خاص، أي نص في مدلوله لا يحتمل الزيادة ولا النقصان.

قوله: (ويجب اعتقاد أن محمدًا أفضلهم): يعني أن أفضل المخلوقات العلوية والسفلية من بشر وجن وملك في الدنيا والآخرة في سائر خلال الخير ونعوت الكمال هو نبيُّنا محمدٌ ﷺ، فإن آياته ومعجزاته أبهر الآيات والمعجزات وأشهرها، وأمته أزكى الأمم وأكثرها، وذاته أكمل الذوات

صاوي

قوله: (لا يفيد القطع): أي والكلام في الاعتقاديات وهي لا تكون إلا بالقطعي.

قوله: (أفضلهم): أي الأنبياء، ومن باب أولى غيرهم، فهو أفضل الخلق على الإطلاق، جنًّا وأنسًا وملكًا، دنيا وأخرى، في جميع الخصال بإجماع المسلمين ماعدا الزمخشري، فإنه خرق الإجماع،

بصيلة

(في جميع الخصال): أي ونعوت الكمال، فإن آياته ومعجزاته أبهر الآيات والمعجزات

بخيت

قوله: (وفي رواية مئتا ألف... إلخ): اختلاف الأخبار منه ﷺ محمول على اختلاف الكشف، أو أن العدد لا مفهوم له.

قوله: (وأفضلهم... إلخ): قال العضد: ومعنى الأفضلية -أي المعنى المراد بها هنا- أنه أكثر ثوابًا عند الله تعالى، أي بما كسب من الخير، لا أنه أعلم وأشرف نسبًا، وما أشبه ذلك. اهـ مع زيادة،

....

سباعي

وأطهرها، وأخلاقه أعظم الأخلاق وأجلُّها وأشرفها للإجماع على ذلك، حتى قال البدر الزركشي: هو مُستثنى من الخلاف في المفاضلة بين الملك والبشر. وفي الكتاب العزيز ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وفيه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عُدُولًا وخِيارًا، ولا شك أن خيرية الأمة إنما هي بحسب كمالها في الدين، وذلك تابع لكمال نبيها الذي تتبعه، فتفضيلها مع أنها أمة تفضيل لرسولها الذي هي أمته، وفي السنة المطهَرَة: «أنا أكرم الأوّلين الآخرين على الله سبحانه ولا فخر» إلى غير ذلك. والظاهر أن هذا الحكم واجب الاعتقاد على كل مكلَّف على ما يُؤخذ من ظواهر كلامهم، وبعضهم صرَّح به، ولفظ النووي: ولا بد من اعتقاد التفضيل. اهـ.

صاوي

وقال: بتفضيل جبريل على محمد ﷺ مستدلًا بما في سورة «التكوير» من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] الآية حيثُ وصف جبريل بأنه ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إلى قوله ﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]، واقتصر في وصف محمد على قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، فرُدَّ عليه بأن القرآن في أعلى طبقات البلاغة، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإن كلام الكفار كان في الواسطة الذي كان يأخذ عنه النبي حيثُ قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقالوا: إن ﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [المؤمنون: ٢٥] أي أخذًا من الجن، فرد عليهم المولى بمدح الواسطة وبراءة المصطفى مما يقولون، فإنه كان معروفًا بينهم

بصيلة

وأشهرها، وذاته أكمل الذوات وأطهرها، وأخلاقه أعظم الأخلاق وأجلُّها وأشهرها. في السنة: «أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر» فهذا الحكم واجب الاعتقاد على كل مكلف، ولا شك في عصيان منكره وتبديعه وتأديبه. ولا يُعارض هذا الحكم بقوله عليه الصلاة [والسلام] لمن قال له: يا خير البرية: «ذاك إبراهيم» وبقوله «لا تخيروني على موسى» وقوله: «لا تفضلوا بيني وبين

بخيت

أي وأفعل التفضيل موضوع للزيادة في المصدر بوجه ما، ولو باعتبار بعض صفات الفضائل، قال الدواني: والذي وقع الخلاف فيه هنا هو الرجحان بهذا الوجه، أعني من حيثُ الثوابُ لا الرجحان من الوجوه الأخر، فلا ينافي رجحان الآخر في آحاد الفضائل الأخر. اهـ مع حذف.

....

سباعي

ولا شك في عصيان منكره وتبديعه وتأديبه، والشاك مثله، ومحله إذا كانا عالمين وإلا فيُعلَّمان.

تنبيه: لا يعارض هذا الحكم قوله عليه الصلاة والسلام لمن قال له: يا خير البريَّة؟: «ذاك إبراهيم» ولا قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تخيّروني على موسى» ولا قوله: «لا تفضِّلوا بين الأنبياء» ولا قوله: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول أني خيرٌ من يونس بن مَتَّى» إما لأنه قال ذلك قبل أن يُعلِمه الله سبحانه وتعالى بأنه سيد الأوَّلين والآخرين، فلما أعلمه سبحانه بذلك أخبر به. وإما لأنه قاله تأدُّبا وتواضعًا واحترامًا لخلَّةِ إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وإما لأنه أراد بَرِيَّة عصرِ إبراهيم. وإما لأن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو

صاوي

بالصادق الأمين، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]. وتفضيله ﷺ دل عليه أساطين الأولين والآخرين.

بصيلة

الأنبياء» ولا بقوله: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» لأنه إنما قال ذلك قبل أن يعلمه الله بأنه سيد الأولين والآخرين، فلما أعلمه بذلك أخبر به، أو قال ذلك تواضعًا وتأدبًا، أو النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى نقص غيره، ويؤدي إلى الخصومة والفتنة.

بخيت

قال عبد الحكيم: لا يخفى أن الثواب باعتبار اللذات الجسمانية غير متحقق في الملكية، وباللذات الروحانية إنما يتم عند القائلين بتجرد النفس الناطقة، فما معنى النزاع في أن الملائكة أكثر ثوابًا أو الأنبياء، ولعل مرادهم بالثواب هنا القرب والكرامة، كما وقع في عبارة البعض: أكثر ثوابًا وكرامة من الله تعالى. اهـ.

والأفضلية بالترتيب المذكور مذهب الجمهور. ونُقل عن الإمام مالك التوقف بين عثمان وعلي رضي الله عنهما. وقال إمام الحرمين: الغالب على الظن أن أبا بكر أفضل ثم عمر، ثم تتعارض الظنون في عثمان على عليٍّ، وعليٍّ على عثمان. وعن أبي بكر بن خزيمة تفضيل عليٍّ على عثمان.

وعند بعض الأشاعرة أن الملائكة العلوية أفضل من الأنبياء.

وأنه آخرهم، ويليه في الفضل أولو العزم من الرسل،..

سباعي

مشهور في سبب ورود تلك الأحاديث. وإما لأن النهي عن التفضيل في النبوة نفسها وهي لا يُتصور فيها ذلك، بل في خصائصها وتوابعها. اهـ. لقاني.

قوله: (وأنه آخرهم): أي باعتبار عالم الأجسام. وأما باعتبار عالم الأرواح فهو أولهم، والكل نواب عنه.

قوله: (ويليه... إلخ): أي ورتبة أُولي العزم في الفضل بعد مرتبته عليه الصلاة والسلام، وكذا يُقال فيما بعده وإن تفاوتوا في مرتبتهم كما أشار له العلامة بقوله:

وبعضُ كلٍّ بعضُه قد يَفْضُلُ

قوله: (أولو العزم): أي وهم خمسة: محمد، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ونوح. ثم اختُلف فيمن يليه عليه الصلاة والسلام من أولي العزم، فقيل: نوح. وقيل: إبراهيم. وقيل: موسىٰ. وقيل: عيسىٰ. وانظر تعليل كلٍّ في كبير عبد السلام. ثم قال -أي عبد السلام- والذي قاله الحافظ ابن حجر: ورد أن إبراهيم خير البريّة خُصَّ منه محمد ﷺ بالإجماع فيكون أفضل من موسىٰ وعيسىٰ ونوح عليهم الصلاة والسلام، فالثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء والرسل. قال: ولم أقف علىٰ نقل أيهم أفضل. والذي ينقدح في النفس تفضيل موسىٰ ثم عيسىٰ ثم نوح عليهم الصلاة والسلام، ثم قال: ولو ذهب إلىٰ الوقف عن تعيين الفاضل والمفضول منهم بعد نبينا عليهم الصلاة والسلام، لم يبعد عن الصواب. وانظره فإن فيه زيادة.

تنبيه: أصل العزم التصميم علىٰ الشيء، ثم نُقِلَ إلىٰ الصبر وتحمُّل المشاق الفادحة، وهو المراد

صاوي

قوله: (أولو العزم): أي وهم خمسة ذكرهم الله تعالىٰ في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ [الأحزاب: ٧].

بصيلة

....

بخيت

....

فبقية الرسل، فالأنبياء، فرؤساء الملائكة،...

سباعي

هنا، أي أصحاب الصبر. ذكره اللقاني في حاشيته على الجوهرة. اهـ. عدوي.

قوله: (فبقيَّة الرسل): أي فهم أفضل من الأنبياء غير الرسل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]. قوله: (فالأنبياء): أي وهم متفاوتون فيما بينهم، وكذا رؤساء الملائكة، فجبريل أفضل من غيره منهم كميكائيل، وهو أفضل ممن بقي لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وانظر فيما بين إسرافيل وعزرائيل أيهما أفضل، فإني لم أقف على نص صريح في أيهما أفضل. والذي يُؤخَذ من بعض العبارات أن إسرافيل أفضل فبقيَّة الملائكة، أي غير الرسل منهم.

والحاصل أن في التفضيل بين البشر والملائكة طريقين: طريقة الأشعريِّ وهي المفضِلة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الملائكة، وللملائكة على غير الأنبياء من البشر من غير تفصيل، وهي مرجوحة. وطريقة الماتريدي وهي المفصلة، وحاصلها أن رسل البشر كموسى أفضل من رسل الملائكة كجبريل، ورسل الملائكة كإسرافيل أفضل من عامة البشر وأوليائهم غير الأنبياء كأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، وعامة البشر كأوليائهم غير الأنبياء أفضل من عامة الملائكة، وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين، وهي الراجحة. اهـ. ملخصًا من صغير اللقاني. فإذا علمت ذلك تعلم أن ما سلكه الشارح من التفصيل هو الحق.

تنبيه: الكَروبيون -بفتح الكاف وتخفيف الراء- ملائكة حافُّون بالعرشِ، هم أقرب الملائكة من الله رتبة بعد الرسل، لُقِّبوا بذلك لعدم فترتهم عن ذكر الله سبحانه وتعالى وتسبيحه. قاله عبد السلام في حاشيته على شرحه للجوهرة. وقرر شيخنا العلامة أحمد برغوث عن بعضهم: لُقبوا بذلك

صاوي

قوله: (فالأنبياء): أي غير الرسل.

بصيلة

....

بخيت

....

فبقية الملائكة من غير تعيين،إذ لا تُعلم الحقيقة، فأصحاب النبي ﷺ،......................

سباعي

لكونهم متصدِّين للدعاء برفع ما ينزل بالأمة، من الكروب جمع كرب، وهو الأمر المهم. اهـ.

قوله: (من غير تعيين): راجع لقوله: «ويليه... إلخ» بدليل قوله: «إذ لا تعلم الحقيقة» وذلك لأن عدم العلم بالحقيقة حاصل في الجميع. وقوله: (**إذ لا تُعلم... إلخ**): علَّة لقوله: من غير تعيين.

قوله: (فأصحاب النبي): أي ومما يجب اعتقاده أن أصحابه ﷺ وهم الذين آمنوا به وصحبوه أفضل من جميع الأمم غير الأنبياء للأحاديث البالغة مبلغ التواتر، وإن كانت تفاصيلها آحادًا، كحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده**

صاوي

قوله: (فبقية الملائكة... إلخ): هذه طريقة الأشاعرة وهي مرجوحة. وطريقة الماتريدية هي الراجحة، وحاصلها أن تقول: أفضل الخلق نبينا، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ، ثم نوح، ثم بقية الرسل، ثم الأنبياء غير الرسل، وهم متفاضلون فيما بينهم، لكن لا يعلم تفضيلهم إلا الله، ثم جبريل، ثم إسرافيل، ثم ميكائيل، ثم عزرائيل، ثم عامة البشر، ثم عامة الملائكة.

قوله: (فأصحاب النبي): أي فمرتبتهم تلي الملائكة علىٰ طريقة الأشاعرة، وعلىٰ طريقة

بصيلة

(ثم جبريل ثم إسرافيل... إلخ): الصحيح أنهم متفاوتون في الفضل، فأفضلهم جبريل، ويليه في الفضل ميكائيل، وهو أفضل من إسرافيل، وهو أفضل من عزرائيل. **(ثم عامة البشر)**: أي الأولياء كأبي بكر وعمر. وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة، وهم غير الرسل كحملة العرش مثلًا.

بخيت

وقوله: **(فأصحاب... إلخ)**: ظاهره أن الملائكة أفضل من الصحابة، لكن تعليلهم الأفضلية بأن عبادة الملائكة فطرية ولا مزاحم لهم عنها، بخلاف عبادة البشر فإن لهم مزاحمات كثيرة، فتكون عبادتهم أشق، وقد قال عليه السلام: «أفضل العبادات أحمزها» أي أشقها، يدل علىٰ أن خواص الصحابة أفضل بالمعنىٰ المتقدم، ولذلك كان الصحيح أن عامة البشر أفضل بالمعنىٰ المتقدم من عامة الملائكة -وإن صرحوا بأن إساءة الأدب مع الملك كفر- دون آحاد المؤمنين لأن ذلك لكون الملك أشرف بسبب كثرة مناسبته للمبدأ في النزاهة وقلة الوسائط وهو لا ينافي أفضلية البشر بالمعنىٰ السابق.

....

سباعي

لو أن أحدكم أنفق ملء أُحُدٍ ذهبًا -وفي رواية: مثل أُحُد ذهبًا- ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»، وكحديث: «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين». وفي القرآن: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] الآية، وفيه أيضًا ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية. والمراد من كان صحابيًا في نفس الأمر، وصل إلينا علم صحبته أو لا، ولا يُشترط طول المدة. والمراد بالفضل كثرة الثواب، فهم أكثر ثوابًا من غيرهم، لأنهم آووه ونصروه، والمفضَّل كل فردٍ من الصحابة من حيثُ صحبتُه على غيرهم، ولا يخفى ترجيح رتبة مَن لازمه ﷺ وقاتل معه، أو قُتل تحت رايته على من لم يلازمه ولم يحضر معه مشهدًا، أو على من كلَّمه يسيرًا، أو ماشاه قليلًا، أو رآه على بُعدٍ، أو في حال الطفولية، وإن كان شرف الصحبة حاصلًا للجميع.

صاوي

الماتريدية الملائكة دون البشر في الفضل، دل على فضلهم الكتاب والسنة والإجماع. وقرن الصحابة مئة وعشرون سنة مبدؤها البعثة.

بصيلة

(دل على فضلهم الكتاب والسنة): أما الكتاب فلقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية. وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» وفي حديث: «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين». وأفضل زوجات النبي خديجة لما ثبت أنه لما قالت له عائشة: «قد رزقك الله خيرًا منها» قال: «لا والله، ما رزقني الله خيرًا منها، آمنت بي حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس». وقيل: عائشة أفضل. والذي انحط عليه الرأي أن فاطمة بنته أفضل من أمها خديجة ومن عائشة. ونص الجلال السيوطي على أن سيدنا عيسى على القول بأنه صحابي أفضل الصحابة على الإطلاق.

بخيت

....

وأفضلهم أبوبكر، فعمر، فعثمان، فعلي...

سباعي

قوله: (وأفضلهم أبو بكر... إلخ): يشير إلى قول العلامة:

وخـيرهُـم مـن ولي الخلافه وأمْرُهم في الفضلِ كالخلافه

أي ومما يجب اعتقاده أن أفضل الصحابة هؤلاء الأربعة، وهم الذين وُلُّوا الخلافة بعده ﷺ وهي النيابة عنه في عموم مصالح المسلمين من إقامة الدين وصيانة المسلمين، بحيث يجب على كافة الخلق الاتباع ويحرُم عليهم المخالفة. وبيَّن عليه الصلاة والسلام مدتها بقوله: «الخلافةُ ثلاثون سنة ثم تصير مُلْكًا عَضُوضًا» وهذا الترتيب كالجوهرة صريحٌ في أن الأئمة الأربعة أفضل الصحابة، لأن هذه المدة كانت دور خلافتهم، فقد جزم بعض الحفاظ بأن خلافة أبي بكر رضى الله تعالى عنه كانت سنتين وخسمة أشهر، وخلافة عمر رضى الله تعالى عنه عشرة أعوام، وخلافة عثمان رضى الله تعالى عنه ثلاثة عشرة سنة، ثم وُلِيَ عليٌّ رضى الله تعالى عنه أربعة أعوام، فجملتها تسعة وعشرون عامًا وخمسة أشهر.

وقال النووي: كانت مدة أبي بكر ﷺ سنتين، وخلافة عمر ﷺ عشر سنين وخمس أشهر وواحدًا وعشرين يومًا، وخلافة عثمان ﷺ اثنتي عشرة سنة إلا ست ليال، وخلافة عليٍّ ﷺ خمس سنين -وقيل: إلا شهرًا- و خلافة الحسن ﷺ نحو سبعة أشهر. فعلى هذين النقلين لم يكمل دور الخلافة ثلاثين سنة إلا بمدة الحسن، وعلى أن مدة الحسن سبعة أشهر تكون المدة ثلاثين سنة ونصف شهر، وعليه فلا ينافي أن النصف الزائد وقع فيه بعض خلل، وعلى أن السبعة أشهر ناقصة فلا إشكال.

والحسن -وهو الحسن البصريُّ- تلميذ الإمام عليٍّ [الذي] كان يخرج من بيته في كل يوم

صاوي

قوله: (وأفضلهم أبو بكر... إلخ): رد بذلك على الخطابية القائلين بتقديم عمر على أبي بكر، وعلى الشيعة القائلين بتقديم عليٍّ على عثمان.

بصيلة

....

بخيت

....

فبقية العشرة، ....

سباعي

قطبٌ ويقول [ناقلًا عنه]: أود أن لا يكون لي ولا عليَّ. فانظر لنفسك يا أخي وهذا قول أبي الحسن! وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة، وقول أبي منصور الماتريدي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أُحُد، ثم أهل بيعه الرضوان، ومن له مزية أهل العقباتِ من الأنصار، وكذا السابقون الأوَّلون. اهـ. وفيه رد على الماوَرْدِي الواقف عن القول بالتفضيل قائلًا: لكلٍّ فضلٌ، ولا ندري من فضَّله الله على غيره، وليس أمرًا يؤخَذ فيه بالقياس والرأي، فوجب الإمساك عن الخوض فيه. نقله عن طائفة. وهذا التفضيل قطعيٌّ في الظاهر والباطن كما قال الأشعريُّ.

تتمة: عُلم من قوله: «وأفضلهم أبو بكر... إلخ» الردُ على الخطابية في قولهم: أفضلهم عمر بن الخطاب. والرد على الراوندية في قولهم: أفضلهم العباس بن عبد المطلب. والرد على الشيعة في قولهم: أفضلهم علي بن أبي طالب. كما عُلم منه الرد على قول مالك الأول بتفضيل علي بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما.

قوله: (فبقيَّة العشرة): يعني المبشَرين بالجنة الذين من جملتهم المشايخ الأربعة السابقون وهم: طلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام ابن عمة رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة. وأما تفاوت بعضهم في الأفضلية على بعض فأمرٌ لا يُدرَك بالقياس ولا يُؤخذ بالرأي، وإنما طريقه التوقيف، ولم يرد به نص، وهذا

صاوي

قوله: (فبقية العشرة): أي يلون عليًّا في الفضل، وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام ابن عمة رسول الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر

بصيلة

(يلون عليًّا في الفضل): يعني أن بقية العشرة المبشرين بالجنة يلون عليًّا في الفضل. وإنما نص على هؤلاء وإن كان المبشرون أكثر، لشهرة حديثهم الجامع لهم، ففي الترمذي وابن حبان من حديث

بخيت

....

فبقية البدريين،..

سباعي

مع قطع النظر عن القرابة الشريفة وعن السبق والتقديم في الإسلام والهجرة، بدليل قول العلامة:

والسابقون فضلهم نصًا عُرِف

وإنما خصَّ هؤلاء العشرة لشُهرة حديثهم الجامع لهم، وإن كان المبَشَرون بالجنة أكثر. انظره مع سنده في صغير اللقاني.

قوله: (**فبقيَّة البدريين**): أي إن مرتبة أهل بدر في الأفضلية تلي مرتبة هؤلاء الستة. والمراد بالبدريين أصحاب غزوة بدر استُشهدوا فيها أو لا. وبدر اسم للوادي أو لبئرٍ فيه، وكانوا ثلاثمئة. واختُلف في الزائد إلى ستين وهو أقصىٰ ما قيل. والأصح أن الزائد سبعة عشر، هذا من الإنس. وأما من الجن فسبعون مؤمنًا. وأما من الملائكة فثلاثة آلاف، وقيل: ألفان. وفي الحديث جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها. فقال: وكذلك من حضرها الملائكة».

صاوي

ابن الجراح. ولا يعلم تفاوتهم في الفضل إلا الله.

قوله: (**فبقية البدريين**): أي فمرتبتهم تلي رتبة الستة من العشرة، ولا فرق بين من استُشهد فيها وهم أربعة عشر رجلًا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وجملتهم ثلاثمئة وثلاثة عشر. وقيل: وخمسة عشر. وقيل: وسبعة عشر. وقيل: وتسعة عشر. وإنما قال: وبقية البدريين، لأن العشرة رؤساء أهل بدر.

بصيلة

عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وسعد بن زيد في الجنة». قال العلامة اللقاني: وانظر من الأفضل من هؤلاء الستة، ويظهر من الحديث أن أفضلهم طلحة ثم من يليه في الحديث إلى آخرهم. انظر وحرر.

بخيت

....

فأهل بيعة الرضوان، ....

سباعي

ولقد أجاد الشارح في هذا الترتيب حيث أفاد أن مرتبة الملائكة تلي مرتبة الأنبياء في الفضل، فلا يرد عليه ما ورد على العلَّامة اللقاني من أن ظاهر كلامه يُشعر بأن الستة أفضل من الملائكة الذين حضروا غزوة بدر، وهو مردود بما يُعلم من عبارة شارحنا من أن رتبة الملائكة تلي رتبة الأنبياء. نعم الملائكة الذين شهدوا بدرًا أفضل ممن لم يشهدها منهم. وقياسه أن يُقال: كذا في مؤمني الجن.

تنبيه: أسقط الشارح أهل أُحُد، ورتبتهم تلي رتبة البدريين في الأفضلية، أي أهل غزوة أُحُد، جبل معروف بالمدينة، قال فيه ﷺ: «أُحُد جبل يحبنا ونحبه». قيل: به بئر هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام. والصحيح أنه جبل من جبال الجيل. وكانوا ألفًا بثلاثمئة من المنافقين -أي مع ثلاثمئة- استُشهدوا فيها كالسبعين أم لا، والمراد من كان مسلمًا ظاهرًا أو باطنًا، احترازًا من عدوِّ الله بن أُبَيّ بن سلول ومن معه من المنافقين الذين رجع بهم وهم الثلاثمئة قائلًا: أطاع محمدٌ الولدان وعصاني فعلام نقتل أنفسنا معه؟! وقد كان أشار على النبي ﷺ أن يقيم بالمدينة ولا يخرج للعدوِّ، فإن دخلوا قاتلوهم وإلا أقاموا بشرِّ مقام، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

قوله: **(فأهل بيعة الرضوان)**: قد علمت أن رتبتهم تلي رتبة أهل أُحُد. وقيل لها بيعة الرضوان لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] الآية. وكانوا ألفًا وأربعمئة، وقيل: خمسمئة. خرج بهم النبي لزيارة البيت، فصدَّه المشركون، فأرسل إليهم عثمان للصلح، فشاع أنهم قتلوه، فقال عليه الصلاة والسلام عند ذلك: «لا نبرح حتى نناجزهم الحرب»، ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت أو على أن لا يفروا، فبايعوه على ذلك ولم يتخلف عنها إلا الجدُّ بن قيس،

صاوي

قوله: **(فأهل بيعة الرضوان)**: أسقط الشرح أهل أُحُد الذين لم يحضروا بدرًا وهم أفضل من أهل بيعة الرضوان الذين لم يحضروا بدرًا ولا أحدًا، وكانوا ألفًا وأربعمئة. وقيل: وخمسمئة.

بصيلة

....

بخيت

....

فبقية الصحابة، فالتابعون، فتابع التابعين.......................................

سباعي

وكان منافقًا اختبأ تحت بطن ناقته، وكان من المؤلفة قلوبهم أيضًا، ويُقال: إنه تاب وحسن إسلامه. ثم تبين حياة عثمان، فصالحهم النبي ﷺ على شرط وهو أن يرد إليهم من أسلم منهم ورجع إلى المدينة.

قوله: (**فالتابعون**): أي فيلي رتبة الصحابة في الأفضلية رتبة التابعين من غير تخلل واسطة بينهما. والتابعون جمع تابعي، والكلام فيه على حدِّه في الصحابي. يُقال: تابعي -بالياء وبعدمها- وهو على ما صححه ابن الصلاح والنووي من لقي الصحابي. وقال الخطيب: هو من صحب الصحابي. وعليه فمجرد اللقاء لا يكفي. والفرق أن الاجتماع به ﷺ يُشرق في القلب من أنواع المعارف ويودع من ثمرات اليقين ما لا يشرقه ولا يودعه فيه الاجتماع بغيره، إذ غايته أنه ولي، ولا بد في تأثيره من طول الصحبة وتكرار الإرشاد.

قال اللقاني: ولا يشترط فيه التمييز، ولو اشتُرط في الصحابي لمزيد شرف الصحبة. اهـ. قيل: واشتراطُه في التابعي أولى. وقد علمت الجواب من أن اشتراطه في الصحابي على قول ضعيف، والصحيح عدم اشتراطه فيه. واختُلف في تعيين أفضل التابعين، والصحيح بل الصواب قول أهل الكوفة إنه أويس بن عابد القَرَني من بني قَرَن -بفتح القاف والراء- بطن من مراد، واسم مراد: جابر بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كلان بن سبأ، لحديث مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يُقال له أويس» الحديث، وهو قاطع للنزاع. وفضلى التابعات حفصة بنت سيرين. اهـ. ملخصًا من كبير عبد السلام وصغير والده.

قوله: (**فتابع التابعين**): أي فيلي التابعين في الفضل بالمعنى السابق -أي من غير تخلل واسطة-

صاوي

قوله: (**فالتابعون**): أي فرتبتهم تلي رتبة الصحابة. وقرن التابعين الذين انفردوا فيه عن الصحابة سبعون سنة. قوله: (**فتابع التابعين**): أي فرتبتهم تلي رتبة التابعين في الفضل. وقرنهم

بصيلة

....

بخيت

....

ويجب الإمساك عما وقع بين الصحابة...

سباعي

تابعوهم في الاقتداء واتباع السنن والهدي الحسن، وهو من لقي أو من صحب، على القولين السابقين في التابعي. وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر -أي فتابعوهم- ولا شك في تفاوتهم في الفضل أيضًا كما يُعلم من كتب التواريخ والطبقات. والأصل في هذا الترتيب ما في الصحيح عن عبد الله عن النبي ﷺ: «خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، وفي رواية: «سُئل النبي ﷺ أيُّ الناس خير؟ قال: قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: ثم يُخلق بعدهم خلق تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته.

قال الحافظ العسقلاني: اقتضى هذا الحديث أن الصحابة أفضل من التابعين، وأن التابعين أفضل من تابع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، وإلى الثاني نحا الجمهور. انظر في كبير اللقاني. ثم اختُلف في تفاوت بقية القرون بالسبقية، فذهب جماعة إلى ذلك، وأن كل قرن أفضل من الذي بعده إلى قيام الساعة لخبر: «ما من يومٍ إلا والذي بعده شرٌّ منه، وإنما يُسرَع بخياركم» وبه قال المغربي. وذهب القاضي أبو الوليد بن رشد المالكي إلى أن ما بعد القرون الثلاثة سواء لا مزية لأحدها على الآخر. وانظر ما يتعلق بزوجاته ﷺ من الخلاف في أفضلهن، وكذا بناته ومريم وآسية امرأة فرعون في المطولات.

قوله: (**ويجب الإمساك... إلخ**): فقد قال بعض المحققين: إن البحث عن أحوال الصحابة

صاوي

ثلاثون سنة. والأصل في ذلك التفضيل قوله ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». ومن بعد هذه القرون قيل: سواء في الفضل. وقيل: متفاوتون، فكل قرن أفضل من الذي بعد، وهو الحق لحديث: «ما من يوم إلا والذي بعده شر منه».

قوله: (**ويجب الإمساك عما وقع بين الصحابة من النزاع**): أي لأن التفتيش عما جرى بينهم

بصيلة

....

بخيت

....

من النزاع. (و) يجب الإيمان بوجود (الحور) جمع حوراء، والحور: شدة بياض العين مع شدة سوادها. وهن نساء الجنة، ووصفن بالعين لاتساع أعينهن.

سباعي

رضوان الله عليهم أجمعين، وعما جرىٰ بينهم من الموافقة والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من العقائد الكلامية، وليس هو مما يُنتفَع به في الدين، بل ربما ضر باليقين، وإنما ذكر القوم منها بعضًا في كتبهم صونًا للقاصرين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة، ليجتنبها من لا يصل إلىٰ حقيقة علمها، ولأن الخوض في ذلك إنما يُباح للتعليم، أو للرد علىٰ المتعصبين، أو لتدريس كتب تشتمل علىٰ تلك الآثار، فلا يحل ذلك للعوام لفرط جهلهم بالتأويل. وقال عليه الصلاة والسلام: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي»، وقال أيضًا: «من آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذىٰ الله يوشك أن يأخذه»، وقال: «لا تسبوا أصحابي»، وفي رواية: «من سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

قوله: (من النزاع): بيان لـ«ما»، أي كمخاصمة فاطمة لأبي بكر حين منعها ميراثها من أبيها، ووقوف عليٍّ عن مبايعة أبي بكر ﷺ، ووقوفه عن القصاص من قتلة عثمان، رضي الله تعالىٰ عن الجميع. وانظر تأويل كلٍّ في المطولات.

قوله: (والحَور): بفتح الحاء. **قوله: (وهن نساء الجنة)**: أي وعلىٰ صورة خلق الإنس لكنهن لسن بأناسٍ، وصورة نكاحهن كنكاح الإنسانية، ولو أراد الرجل أن ينكح جميع من عنده من النساء

صاوي

ليس من العقائد الدينية ولا مما يُنتفع به في الدين، بل ضرر في اليقين، فلا يُباح الخوض فيه إلا للتعليم أو الرد علىٰ المتعصبين. ومع ذلك فيجب تأويله وصرفه إلىٰ محمل حسن، فإنهم مجتهدون، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب.

قوله: (وهن نساء الجنة): رُوي أن سحابة أمطرت من العرش، فخلقت الحور من قطرات الرحمة،

بصيلة

(فخُلقت الحور من قطرات الرحمة... إلخ): قال الجراحي: خلقن من ثلاثة أشياء: أسفلهن

بخيت

....

....

سباعي

والحور لنكحهن في لحظةٍ واحدة من غير تقدُّم ولا تأخر، لخرق العوائد هناك. ولما سُئل ﷺ أفي الجنة نكاح؟ قال: «نعم، دحمًا دحمًا» أي كثيرًا، ومراده استغراق أهل الجنة بذلك في لذة عظيمة ينالونها، بخلاف لذة الوقاع في الدنيا، فقد قيل: إنها وهمية لا حقيقية. فإذا أفضى الرجل إلى الحور أو الإنسانية كان له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها، لو وجدها أهل الدنيا لغشي عليهم من شدة حلاوتها، فيكون من الشخص في كل دفعة ريحٌ مثيرة تخرج من ذكره، فيتلقاها رحم المرأة، فتكون من حينه فيها ولدًا من كل دفعة، وتكمل نشأته ما بين الدفعتين، فتخرج مولودًا مصورًا مع النَفَس الخارج من المرأة روحًا مجردًا طبيعيًّا.

هذه صورة التوالد المُشار إليه في الحديث: «إن المؤمن إذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه

صاوي

ثم ضُرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار، سعتها أربعون ميلًا، وليس لها باب، حتى إذا حل ولي الله الجنة، انصدعت الخيمة عن باب، ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها، فهي مقصورة، قد قُصر بها عن أبصار المخلوقين. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢]. والصحيح أن نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين

بصيلة

من المسك، وأوسطهن من العنبر، وأعلاهن من الكافور. وحواجبهن سواد من نور. ذكره القرطبي. وفي رواية ابن عباس أنه قال: «خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حلة...» الحديث، وفي الترمذي عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين، يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها،

بخيت

....

(والولدان) أي الغلمان، وهم على صورة غلمان الدنيا، وهم خدمة أهل الجنة. وقيل: إنهم أولاد الكفار الذين يموتون قبل البلوغ، فإنه ورد أنهم خدمة أهل الجنة.

سباعي

وسنه في ساعة كما يشتهي» وفي رواية: «ولكنه لا يشتهي». قال الشيخ أبو طاهر: وأصل هذه المسائل وأشباهها نكتة واحدة، وهي أن شهوات النفوس في الدنيا تابعة لمشتهاتها، ومشتهات أهل الجنة تابعة شهواتهم. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]. ولم يقل ما أنفسكم تشتهي. اهـ. من كبير عبد السلام.

قوله: (وبالولدان): أي ويجب الإيمان بالولدان، فهو معطوف على ما قبله ومشارك له في الحكم.

قوله: (وهم على صورة غلمان الدنيا): أي وليسوا من الإنس. ويُؤخذ من حكاية المقابل بصيغة التمريض اعتماد هذا القول، والله أعلم.

قوله: (إنهم): أي أولاد الكفار.

صاوي

ألف ضعف. قوله: (والولدان): بكسر الواو، جمع وليد بمعنى مولود. وسُمُّوا أولادًا لكونهم على شكلهم وصورتهم.

قوله: (وهم خَدَمَة أهل الجنة): أي فهم مخلوقون في الجنة ابتداءً كالحور العين ليسوا من أولاد الدنيا، وهو الصحيح من أقوال كثيرة. وقيل: هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارًا. ورُدَّ بأن الله أخبر عنهم أنهم يلحقون بآبائهم في السيادة والخلقة.

بصيلة

قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نيبس، ونحن الراضيات فلا نسخط. طوبى لمن كن له» وعن عائشة: أن الحور العين إن قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: «نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن. قالت عائشة: فغلبتهن والله». اهـ. ولعل هذا هو وجه الفضل لنساء الدنيا على الحور العين، كما ذكره المحشي، انظر وحرر.

بخيت

....

(ثم) يجب الإيمان (بالأوليا) جمع ولي، وهو القائم بحقوق الله تعالىٰ وحقوق العباد.........

سباعي

قوله: (جمع ولي): فعيل بمعنىٰ مفعول، لأن الله سبحانه وتعالىٰ تولىٰ أمره، فلم يكله إلىٰ نفسه ولا غيره لحظة، بل تولىٰ رعايته، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، أو بمعنىٰ فاعل، لأنه يتولىٰ عبادة الله وطاعته علىٰ الدوام والتوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكِلا المعنيين واجب تحققه حتىٰ يكون الولي عندنا وليًّا في نفس الأمر، بحيث يتحقق قيامه بحقوق الله تعالىٰ علىٰ الاستقصاء والاستيفاء بجميع ما أُمر، ويتحقق دوام حفظ الله تعالىٰ إيَّاه في السراء والضراء.

قال القشيري: فالوليُّ بالمعنىٰ الثاني هو الذي توالت طاعته لربه وارتفعت في درجات قربه. وبالمعنىٰ الأول هو الذي توالت عليه النِّعم من ربه والحفظ له في قلبه وجوارحه من اللذات، فيصح وصف العبد بالوليِّ بهذين المعنيين. وفي شرح الإرشاد لابن دهاق: يُشترط في الولي أن يكون عارفًا بأصول الدين ليفرق بين الخلق والخالق، والنبي والمتنبئ، وأن يكون عالـمًا بأحكام الشريعة حتىٰ إذا

صاوي

قوله: (ثم يجب الإيمان بالأولياء): أي وجوب الأصول، فمن أنكر وجودهم كفر لمصادمة القرآن، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]. وأما من أنكر كراماتهم كالحليمي من أهل السنة والمعتزلة فهو فاسق مبتدع، محتجين بأنها لو وُجدت الكرامات لالتبست بمعجزات الأنبياء، فيلتبس النبي بغيره، ولو وُجدت واستمرت لكثرت وخرجت عن كونها خارقة للعادة. **ورُدَّ ذلك** بأنا لا نسلم التباس الولي بالنبي، للفرق بينهما وهو دعوىٰ النبوة وعدمها. ولا نسلم أن كثرتها تصيرها غير خارقة، بل تفيد استمرار الخارق وهو أمر واقع لا شك فيه.

وسُئل بعضهم: لأي شيء كثرت الكرامات في الزمان المتأخر دون المتقدم؟ فأجاب بأن ذلك لضعف إيمان المتأخرين، فاحتيج لتأليفهم بالكرامات، ليعتقدوا في الصالحين. وأما في الزمن المتقدم فاعتقادهم تابع لميزان الشرع. قوله: (جمع ولي): سُمي بذلك لأنه تولىٰ خدمة الله، أو لأن الله تولىٰ

بصيلة

....

بخيت

....

حسب الإمكان، ....

سباعي

أذهب الله علماء أهل الأرض وُجد عنده ما كان عندهم، وأقام قواعد الإسلام من أولها إلى آخرها، وأن يتخلق بالخُلُق المحمود الذي يدل عليه الشرع والعقل، فالذي يدل عليه الشرع هو الورع عن المحرمات وامتثال جميع المأمورات، والذي يدل عليه العقل ما يُثمره العلم بأصول الدين، كالعلم بحدوث العالم، فإنه يثمر عدم التعلق بشيء منه، للعلم بأنه في قبضة الله سبحانه وتعالى، والعلم بالوحدانية فإنه يثمر الإخلاص في سائر الأعمال، وأن يلازمه الخوف أبدًا ولا يجد لطمأنينة النفس سبيلًا، فإنه لا يحيط علمًا بأنه من فريق أهل السعادة أو فريق أهل الشقاوة.

والأولياء محفوظون، بمعنى أنهم كلما أذنبوا وفقهم الله للتوبة، لا معصومون، فلا يُمتنع وقوع الذنب منهم، ولذلك لا يأمنون مكر الله سبحانه وتعالى، فهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، وما أحسن ما قيل في المعنى:

على قدرِ علمِ المرء يعظُم خوْفُه ... ولا عـالِمَ إلا من الله خائفُ
وآمِـنُ مكرَ الله بـالله جَاهِلٌ ... وخائِفُ مَكر الله باللهَ عارِفُ

وهذا في كامل الولاية. وأما ناقصها فلا يُشترط فيه ذلك كله، فلا ينافي ما قدمناه لك أن معنى قولهم: «ما اتخذ الله من ولي جاهل، ولو اتخذه لعلَّمه» أي بعلوم الذوقيات. وأما العلوم الشرعية فلابد فيها من التلقي.

تنبيه: قال عبد السلام في كبيره: والظاهر أن الولاية كالنبوة، فليست مكتسبة فهي فضل منه سبحانه، لكنهم سكتوا عنه لوضوحه، غير أنه ينبغي أن لا يُكفَّر من جوَّز اكتسابها بخلاف النبوة. اهـ.

قوله: **(حسب الإمكان)**: أشار به إلى أن القيام بجميع ذلك متعسر. وما أحسن قول العارف

صاوي

أمره فلم يكله لغيره طرفة عين.

بصيلة

....

بخيت

....

وهو معنى قول من قال: هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب الإمكان، المواظب على الطاعات، المجتنب للمخالفات، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات. ويجب اعتقاد كراماتهم. والكرامة: أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح غير مقرون بدعوى النبوة.

سباعي

بالله أستاذ أشياخي سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري صاحب ورد السحر:

والـــذي يـرجـو مـواصـلـة فـلـيـعـانـق جُـــلَّ آدابي

قوله: (**وهو معنى قول من قال... إلخ**): قاله اللقاني عند قوله:

وأثبتن للأوليا الكرامه

قوله: (**المجتنب للمخالفات**): أي للمعاصي، أي المجتنب للإصرار عليها والوقوع فيها، [وكونه يقع فيها] ثم يتوب لا يقدح في الولاية، إذا الولي ليس بمعصوم. **قوله: (الانهماك)**: أي التوغل.

قوله: (**أمر خارق للعادة**): جنس شمل المعجزة والإرهاص والمعونة والإهانة والاستدراج. وقوله: (**يظهر على يد عبدٍ ظاهر الصلاح**): فصل أخرج المعونة، وهي ما يظهر على يد بعض عوام المسلمين تخليصًا لهم من المِحَن والمكاره. وقوله: (**غير مقرون... إلخ**): فصل ثانٍ أخرج المعجزة. ويُزاد على هذين الفصلين فصول ثلاثة: فيُقال: «ظاهر الصلاح» أي وملتزم لمتابعة نبيٍّ لتخرج الإهانة، وهي المؤكدة لكذب الكاذبين، كبصق مُسيلَمة في البئر؛ و«مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح» ليخرج الاستدراج، كما يخرج السحر.

وقوله: (**غير مقرون بدعوى النبوة**): أي ولا مقدمة لها ليخرج الإرهاص. وفي الكرامة تثبيت للوليِّ، ولهذا ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقَدَها أهل النهايات في نهاياتهم، لأن ما هم عليه

صاوي

قوله: (**اعتقاد كراماتهم**): أي ثبوتها، فهي واقعة شرعًا، جائزة عقلًا. ودليل ذلك قصة مريم

بصيلة

(**فهي واقعة شرعًا... إلخ**): اعلم أنها ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، فمن الأول قصة مريم من ظهور الطعام والشراب عند الحاجة، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ

بخيت

....

....

سباعي

من الرسوخ والتمكين لا يحتاجون معه إلىٰ تثبيت، ولذلك قلَّ ظهورها علىٰ يد السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فالخارق إن قارن التحدي فمعجزة، وإن سبقه كتسليم الحجر وإظلال الغمام قبل البعثة علىٰ النبي ﷺ فإرهاص للنبوة -أي تأسيس لها- وإن تأخر بها يخرجه عن المقارنة العرفية فكرامة فيما يظهر. وإن ظهر بلا تحدٍ علىٰ يد ولي فكرامة، وعلي يد عامي مستور بلا سبب فمعونة، وعلىٰ يد ظاهر الفسق وهي طبق دعواه بلا سبب فاستدراج، وبسبب فسحرًا وشعبذة، كأكل الحيَّات وهي تلدغه ولا يتأثر منها، وإن لم يكن طبق دعواه بل ضدها كبصق مسيلمة فإهانة.

تنبيهات: **الأول:** الكرامة علىٰ قسمين: حسِّية ومعنوية، ولا تعرف العامة إلا الحسية، كالإخبار بالمغيَّبات الآتية وطيِّ الأرض وإجابة الدعوة في الحال. وأما المعنوية فهي التي بين الخواص من أهل

صاوي

وولادتها عيسىٰ من غير زوج، وآصف بن برخيا، وعمر بن الخطاب مع نيل مصر، ومع النار التي ظهرت من جهة المدينة في زمنه، فأشار إليها بردائه فأطفأها، وغير ذلك من كرامات الصحابة والتابعين إلىٰ وقتنا هذا.

بصيلة

﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وكقطع المسافة البعيدة في المدة القليلة، كإتيان صاحب سليمان ﷺ وهو آصف بن برخيا علىٰ الأشهر بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه مع بعد المسافة. ومن ذلك كلام الجماد لما رُوي أنه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء قصعةً، فسبحت فسمعا تسبيحها، وكما رُوي أن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يسوق بقرة فتحمل عليها، إذا التفتت البقرة إليه وقالت: لم أُخلق لهذا، إنما خُلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله! بقرة تكلمت، فقال ﷺ: آمنت بهذا». والكرامات ثابتة للأولياء بعد الموت أيضًا، خلافًا لمن نفاها عنهم بعد الموت.

قوله: (وعمر بن الخطاب مع نيل مصر): وذلك أن عمرو بن العاص لما افتتح مصر، أتىٰ إليه أهلها وقالوا: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها. فقال: لهم وما هي؟ قالوا: إنه إذا كان

بخيت

....

....

سباعي

الله تعالىٰ. وأجلُّها وأشرفها أن يحفظ الله علىٰ العبد آداب الشريعة، فيُوفَّق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها، ويحافظ علىٰ أداء الواجبات والسنن في أوقاتها، والمسارعة إلىٰ الخيرات، وإزالة الغل والحقد والحسد، وطهارة القلب من كل صفة مذمومة، وتجليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي سائر الأشياء، ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها، فيتلقاها بالأدب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالىٰ، لأنها رسُل الله إليه، فترجع شاكرةً من صنعه معها، فهذه عند المحققين هي الكرامات التي لا يدخلها مكر ولا استدراج، بخلاف الكرامات التي تعرفها العامة، فإنه يمكن أن يدخلها المكر والاستدراج.

الثاني: يجوز في الكرامة أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات علىٰ اختلاف أنواعها، ولو كقلب العصا حيَّة، وكوجود ولد بغير أب، إلا مثل القرآن مما خرج من المعجزات إلىٰ باب الاختصاص، قاله السعد والنووي، خلافًا لمن ادعىٰ أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه، قال النووي: وهو غلط من قائله، وإنكار للحس، بل الصواب جريانها بقلب الأعيان. **الثالث**: لا يصل الولي ما دام عاقلًا

صاوي

....

بصيلة

لاثنتي عشرة ليلة من بؤونة من أشهر القبط، عمدنا إلىٰ جارية بكر وأخذناها من أبويها، وحملناها من الحلي والثواب أفضل ما يكون، ثم نلقيها في النيل! فقال لهم عمرو: لا يكون هذا في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله. فقاموا بؤونة وأبيب ومصر لا يجري النيل فيها لا قليلًا ولا كثيرًا، حتىٰ همَّ أهل مصر بالرحيل، فلما رأىٰ عمرو بن العاص ذلك، كتب إلىٰ عمر بن الخطاب، فكتب عمر أمير المؤمنين إلىٰ عمرو بن العاص: إني كتبت إليك بطاقة فألقها في النيل. فأخذها عمرو فقرأها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلىٰ نيل مصر، أما بعد: فإن كنت تجري من قبلك فلا تجري. وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأله أن يجريك. فألقىٰ عمرو البطاقة فيه قبل يوم الصليب بيوم واحد، فأصبحوا يوم الصليب، فأجرىٰ الله النيل ستة عشر ذراعًا ببركته.

بخيت

....

كل ذلك ورد به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة قبل ظهور المخالفين، ....

سباعي

بالغًا قادرًا إلى مرتبة سقوط التكليف بالأوامر والنواهي، لعموم الخطابات الواردة بالتكليف، وإجماع المجتهدين على ذلك خلافًا لبعض الإباحيين.

قوله: (كل ذلك): اسم إشارة عائد على الكرامة، وذُكر باعتبار كونه أمرًا، ولو حذف «كل» وقال: دل على ذلك الكتاب... إلخ، لكان أظهر. تأمل. وقد يُقال: أتى بـ«كلّ» نظرًا لتعدد الأفراد.

قوله: (ورد به الكتاب): أي كما في قصة مريم، فإنها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٣٧] كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وولادتها عيسى دون زوج، مع كفالة زكريا عليه الصلاة والسلام لها، وكان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج من عندها غلّق عليها سبعة أبواب وسألها عن طريق وصول ذلك الرزق إليها في غير أوانه، مع أن الأبواب عليها مغلقة، والحراس بغرفتها مُحدِقة، فأجابته بأنه من الله، والله يرزق من يشاء بغير حساب تفضلًا. وقصة أهل الكهف ولبثهم في كهفهم سنين بلا طعام ولا شراب، وقصة صاحب سليمان وهو آصف بن برخيا من إتيانه بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان عليه السلام.

قوله: (والسنة): رُوي أن النبي ﷺ قال: «بينما رجلٌ يسوق بقرةً قد حمل عليها، إذ التفَتت إليه وقالت: إني لم أُخلَق لهذا، وإنما خُلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله بقرةٌ تكلمت! قال النبي: آمنتُ بهذا» أخرجه الشيخان. **قوله: (قبل ظهور المخالفين)**: خالف في ذلك جمهور المعتزلة وجماعة من أهل السنة كالإسفَرَاييني والحليمي، قالوا: لو ظهرت الخوارق من الأولياء لالتبس النبيُّ بغيره، إذ الخارق إنما هو المعجزة، وإنها لو كثرت بكثرة الأولياء خرجت عن كونها خارقًا

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

وكل ما كان كذلك فالإيمان به واجب.

(و) كذا الإيمان بـ(كل ما جاء) أي روي ونقل (عن) أي عن النبي (البشير) أي المبشر لمن

سباعي

للعادة. **والجواب عن الأول**: بالفرق بين المعجزة والكرامة. **وعن الثاني** بأن غايته استمرار نقض العادة، وهو لا يوجب كونه عادة.

ولا حُجَّة للزمخشري في تمسُّكه لإبطال الكرامات بقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، لأن الاطلاع على الغيب فرد من أفراد الكرامة، ونفيه نفيٌ للأخص، ونفي الأخصِّ لا يستلزم نفي الأعم. **قوله: (وكل ما كان كذلك)**: أشار به إلى قياس اقتراني، ونظمه: الكرامة دلَّ عليها الكتاب والسنَّة والإجماع، وكل ما كان كذلك فالإيمان به واجب، فينتج الإيمان بالكرامة واجب.

قوله: (وكل ما جاء): معطوف على قوله: «ويلزم الإيمان بالحساب... إلخ»لأن المعاطيف إذا تكررت وكان العطف بالواو تُعطف على الأول على الصحيح. وإن كان بـ«أو» يكون كل واحد معطوفًا على ما قبله.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وكذا يجب الإيمان بكل ما جاء... إلخ): **فإن قلت**: نحن نرى الفقهاء يكفِّرون بكلمات ليس فيها مخالفة لما عُلم من الدين بالضرورة، كتكفيرهم من قال: إني أرى الله في الدنيا يكلمني شفاهًا، مع أن الآمدي نقل عن أصحابنا أن رؤية الله في الدنيا جائزة عقلًا. وأما سمعًا فأثبته بعضهم ونفاه آخرون؛ **قلتُ**: حكمهم بالردة في الكلمات المذكورة لأنه يُفهم منها إنكار ما عُلم من الدين بالضرورة، فلعل حكمهم في المثال المذكور بالتكفير بناءً على دعوى المكالمة لا دعوى الرؤية، ودعوى المكالمة شفاهًا منصب النبوة، بل هو أعلى مراتبها، ففيها إنكار ما عُلم ضرورةً، وهو أنه ﷺ خاتم النبيين، وكذا يؤخذ من الدواني، لكن قال في «المواقف»: وللفقهاء في معاملتهم خلاف، وهو خارج عن فننا. اهـ.

قال عبد الحكيم: نعلم أن طريقة الفقهاء غير طريقة المتكلمين، لأن للفقهاء سلوك الطريق

أوفىٰ بالعهود بأنه محمود العاقبة صلىٰ الله عليه وسلم **(من كل حكم)** بيان «لكل ما جاء» **(صار)** في الاشتهار بين الخاصة والعامة (كـ)ـالأمر **(الضروري)** الذي لا يخفىٰ علىٰ أحد وهذا من عطف العام علىٰ الخاص لشموله ما تقدم من الحساب، وما عطف عليه وغيرُه، كوجوب شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، وحرمة الزنا والخمر والربا، وحل النكاح والبيع ونحو ذلك.

سباعي

قوله: (بأنه... إلخ): متعلق بقوله: «المبشر... إلخ». **قوله: (صار في الاشتهار... إلخ)**: تفسير لقولهم: «ما عُلِم من الدين بالضرورة»، والمعنىٰ أن المكلَّف الملتزم لدين الإسلام ظاهرًا إذا أنكر شيئًا من المعلوم من الدين بالضرورة يكفُرُ بذلك، إذ يلزم من إنكاره تكذيب النبيّ ﷺ في إخباره عنه أنه من الدين، ويُقتَل كفرًا لا حدًّا إن لم يتب، أي إن قتله لا يكون كفارةً لجرمه كسائر الحدود. وملخص القول فيه عندنا أنه إن كان مُظهرًا لذلك قُتل إن لم يتب وماله فيء. وإن كان مسترًا قُتل ولا تُقبل له توبة لأنه زنديق، لكنه إن تاب بعد الاطلاع عليه قُتل، ومالُه لورثته، كما لو تاب قبل القدرة عليه علىٰ المذهب. وإن لم يتب قُتل وماله فيء، والله أعلم.

قوله: (وهذا): أي قوله: «وكل ما جاء... إلخ».

قوله: (كوجوب شهادة أن لا إله إلا الله): هو وما عُطف عليه تمثيل لما عُلم من الدين بالضرورة. وفيه إشارة إلىٰ حديث: «بُني الإسلام علىٰ خمس... إلخ».

صاوي

قوله: (في الاشتهار): بيان لوجه الشبه، أي إن الأحكام التي أتىٰ بها النبي ﷺ واشتُهرت حتىٰ صارت كالأمور الضرورية يجب الإيمان بها، وكلُّ من أنكر شيئًا منها فقد كفر. وأما الأحكام التي لم تبلغ في الاشتهار هذا الحد، فلا يكفر منكرها، كالرفع من الركوع والسجود ونحو ذلك.

قوله: (كوجوب شهادة أن لا إله إلا الله): تمثيل لما جاء عن البشير.

بصيلة

....

بخيت

الأحوط، كي لا يقع المسلم فيما فيه احتمال الكفر، والمتكلمون أخذوا الطريق الأسلم حيث لا ينسبون الكفر إلىٰ أحد. اهـ.

وكالمعراج بجسده الشريف ﷺ يقظةً، وهو العروج إلى السماء مع جبريل ﷺ بلا براق بعد الإسراء ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبًا للبراق، وهو دابة، أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. والمراد بالمعراج ما يعم الإسراء، وقصته مشهورة.

وكسؤال الملكين منكر ونكير، وهما ملكان أسودان أزرقان -أي أعينهما- يأتيان للميت مؤمنًا كان أو كافرًا أو منافقًا بعد تمام الدفن في القبر الذي يستقر فيه دائمًا،..........

سباعي

قوله: (في القبر الذي يستقر فيه دائمًا): أي وأما الذي لا يستمر فيه فلا يأتيانه.

صاوي

قوله: (بلا براق): هذا هو المعتمد. وقيل: عرج بالبراق. **قوله: (والمراد بالمعراج ما يعم الإسراء)**: جواب عما يُقال: إن منكر المعراج فاسق، فكيف تحكم عليه بالكفر؟ فأجاب: بأن المراد بالمعراج ما يشمل الإسراء، فمنكر الإسراء كافر، ومنكر المعراج فاسق.

قوله: (وكسؤال الملكين): أي فهو مما يجب الإيمان به، لكن منكره لا يكفر للاختلاف فيه.

قوله: (منكر): بفتح الكاف اسم مفعول، ويجوز كسرها على أنه اسم فاعل، لأنه منكِر على غيره كلامه. **قوله: (ونكير)**: فعيل بمعنى مفعول، من نكرت الرجل إذا لم تعرفه. سُميا بذلك لأن الميت لم يكن يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما.

قوله: (أزرقان): أي أعينهما، أي كقدور النحاس من شدة حمرتهما يراها الناظر كالبرق الخاطف. جعلهما الله تكرمة للمؤمن ليثبته وينصره، وهتكًا لستر المنافق في البرزخ، وإخافة للكافر ليتحير في الجواب. وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح. وقيل: هما للكافر والعاصي. وأما المؤمن الموفق فله ملكان آخران اسمهما مبشر وبشير.

قوله: (مؤمنًا كان أو كافرًا... إلخ): هذا هو الصحيح خلافًا لقول ابن عبد البر والسيوطي: لا يُسأل الكافر. قوله: (الذي يستقر فيه): أي وأما من علم الله أنه يُنقل من قبر لآخر فلا يُسأل إلا

بصيلة

(هو المعتمد): أي لأنه رُبط بحلقة بيت المقدس كما في القصة.

بخيت

قوله: (أسودان أزرقان): قال التوربشتي: أسودان إما على الحقيقة لما في السواد من الهيبة

وعند انصراف الناس يقعدانه، ويعيد الله فيه الروح بتمامه -وقيل: في نصفه- ويسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، والرجل المبعوث فينا رسول الله ﷺ. فيقولان له: أنظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا. وأما المنافق أو الكافر فيقول: لا أدري. فيقولان له: لا دريت ولا تليت. ويُضرب بمطراق من حديد في يد أحدهما، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه من الثقلين.

ويترفقان بالمؤمن، وينهران الكافر والمنافق، ويسألان كل أحد بلسانه على الصحيح ولو تمزقت

سباعي

قوله: (به): أي بدله، فالباء فيه للبدل، كما في قول الشاعر:

فليت لي بهم قومًا إذا ركبوا ... شنوا الإغـارة فُرسانا ورُكبانا

قوله: (بمطراق من حديد): وفي رواية: بمِرْزبَّة من حديد. **قوله: (على الصحيح)**: ومقابله يقول: يسألان الكل بلسانٍ واحدٍ، ويفهمه كل أحد ولو لم يكن بلغته. **قوله: (ولو تمزقت أعضاؤه)**: مبالغة في قوله: ويسألانه. **قوله: (إذ لا يبعد)**: تعليل للمبالغة.

صاوي

في القبر الذي يبعث منه. **قوله: (ويعيد الله الروح فيه بتمامه)**: هذا هو قول الجمهور لظاهر الأحاديث المتواترة، ولذا قال السيوطي:

وكلـه يحيى لـدى الجمهور ... لاجـــزؤه لـظـاهـر المـأثـور

قوله: (ويترفقان بالمؤمن): أي ولو عاصيًا، بحسب تفاوت مراتب المؤمنين.

قوله: (على الصحيح): أي كما هو ظاهر الأحاديث وأقوال السلف. وقيل: بالعربية. وقيل:

بصيلة

....

بخيت

والنكر، وإما كناية عن قبح المنظر. وأما زرقة العينين فالمراد بها وصفها بتقليب البصر وتحديد النظر إليه، يُقال: زرقت عينه نحوي، إذا انقلبت وظهر بياضها، كما ينظر العدو إلى من يعاديه. وقيل: إنما يوصف العدو بالزرقة، لأن الروم أعداء العرب وهم زرق العيون.

قوله: (وما تقول في الرجل... إلخ): أي محمد ﷺ، قال الطيبي: عبَّر بهذه العبارة التي ليس فيها تعظيم امتحانًا للمسؤول لئلا يتلقن تعليمًا من عبارة القائل. اهـ.

أعضاؤه أو أكلته السباع أو حُرق وسُحق وذُرِّي في الهواء، إذ لا يبعد أن يخلق الله تعالى الحياة فيه.

وأحوال المسؤولين مختلفة، فمنهم من يسأله الملكان، ومنهم من يسأله أحدهما، قال القرطبي: اختلفت الأحاديث في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب الأشخاص، فمنهم من يُسأل عن بعض اعتقاداته، ومنهم من يسأل عن كلها. انتهى. واختُلف في اختصاصه بهذه الأمة. ولا يُسأل الأنبياء ولا الملائكة ولا الصديقون والمرابطون والشهداء، وملازم قراءة «تبارك» كل ليلة ومن قرأ في مرض موته «الإخلاص» ثلاثًا، والمبطون ومن مات في أيام الطاعون ولو لم يُطعن، والمجنون والأبله. وجزم الجلال السيوطي بعدم سؤال الأطفال، وبسؤال الجن لتكليفهم وعموم أدلة السؤال. وهذا السؤال هو فتنة القبر.

سباعي

قوله: (وأحوال المسؤولين... إلخ): مستأنف واقع في جواب سؤال مقدَّر، كأنَّ قائلًا قال له: قد عرفنا أن السؤال واجب، وما أحوال المسؤولين؟ فأجاب بقوله: وأحوال المسؤولين... إلخ.

قوله: (وبسؤال الجن): أي وجزم بسؤال الجن.

صاوي

بالسريانية. والمعتمد أن السؤال مرة واحدة للمسلم والمنافق والكافر. وذهب أكثر العلماء إلى أنه ثلاث مرات في ساعة واحدة عقب نزوله القبر. وذهب السيوطي إلى أنه يتكرر على المؤمن سبعة أيام: المرة الأولى عقب نزوله، والباقي بعد الفجر له. **قوله: (ولا الصديقون)**: جمع صديق، وهو من صدق الله ورسوله وأخلص لله ظاهرًا وباطنًا. **قوله: (والمرابطون)**: جمع مرابط، وهو الملازم طرف بلاد المسلمين لحفظهم من الكفار. **قوله: (والشهداء)**: أي قتلى المعركة أو شهداء الآخرة. وهم فرق كثيرة منهم المبطون الآتي. **قوله: (وملازم قراءة «تبارك» كل ليلة)**: أي بعد غروب الشمس إلى طلوع الفجر. ويدخل وقتها بالزوال. ومثله ملازم قراءة سورة «السجدة». **قوله: (والمبطون)**: أي الذي مات بإسهال بطنه لما ورد: «من قتله بطنه لم يُعذب في قبره». **قوله: (والمجنون)**: أي إن جُنَّ قبل البلوغ، أو بعده وهو مسلم واستمر به الجنون إلى الموت. **قوله: (والأبله)**: هو الذي لا عقل له يصل

بصيلة

قول الشارح **(وهذا السؤال هو فتنة القبر)**: أي امتحان واختبار المسؤول. ومنه فتنت الذهب،

بخيت

قوله: (ولا يُسأل الأنبياء): نقل السعد التفتازاني عن السيد أبي شجاع أن الصبيان يُسألون،

وكنعيم القبر وعذابه، والمراد عذاب البرزخ ونعيمه، ولو لم يُقبر، والتعبير بالقبر جرىٰ علىٰ الغالب. ومحله الروح والجسد جميعًا، إذ لا مانع أن يخلق الله تعالىٰ في جميع الأجزاء أو بعضها نوعًا من الحياة قدر ما يدرك ألم العذاب أو لذة النعيم، وهذا لا يستلزم أن يتحرك أو يضطرب أو يُرىٰ أثر العذاب عليه حتىٰ إن من أكلته السباع أو صُلب في الهواء يعذب وإن لم نطلع علىٰ ذلك وقيل: مختص بالروح.

سباعي

قوله: (وكنعيم القبر وعذابه): معطوف علىٰ قوله: كوجوب شهادة أن لا إله إلا الله... إلخ. **قوله: (ولو لم يُقبر)**: أي هذا إذا قُبِر، بل ولو لم يقبر. **قوله: (إذ لا مانع)**: تعليل لقوله: ومحله... إلخ. **قوله: (أن يخلق)**: أي من خلقه، فـ«أن» مصدرية. **قوله: (نوعًا)**: مفعول يخلق. **قوله: (وهذا)**: أي خلق الله نوعًا من الحياة. **قوله: (حتى إن من أكلته السباع... إلخ)**: حتىٰ فيه غائية، أي فهي غاية لقوله: لا مانع إلىٰ آخره.

قوله: (وقيل... إلخ): هذا مقابل لقوله: «ومحله... إلخ». ويُؤخذ من حكايته بـ«قيل» أن الأول هو المعتمَد.

صاوي

إلىٰ حد تدبير دينه أو دنياه، وهو المغفل.

قوله: (والمراد عذاب البرزخ): أي وإنما أُضيف إلىٰ القبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عُذِّب، قُبر أو لم يُقبر.

بصيلة

أي أدخلته النار لتظهر جودته، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾[طه: ٤٠] أي اختبرناك. وقد تكون بمعنىٰ الميل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] أي يميلونك. وقد تكون بمعنىٰ الكفر، قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩] أي كفر. وبمعنىٰ العذاب قال تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي يعذبون.

بخيت

وكذا الأنبياء عليهم السلام. وقيل: إن الأنبياء لا يُسألون، لأن السؤال علىٰ ما ورد في الحديث عن ربه وعن دينه ونبيه، ولا يُعقل سؤال النبي عن نفسه، وهو لا يدل علىٰ عدم السؤال مطلقًا، بل علىٰ السؤال عن نبيه فقط، وذلك أيضًا في النبي الذي لا يكون علىٰ ملة نبي آخر، كذا في الدواني، فتأمل.

والنعيم يكون للمؤمنين، والعذاب للكافرين ولعصاة المؤمنين من هذه الأمة وغيرها، وهو قسمان: دائم، وهو للكفار وبعض العصاة؛ ومنقطع: وهو لبعض العصاة ممن خفت جرائمهم. وانقطاعه: إما بسببٍ، كصدقة أو دعاء، أو بلا سبب، بل بمجرد العفو.

ومن عذاب القبر ضغطته، وهي التقاء حافتيه حتىٰ تختلف أضلاع الميت. ويختلف باختلاف العمل، حتىٰ إن الصالح يضمه ضمة الأم الشفوقة علىٰ ولدها.

وكحياة الشهداء، ....

سباعي

قوله: (والنعيم... إلخ): مستأنَف واقع في جواب سؤال مقدَّر، تقديره ظاهر.

قوله: (وكحياة الشهداء): أي ومما يجب اعتقاده حياة الشهداء. والحياة الحادثة كيفية يلزمها قَبول الحِسِّ والحركة الإرادية، أو يصح لمن قامت به العلم. وظاهر الشارح وغيره أن الشهداء أحياء حقيقةً، كما هو قضية الآية الشريفة، وبه جزم بعض المحققين، كما أنهم يُرزقون مما يشتهون كما تُرزق الأحياء بالأكل والشرب واللباس وغيرها، وهو ممكن، فالعدول عنه من غير معارض غير لائق.

وقال بعضهم: يجوز أن يجمع الله تعالىٰ جملة من أجزاء الشهيد فيحييها، فتنعم بالأكل والشرب. وقال بعضهم: الحياة للروح لا للجسد. وقال العلامة العارف بالله تعالىٰ الجزولي: إن حياة الشهداء حياة غير مكيَّفة ولا معقولة للبشر، يجب الإيمان بها علىٰ ما جاء به ظاهر الشرع، ويجب الكفُّ عن الخوض في كيفيتها، إذ لا طريق للعلم بها إلا من الخبر، ولم يرد فيها شيء يبيِّن المراد.اهـ. ونحوه قول شيخ الإسلام الأنصاري في حواشي تفسير البيضاوي: أكثر المفسرين علىٰ أن حياة الشهداء ليست بالجسد. وقال ابن عادل: ويُحتمل أن حياتهم بالجسد وإن لم نشاهد الجسد حيًّا، فإن حياة الروح ثابتة لجميع الأموات بالاتفاق، فلو لم تكن حياة الشهداء بالجسد لاستووا هم وغيرهم. اهـ. وقال

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

وهم من قتلوا في جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله تعالىٰ، حتىٰ إنهم يأكلون ويشربون ويتنعمون في الجنة، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وإن لم نعلم كيفية هذه الحياة،............................

سباعي

بعض المتأخرين: والنفسُ إلىٰ ما قاله الجزولي أميَل. **قوله: (وهم من قُتلوا في جهاد الكفار... إلخ)**: أخرج المبطون والمطعون وصاحب الهدم والغريق والحريق ونحوهم من شهداء الآخرة فقط، فإنهم وإن أُعطوا منازل الشهداء فيها غير لازم مساواتهم لهم كما ذكره النووي وغيره. ودخل فيه فريقان: **أحدهما**: من قُتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله من غير اقتحام مؤثِّم، أي أمر محرَّم؛ **وثانيهما**: من قُتل في سبيل الله لغرض دنيوي، كما لو غلَّ في الغنيمة بأن يقصد إعلاء الكلمة والغنيمة معًا. وظاهر كلام أئمتنا إرادة القصدين، خلافًا لمن قصر الحكم علىٰ الأول فقط، كما هو أصل ورود الآية. فقد صرّح جمعٌ منهم بأن إرادة الغنيمة أو الوقوع في المعصية لا ينافي حصول الشهادة. نعم، اختار جمعٌ التفصيل بين قصد الأخروي فيُؤجَر بقدره، وقصد الدنيوي فلا أجر، كما إذا قُصدا معًا.

ثم كلام الشارح ظاهر في قصْرِ الحكم المذكور علىٰ شهيد حرب الكفار، ولعله لكونه فيه أتم، أو لكونه مقطوعًا له بذلك، وإلا فقد صرَّح القرطبي بأن كل مقتول علىٰ الحق هذا سبيله. ولفظ النووي: وهذا الفضل وإن كان الظاهر أنه في قتال الكفار يدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتل البُغاة وقُطَّاع الطريق، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

قوله: (ويتنعمون): اعلم أن الآثار الواردة في تنعمات الشهداء كثيرةٌ، وفي كلِّ ما ليس في الآخر،

صاوي

قوله: (في جهاد الكفار): مثله من قُتل علىٰ الحق، كقتال البغاة وقطاع الطريق وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **قوله: (لإعلاء كلمة الله)**: أخرج به من قاتل لا لإعلاء كلمة الله، بل للغنيمة أو لإظهار الشجاعة، فإن له حكم شهداء الدنيا من عدم غسلهم والصلاة عليهم، لا ثوابهم الكامل.

بصيلة

....

بخيت

....

إذ هي غير معقولة لأكثر البشر. وسموا شهداء لأن أرواحهم شهدت دار السلام، أي حضرتها ودخلتها، بخلاف غيرهم فإنه لا يدخلها إلا يوم القيامة، أو لأن الله وملائكته شهدوا له بالموافاة.

وكأخذ العباد المكلفين من الثقلين في المحشر -ماعدا الأنبياء والسبعين ألفًا الذين يدخلون

سباعي

ولذا جمع بينهما شبيب بن إبراهيم في «الإفصاح» جمعًا حسنًا ملخصه أنهم منعَّمون بضروبٍ من النعيم مختلفة، فمنهم من هو طائر يعلق في شجر الجنة، ومنهم من هو في حواصل طير أخضر، ومنهم ومن يأوي إلى قناديل تحت العرش، ومنهم من هو في حواصل طير أبيض، ومنهم من هو في حواصل طير كالزرازير، ومنهم من هو في أشخاص وصور من صور الجنة، ومنهم من هو في صور تُخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنهم من تسرح روحه وتتردَّد إلى جثتها تزورها، ومنهم من يتلقى أرواح المقبوضين، ومنهم من هو في كفالة ميكائيل، ومنهم من هو في كفالة آدم، ومنهم من هو في كفالة إبراهيم ﷺ.

والمراد من كون أرواحهم في جوف طيرٍ أو في حواصل طير أنها تركب تلك الطير، أو تكون أجوافها لها كالهوادِج الشفافة الواسعة، أو المراد أنها كالطير في سرعة قطع المسافة البعيدة، لا أن أرواحهم لها أجنحة، أو أنها تُعمِّر أجسامًا أُخَر غير أجسامها، فتدبرها لئلا يلزم التناسخ.

قوله: (إذ هي غير معقولة لأكثر البشر): صريح في أن بعض البشر ممن اصطفاه الله من عباده المخلصين يعقل كيفية حياة الشهداء ولا حرج، فضل الله تعالى يخص من يشاء بما يشاء. **قوله: (لأن أرواحهم... إلخ)**: قاله النضر بن شميل. **وقوله: (أو لأن الله... إلخ)**: قاله ابن الأنباري. **قوله: (شهدوا له)**: المناسب لقوله: «سُموا شهداء» أن يقول: شهدوا لهم. وقد يُقال: إن «أل» في الشهداء جنسية، أي جنس الشهيد الصادق بالواحد والمتعدد.

قوله: (وكأخذ العباد... إلخ): أي ومما يجب اعتقاده أخذ العباد كتبهم.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

الجنة بغير حساب-كتبَهم التي كتبت فيها الملائكة الحفظة أعمالهم التي صدرت عنهم في الدنيا بالأيمان والشمائل، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وحاصل ما قيل في ذلك أن صحائف الأيام والليالي توصل حتى تكون صحيفة واحدة. وقيل: يُنسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة، فإذا مات العبد جُعلت في خزانة تحت العرش، حتى إذا كان يوم القيامة والناس في الموقف بعث الله تعالى ريحًا فتطيرها من تلك الخزانة، فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها، ثم تأخذها الملائكة من الأعناق فيعطونها لهم في أيديهم على حسب حالهم من إيمان أو كفر، فالمؤمن يُعطى كتابه بيمينه، والكافر بشماله، ويُثقب صدره فيدخل يده اليسرى فيه ويأخذ كتابه من وراء ظهره.

وأول من يأخذ كتابه بيمينه على الإطلاق عمر بن الخطاب ﷺ وله شعاع كشعاع الشمس. وأما أبو بكر فهو رئيس السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وبعد عمر أبو سلمة عبدالله ابن عبد الأسد المخزومي ﷺ، وأول من يأخذه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد المخزومي.

سباعي

قوله: (كتبهم): معمول أخذ. **قوله: (بالإيمان)**: متعلق بـ«أخذ». وقوله: (﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ [الحاقة: ١٩]): دليلٌ له. **قوله: (في خِزانة)**: بكسر الخاء ليس إلا.

قوله: (حتى إذا كان يوم القيامة): أي إلى أن يأتي يوم القيامة، فحتى غائية. **وقوله: (بُعث)**: أي يُبعث، وعبَّر بالماضي لتحقق الوقوع. **قوله: (وله شعاع... إلخ)**: الضمير للكتاب. **قوله: (وأما أبو بكر... إلخ)**: أي ولا يأخذ كتابًا، ويُقال: أين أبو بكر يا رسول الله؟ فيقول: «هيهات زَفَّت به

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

قوله: (ويثقب صدره... إلخ): بهذا حصل الجمع بين ما ورد أنه يأخذ بشماله، وما ورد أنه يأخذ من وراء ظهره.

ثم إذا أخذ العبد كتابه وجد حروفه نيرةً أو مظلمةً على حسب الأعمال الحسنة أو القبيحة. وأول خط فيها ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ [الإسراء: ١٤]، فإذا قرأه ابيض وجهه إن كان مؤمنًا، واسوَّد إن كان كافرًا، وذلك قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] الآية. ويخلق الله تعالى له علم القراءة وإن لم يكن يقرأ في الدنيا. والصحيح أن عصاة المؤمنين يأخذون صحائفهم بأيمانهم، ويكون علامة على دخولهم الجنة ولو بعد دخولهم النار.

وكالشفاعة، ....

سباعي

الملائكة إلى الجنة». **قوله**: (**وذلك**): أي قولنا: ابيض وجهه... إلخ.

قوله: (**وكالشفاعة**): هذا نوع من السمعيات وردت به آثار بلغت مبلغ التواتر المعنوي، وانعقد عليه إجماع السلف الصالح قبل ظهور المبتدِعة، **وهي لغة**: الوسيلة والطلب. قال شيخ مشايخنا العدوي: أي مجموعهما لا كل واحد على انفراده، هذا هو الظاهر. قال: وعبارة «المصباح»: وشفعت في الأمر شفعًا وشفاعة طالبت بوسيلة. اهـ. قال: وحرره. اهـ.

وعُرفًا: سؤال الخير للغير، من الشفع ضد الوتر، كأنَّ الشافع ضمَّ سؤاله إلى سؤال المشفوع له، من شفعَ يشفعَ، بفتح العين فيهما كما قاله النووي، يُقال: شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع، والمشفِع -بكسر الفاء- هو الذي يقبل الشفاعة، والمشفَع -بفتحها- هو الذي تُقبل شفاعته. اهـ. باختصار. أي ومما يجب اعتقاده عند أهل الحق الشفاعة، وهي عند أهل السنة يجوز أن تكون لأهل الكبائر. وقصرها المعتزلة على المطيعين والتائبين. واستدل أصحابنا على العموم بأحاديث كثيرة، منها وعليه نقتصر: «ادخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». وانظر ما استدل به المعتزلة، والأجوبة عنه في المطولات.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

وهي أنواع: **الأول**: شفاعته ﷺ في فصل القضاء لإراحة الخلق من طول الوقوف ومشقته، وهي مختصة به ﷺ.

سباعي

تنبيه: معنى التواتر المعنوي أن يرويه جماعة كثيرة يستحيل تواطؤهم على الكذب، لكن بألفاظ مختلفة مؤداها واحد.

قوله: (**وهي أنواع**): أي ستة على ما ذكره هنا. وانظر ما وراء ذلك في المطولات، فإنهم ذكروا فيها أنواعًا وردت بها آثار لا تخلو عن مقال.

قوله: (**الأول شفاعته في فصل القضاء... إلخ**): أي وهي أعظمها وأعمُّها، وتكون بعد أن يتكلم الأنبياء عليهم السلام حين يعاينون من شدائد الموقف وأهواله، وطول القيام فيه لرب العالمين، وزيادة القلق، وتصاعد العرق ما يُذهِب الأكباد ويُنسي الأولاد مدة ثلاثة آلاف سنة، فيُزادُونها من آدم إلى عيسى خمسة آلاف سنة أيضًا، إذ بين سؤال كل نبيٍّ وآخر ألف سنة، كما قاله ابن حجر والقرطبي وغيرهما، فإذا انتهوا إليه قال: «أنا لها أنا لها، أمَّتي أمَّتي» وكلٌّ ممن قبله لا يقول إلا «نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري» فيشفع. وهذه مختصَّة به ﷺ وتُسمَّى الشفاعة العظمى، وهذه مجمَع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر.

قوله: (**لإراحة الخلق من طول الوقوف**): أي يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو إلى النار.

صاوي

قوله: (**وهي مختصة به ﷺ**): أي إجماعًا، وذلك لأن الناس في ذلك الوقت يذهبون إلى الرسل من آدم إلى عيسى فردًا فردًا يسألونهم الشفاعة في الانصراف من ذلك الموقف، فكلٌّ يبدي حجة إلى أن يذهبوا إليه ﷺ يسألونه الشفاعة، فيقول: «أنا لها أنا لها». فيسجد تحت العرش، فيقول الله له:

بصيلة

(**فكل يبدي حجة**): وذلك لأنه حين يشتد الهول ويتمنى الناس الانصراف ولو إلى النار، يُلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه، فيذهبون إلى آدم فيقولون له: أنت أبو البشر، اشفع لنا.

بخيت

قوله: (**وهي لإراحة الخلق**): أي جميعًا من الإنس والجن، إلا أن شفاعته للكفار لذلك فقط، فشفاعته ﷺ عامة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قوله: (**وهي مختصة به**): قال الصاوي: أي إجماعًا، وذلك لأن الناس في ذلك الوقت يذهبون

....

سباعي

....

صاوي

ارفع رأسك، واشفع تُشفع، فيرفع رأسه. وهذا هو المقام المحمود، لأنه من حينها يكثر حمد الناس له، فيُنصب له لواء له ثلاث ذؤابات: ذؤابة بالمشرق، وأخرىٰ بالمغرب، وأخرىٰ بالوسط، والأنبياء ومن دونهم تحت ذلك اللواء.

بصيلة

فيقول: لست لها -ثلاثًا- نفسي نفسي، لا أسأل اليوم غيرها، ويعتذر بالأكل من الشجرة. فيذهبون إلىٰ نوح ويسألونه الشفاعة، فيعتذر لهم، وهكذا، وبين كل نبي ونبي ألف سنة، فلما يذهبون إلىٰ سيدنا محمد ويسألونه الشفاعة يقول: «أنا لها أنا لها، أمتي أمتي» فيسجد تحت العرش... إلخ ما ذكر المحشي.

(تُشفع): أي تقبل شفاعتك. وهذا هو المقام المحمود... إلخ. وقال بعضهم: إن المقام المحمود هو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحىٰ: ٥] وأنه لا يرضى إلا بإخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار. وبعضهم قال: إنه عرفة عالية في الجنة.

بخيت

إلىٰ الرسل من آدم إلىٰ عيسىٰ فردًا فردًا يسألونهم الشفاعة في الانصراف من ذلك الموقف، فكل يبدي حجة إلىٰ أن يذهبوا إليه ﷺ يسألونه الشفاعة، فيقول: «أنا لها أنا لها» فيسجد تحت العرش، فيقول الله: ارفع رأسك، واشفع تشفع. فيرفع رأسه، وهذا هو المقام المحمود.اهـ.

لكن قال غيره: إن المقام المحمود هو المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحىٰ: ٥] وأنه لا يرضى إلا بإخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار. وبعضهم جعله عرفة عالية في الجنة.

وفي عبارة بعضهم الأولىٰ التعميم. وما استدل به مدعي التخصيص من أنه ﷺ قال: «إن المؤمنين يأتون للشفاعة إلىٰ آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام، ويقول كل منهم: لست للشفاعة أهلًا، فيأتون إليَّ، فأستأذن علىٰ ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد، وقل تُسمع، واشفع تُشفع، وسل

الثاني: شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب. قال النووي: وهي مختصة به. **الثالث**: الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، قال عياض: وليست مختصة به وتردد النووي أي لأنه لم يرد تصريح بذلك. **الرابع**: الشفاعة في إخراج قوم من النار، ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة وصالحو المؤمنين. **الخامس**: الشفاعة في زيادة الدرجات. وجوَّز النووي اختصاصها به عليه الصلاة والسلام. **السادس**: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود في النار، كما في حق أبي طالب، ففي

سباعي

قوله: (قال النووي): أي تبعًا للقاضي، وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه السبكي وابن حجر قائلًا: لا دليل عليه. ومثله لا يدرك بالقياس والاجتهاد، وقد ذكر حديثها مسلم، انظره إن شئت. **قوله: (فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها)**: أي وإن كان يُحاسَب. **قوله: (قال عياض)**: وتبعه ابن السبكي في «جمع الجوامع». **قوله: (بذلك)**: أي بالاختصاص. **قوله: (ويشاركهفيها الأنبياء... إلخ)**: وفصَّل القاضي عياض فقال: إن كانت هذه الشفاعة لإخراج مَن في قلبه مثقال ذرة من الإيمان اختُصت به ﷺ وإلا شاركه غيره فيها.

قوله: (الخامس... إلخ): هذه لا ينكرها المعتزلة أيضًا كالأولى. **قوله: (وجوَّز النووي)**: وجزم العراقي في كتاب الاعتقاد باختصاصها به عليه الصلاة والسلام.

قوله: (في تخفيف العذاب... إلخ): قال اللقاني في كبيره: والظاهر أن هذا التخفيف إنما هو

صاوي

قوله: (قال عياض: وليست مختصة به): أي وهو المعتمد. **قوله: (وصالحو المؤمنين)**: أي والأطفال، بل والمولى يشفع أيضًا فيمن قال: لا إله إلا الله، ولم يعمل خيرًا قط.

بصيلة

....

بخيت

تعط، فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه الله تعالى، ثم أشفع، فيحد لي حدًّا، فأخرج فأدخلهم الجنة حتى لا يبقى في النار إلا من قد حبسه القرآن -أي وجب عليه الخلود- ثم تلا عليه السلام قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال: هذا المقام المحمود الذي وُعد نبيكم» لا يدل على التخصيص لجواز حمل «أل» على العهد، والمعهود فرد من الأفراد.

قوله: (فيمن استحق دخول النار... إلخ): لقوله ﷺ: «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر

الصحيح «أنا أول شافع وأول مشفع»، وأنه ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي فيُجعل في ضَحْضَاح من نار».

وكشرائط الساعة الخمسة المتفق عليها، أي علاماتها، أي العلامات الدالة على قربها.

سباعي

عذاب ما زاد على الكفر من الفروع وما يجري مجراها إلا عذاب الكفر. اهـ. **قوله: (كما في حق أبي طالب)**: أي فإنه لما مات قال العباس للنبي ﷺ: «يا ابن أخي، إن أبا طالبٍ كان يعزُّك ويكفلك، أينفعُه ذلك؟ قال: نعم، إني وجدته في ضَحْضَاح من النار» الحديث. اهـ. عدوي.

قوله: (في ضَحضاح من نار): أي يسير من نار.

قوله: (وكشرائط الساعة): معطوف على حياة الشهداء، أي ومما يجب اعتقاده شرائط الساعة.

قوله: (المتفق عليها): انظر المختلف فيها في كبير اللقاني.

صاوي

قوله: (فيجعل في ضحضاح من نار): أي لما ورد أنه أقل أهل النار عذابًا، ففي الحديث: «أقل أهل النار عذابًا رجل ينتعل بنعلين من نار تغلي منهما دماغه».

قوله: (أي العلامات الدالة على قربها): أي وهي العلامات الكبرى.

بصيلة

(وهي العلامات الكبرى): قال العلامة الجراحي: قوله: «المتفق عليها» أي بحيث لو أنكرها شخص ارتد، فإن تاب خُلي، وإلا قُتل لثبوت الكتاب والسنة والإجماع على ذلك. وأما الخمسة الباقية فلا يبلغ بإنكارها الردة.

بخيت

من أمتي» وهو حديث صحيح، وبذلك يبطل مذهب المعتزلة في إنكارهم الشفاعة لأهل الكبائر مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. **والجواب**: أن الآية وإن دلت على عموم الأشخاص لوقوع النكرة في سياق النفي لا نسلم أنها تدل على عموم الأحوال. ولئن سُلِّم فليس مرادًا، بل يجب تخصيصه بالكفار جمعًا بين الأدلة. قال الرازي: دلائلهم في نفي الشفاعة عامة في الأشخاص والأوقات، ودلائلنا في إثباتها خاصة بها، لأنا لا نثبت الشفاعة في حق كل شخص، ولا في جميع الأوقات، والخاص مقدم على العام فالترجيح معنا، والأجوبة التفصيلية في «التفسير الكبير». اهـ.

أولها: خروج المسيح الدجال -بالحاء المهملة على الصحيح - سُمي مَسيحًا لمسحه الأرض في أمد يسير، أي مدة أربعين يومًا كما سيأتي في الحديث. وقيل: لأنه ممسوح العين اليسرى. ووُصف بالدجال -أي الكذاب - للفرق بينه وبين المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. وسُمي عيسى مسيحًا لمسحه الأرض، أي سياحته فيها. وقيل: لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برئ بإذن الله تعالى. وقيل: لأنه ممسوح بالبركة.

ثانيها: نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء وقتله للدجال، ففي الصحيح: «لينزلن ابن مريم حكمًا عدلًا، فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية» الحديث، وفي

سباعي

قوله: (على الصحيح): ومقابله «مسيخ» بالخاء المعجمة. **قوله: (فليُكَسِّرَن)**: بضم الياء وفتح الكاف وكسر السين المهملة مشددة. **قوله: (وليضعنَّ الجِزية)**: أي يبطلها من أصلها، ولا يقبل من

صاوي

قوله: (على الصحيح): وقيل بالخاء المعجمة، لأنه ممسوخ الصورة.

قوله: (وليضعن الجزية): أي لا يقبلها، بل إما الإسلام أو السيف.

بصيلة

واعلم أن أشراط الساعة على قسمين: كبرى، وصغرى. **فالكبرى عشرة**: خمس متفق عليها، وهي التي ذكرها الشارح، وخمس مختلف فيها، وهي: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ودخان باليمن، ونار تخرج من قعر عدن تروح مع الناس حيث راحوا وتقيل معهم حيث قالوا. **وأما الصغرى** فكثيرة: وأولها بعث النبي ﷺ، وانشقاق القمر، ورجم الشياطين من السماء، وقبض العلم، ورفع القرآن على أحد قولين، والآخر أنه من الكبرى، وظهور الجهل، وكثرة الفتن، وكثرة الزنا، ومعاملة الناس بالربا، وظهور الدجالين، وكثرة الزلازل، وإمارة الصبيان، والتطاول في البنيان، وكثرة المساجد، وأن تلد الأمة ربتها، وكثرة شرب الدخان، وخروج المهدي وعلاماته الدالة عليه، وتأمين الخائن وخيانة الأمين، وكثرة العقوق، وأن تُرد الدولة إلى غير أهلها، وأن تزخرف المساجد وغير ذلك.

بخيت

....

مسند أحمد من حديث جابر: «يخرج الدجال في خَفْقَة من الدين وإدبار من العلم، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض جانبي أذنيه أربعون ذراعًا، فيقول للناس: أنا ربكم. وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه «كافر» يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خبز، والناس في جَهد إلا من اتبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول له الجنة، ونهر يقول له النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو في النار، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو في الجنة.

سباعي

النصارىٰ واليهود إلا الإسلام أو القتل. اهـ. مؤلفه. **قوله: (في خفقة)**: من الخفوق وهو الغياب، أي في غياب من الدين. **وقوله: (إدبار من العلم)**: أي إعراض عن العلم.

وله: **(اليوم منها كالسنة)**: أي اليوم الأول منها كالسنة، واليوم الثاني كالشهر، واليوم الثالث كالجمعة.

قوله: (وإنَّ ربكم ليس بأعور): لعله قاله تنبيهًا وحذرًا من أن يتبعوه علىٰ كذبه. **قوله: (ومعه جبال من خبز)**: كناية عن الكثرة. **قوله: (في جَهد)**: أي شدة وغلاء.

وقوله: (إلا من تبعه): أي إلا من تبعه فإنه في خصب. **قوله: (أنا أعلم بهما منه)**: الضمير الأول للنبي عليه الصلاة والسلام، والثاني للدجَّال لعنه الله.

صاوي

قوله: (في خفقة من الدين): أي قلة. **قوله: (وإدبار)**: أي إعراض.

قوله: (اليوم منها كالسنة): أي وهو أول يوم منها. **وقوله: (واليوم منها كالشهر)**: أي الثاني. **وقوله: (واليوم منها كالجمعة)**: أي الثالث.

قوله: (ومعه نهران... إلخ): هو معنىٰ قوله في بعض الروايات: «ومعه جنة ونار».

بصيلة

....

بخيت

....

قال: وتُبعث معه شياطين تِلْكُم، ومعه فتنة عظيمة، يأمر السماء تمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسًا ثم يحييها فيما يرى الناس، فيقول للناس: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب؟ فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم، فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدًا شديدًا، ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيأتي في السَّحَر، فيقول: أيها الناس، ما يمنعكم من أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث. فينطلقون، فإذا هم بعيسى، فتُقام الصلاة، فيُقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم. فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب فينماع -أي يذوب- كما ينماع الملح في الماء، فيقتله، حتى إن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحد إلا قتله» وفي الصحيح أحاديث بمعنى ذلك. انتهى، ذكره السيوطي.

ثالثها: خروج يأجوج ومأجوج ....

سباعي

قوله: (وتُبعث معه شياطين تِلْكُم): أي تِلْكُم الأزمنة. **قوله: (فيما يرى الناس)**: أي وفي الواقع لا مطر. **قوله: (فيفر الناس)**: أي المؤمنون الذي يخافون على إيمانهم من فتنته.

قوله: (فيشتد حِصارهم): بكسر الحاء المهملة من باب ضرب، يُقال: حصر حصرًا أو حصارًا. **قوله: (ويجهدهم جهدًا شديدًا)**: أي يتبعهم تعبًا شديدًا. **قوله: (في السحر)**: تنازعه كل من ينزل، ويأتي. **قوله: (فيقول)**: أي عيسى ﷺ. **قوله: (إمامكم)**: أي المهدي. **قوله: (بمعنى ذلك)**: أي ما ذكر.

صاوي

قوله: (شياطين تلكم): هو اسم موضع. **قوله: (ويقتل نفسًا ثم يحييها)**: أي وهو الخضر ﷺ ورد أنه حين يحييه يقول له: «أو لم تؤمن؟ فيقول له: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة» ثم بعد إحيائه تمسك يده فلا يقتل أحدًا. **قوله: (فيفر الناس)**: أي مع المهدي.

قوله: (فيأتي في السحر): أي في وقته. **قوله: (ليتقدم إمامكم)**: أي وهو المهدي.

قوله: (يأجوج ومأجوج): اسمان أعجميان لا اشتقاق لهما، ومُنعا من الصرف للعلمية

بصيلة

....

بخيت

....

-بالهمز ودونه – وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح ﷺ، فهما من ذرية آدم ﷺ من غير خلاف، روى مسلم من حديث النواس بن سمعان: «أن الله تعالى يُوحي إلى عيسى ﷺ بعد قتله الدجال: إني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدَانِ لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون -أي من كل نشر يمشون مسرعين- فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ماءها وهي بالشام طولها عشرة أميال، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذا أثر ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مئة دينار لأحدكم، فيرغب نبي الله وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه في الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأته زهمتهم، فيرغب إلى الله تعالى نبي الله وأصحابه، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله تعالى مطرًا لا يَكِنُّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يُقال للأرض أنبتي ثمرك» الحديث.

وقوله: «لا يدان لأحد» تثنية يد، ومعناه لا قدرة ولا طاقة. ومعنى «حرزهم إلى الطور» ضمهم إليهم، واجعل لهم حرزًا. وقوله: «النغف» -هو بتحريك الغين المعجمة- الدود الذي يكون

سباعي

قوله: (مدر): أي مبني (ولا وبرٍ): أي نجْع. **قوله: (كالزلفة)**: أي القصعة.

قوله: (ومعناه لا قدرة): إنما خصّ اليدَ لأنها مظهر القدرة.

صاوي

والعجمية. **قوله: (بالهمز ودونه)**: أي فيهما لغتان وقراءتان سبعيتان. **قوله: (من ولد يافث بن نوح)**: اعلم أن أولاد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث، فسام أبو العجم والعرب والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوب، ويافث أبو الترك والبربر وصقلية. ويأجوج ومأجوج كلهم كفار دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء فلم يجيبوا. **قوله: (فيرغب نبي الله)**: أي يدعو ويتضرع.

قوله: (زهمتهم): أي جيفتهم، فتنتن الأرض منهم. **قوله: (فتطرحهم حيث شاء الله)**: في

بصيلة

....

بخيت

....

في أنوف الإبل والغنم. وقوله: «فرسىٰ» كقتلىٰ وزنًا ومعنىٰ، واحده فريس.

وفي الثعلبي من حديث حذيفة: «قلت: يا رسول الله، ما يأجوج ومأجوج؟ قال: أمم، كل أمة أربعمئة ألف، لا يموت الرجل حتىٰ يرىٰ ألف عين تطوف بين يديه من صلبه، وهم من ولد آدم، فيسيرون إلىٰ خراب الدنيا، فيكون مقدمتهم بالشام، وساقتهم العراق، فيمرون بأنهار الدنيا، فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبرية، حتىٰ يأتون بيت المقدس، فيقولون: قد قتلنا أهل الدنيا، فقاتلوا من في السماء. فيرمون نشابهم إلىٰ السماء، فيرد الله تعالىٰ نشابهم محمرًا دمًا».

وقد ورد أن الدجال يقتله عيسىٰ بن مريم، فيخرج بعده يأجوج ومأجوج، فيقتلون من اتبع الدجال الذي قتله عيسىٰ، وينحصر عيسىٰ ومن معه في رؤوس الجبال، فيسلط الله عليهم داء في أعناقهم، فيموتون كموت رجل واحد. انتهىٰ. ذكر جميعه النفراوي في شرح «الرسالة».

سباعي

قوله: (مقدمتهم): أي أوَّلهم. **وقوله: (وساقتهم)**: أي آخرهم.

صاوي

بعض الروايات فتطرحهم في البحر. ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس، ولا يصلون إلىٰ من تحصن بورد أو ذكر.

قوله: (أمم): في بعض الروايات أنهما جبلان، كل جبل مشتمل علىٰ أربعة آلاف أمة.

قوله: (حتى يرى ألف عين... إلخ): في رواية: «لا يموت الواحد منهم حتىٰ يرىٰ ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح» وهم أصناف: صنف منهم طوله عشرون ومئة ذراع في السماء؛ وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومئة ذراع؛ وصنف منهم يفترش أحدهم إحدىٰ أذنيه ويلتحف بالأخرىٰ، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، فلما رأىٰ ذلك ذو القرنين، شرع في بناء السد واهتم به، فبنىٰ الجدار علىٰ الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب، فلما وصل إلىٰ ظاهر الأرض، بنىٰ بقطع الحديد وأفرغ عليه النحاس المذاب. رُوي أنهم

بصيلة

....

بخيت

....

رابعها: خروج الدابة التي تكلم الناس آخر الزمان المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] أي وإذا قرب وقوع معنىٰ القول عليهم، وهو ما وُعدوا به من البعث والعذاب، أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم، قيل: تكلمهم ببطلان الأديان إلا دين الإسلام. وقيل: تقول: يا فلان، أنت من أهل الجنة، ويا فلان، أنت من أهل النار. وقيل: تقول: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وروي أنه سُئل عليه الصلاة والسلام عن مخرجها، فقال: «من أعظم المساجد حرمة علىٰ الله تعالىٰ» يعني المسجد الحرام. وروي عنه عليه الصلاة والسلام أن لها ثلاث خرجات: خرجة بأقصىٰ

سباعي

قوله: (من البعث): بيان لـ«ما» من قوله: ما وعدوا به. **قوله: (أخرجنا لهم)**: جواب إذا.

صاوي

يحفرونه كل يوم، حتىٰ إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا. فيعيده الله كأشد ما كان، حتىٰ إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلىٰ الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله. فيرجعون فيجدونه علىٰ هيئته حين تركوه، فيخرجون منه إلىٰ الناس، فيستسقون المياه وتنفر الناس منهم.

قوله: **(أي وإذا قرب وقوع معنى القول)**: أي وإنما عبر بالماضي لحصوله في علم الله، لأن الماضي والحال والاستقبال في علم الله واحد لإحاطته به.

بصيلة

(أن يبعثهم إلى الناس): أي من مكانهم وهم كثيرون، فقد رُوي عن الأوزاعي أنه قال: «الأرض سبعة أجزاء، فستة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الخلق» وفي رواية: أن «ولد آدم كلهم عشرة أجزاء، يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء، وسائر ولد آدم كلهم جزء واحد». وليس لله خلق ينمو نماهم في العام الواحد لا يزداد كزيادتهم، يعوون عواء الذئب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم. ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة، يأكلون اللحوم نية. وذكر القرطبي عن علي ﷺ أن صنفًا منهم في طول شجر، لهم مخاليب وأنياب السباع، إلىٰ أن قال: «وشعورهم تقيهم الحر والبرد».

بخيت

....

اليمن، فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها مكة، ثم تمكث زمنًا طويلًا؛ وخرجة قريبة من مكة فيفشو ذكرها في البادية وبمكة؛ وخرجة بينما عيسىٰ بن مريم ﷺ يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تهتز الأرض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المشعر، فتخرج رأس الدابة من الصفا تجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها، وبعد خروجها يمس رأسها السحاب وتُسمىٰ «الجساسة».

وفي الحديث: «أن طولها ستون، ولها أربعة قوائم، وزغب وريش وجناحان، لا يفوتها هارب، ولا يدركها طالب». وعن كعب: صورتها صورة حمار. قيل: لها رأس ثور، وعين خنزير، وأذن أيل، وعنق نعامة، وصدر أسد، ولون نمر، وخاصر هر، وذنب كبش، وخف بعير.

سباعي

قوله: (فيفْشُو): بالفاء. وقوله: (في البادية): متعلق بـ«يفشو».

صاوي

قوله: (**فتخرج رأس الدابة من الصفا**): هذا أحد روايتين، والأخرىٰ أنها تخرج من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد.

قوله: (**أن طولها ستون**): المراد ستون ذراعًا بذراع آدم ﷺ كما ورد.

قوله: (**وأذن أيل**): هو حيوان يظهر في المغرب والسودان، أصغر من البعير كما أخبرني به بعض الثقات. قوله: (**وخف بعير... إلخ**): ورد أن بين المفصلين اثني عشر ذراعًا بذراع آدم ﷺ. وعن أبي هريرة: «فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب». واختُلف في تعيينها، والصحيح

بصيلة

(**تخرج من بين الركن**): هذا مكان خروجها. وأما وقت خروجها فعن ابن عمر أنها تخرج والناس يسيرون إلىٰ منىٰ، وعن عمرو بن العاص قال: «تخرج الدابة من مكة من صخرة، وذلك في أيام الحج، فيبلغ رأسها السحاب، وما خرجت رجلاها بعد من التراب». وفي رواية: «تخرج من صدع من الصفا» وعن ابن عمر: «تخرج من جبل الصفا بمكة، ولو شئت أن أضع قدمي موضع خروجها لفعلت» وقيل: تخرج من تهامة. وقيل: من مسجد الكوفة من حيثُ فار تنور نوح ﷺ. اهـ. جراحي.

بخيت

....

خامسها: طلوع الشمس من مغربها، واختُلف في ذلك هل هو في يوم واحد أو في ثلاثة أيام، ثم تطلع من المشرق على عادتها إلى يوم القيامة، وإذا طلعت من المغرب غربت في المشرق، وعند ذلك يُغلق باب التوبة على المؤمن العاصي والكافر. وقيل: هو خاص بالكافر لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وهل ذلك خاص بالمكلف أو عام؟ وهل يستمر إلى يوم القيامة؟ وهو ظاهر قول البرهان اللقاني في شرح جوهرته: «الحق أن من يوم طلوع الشمس من مغربها إلى يوم القيامة لا تُقبل توبة أحد، كما في حديث ابن عمر»، لكن صحح الأجهوري في حاشيته على «الرسالة» أن عدم قبولها من المؤمن والكافر خاص بمن شاهد الطلوع وهو مميز. أما غير المميز لصبًا أو جنون، ثم حصل له التمييز، أو

سباعي

....

صاوي

أنها فصيل ناقة صالح، وذلك أنه لما عُقرت أمه هرب، فانفتح له حجر، فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل.

قوله: (**لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي ... إلخ﴾** [الأنعام: ١٥٨]): ظاهره أنه دليل للقول الثاني، وليس كذلك، بل الآية منشأ الخلاف، فقيل: إن معناها لا ينفع نفسًا، أي كافرة أو مؤمنة عاصية، ويكون قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾ [الأنعام: ١٥٨] راجعًا للأولى، وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ١٥٨] راجعًا للثانية، ويكون التقدير لا ينفع نفسًا كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن، ولا ينفع نفسًا مؤمنة توبتها من المعاصي، فقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَتْ﴾ ففي الكلام حذف. وعليه فغلق باب التوبة عام في المؤمن العاصي والكافر. وقيل: معناها: أو نفسًا منافقة ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] أي تصديقًا باطنًا، وعليه فهو خاص بالكافر.

قوله: (**الحق أنه من يوم طلوع الشمس من مغربها إلى يوم القيامة... إلخ**): ورد أنه مئة وعشرون

بصيلة

....

بخيت

....

وُلد بعد ذلك فإنه تُقبل منه التوبة. وقال في شرحه على «المختصر»: عن ابن عباس: «لا تُقبل توبة الكافر إلا إذا كان صغيرًا ثم أسلم بعد ذلك، فإنها تُقبل منه. وأما المؤمن المذنب فتُقبل منه توبته».

واعلم ان التصديق بما ذُكر هو الإيمان الشرعي، لأن الإيمان لغة هو ....

سباعي

قوله: (وقال في شرحه على المختصر): أي الأجهوري.

قوله: (لأن الإيمان... إلخ): ووزنُه إفعال من الأمن. هذا أصل مأخذه لغةً، فإن الفعل المصوغ من الأمن وهو أمن بوزن عَلِمَ يتعدىٰ لمفعولٍ واحد. تقول: أمنته أمنًا، فإذا دخلته الهمزة تعدىٰ إلىٰ مفعولين. تقول: آمنت زيدًا ما يحذره مني إيمانًا. ثم استُعمل في التصديق إما مجازًا لغويًّا غلب استعماله فيه، وإما حقيقة عرفية. وكلام الزمخشري في «الأساس» يُشعر بالثاني، فكان معنىٰ آمن به آمنه التكذيب والمخالفة، ويتعدىٰ باللام كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ويتعدىٰ بالباء كحديث: «أن تؤمن بالله وملائكته» أي تصدِّق. قال في «الكشاف»: وتعديته بالباء لتضمُّنه معنىٰ أقَرَّ وأعترف. اهـ. والتضمين أن يلاحظ بفعل مع قصد معناه الحقيقي معنىٰ فعل آخر يناسبه، ويدل علىٰ الفعل الملاحَظ بذكر شيءٍ من متعلقاته، كقولك: أحمد إليك فلانًا. فإنك لاحظت فيه مع معنىٰ أحمد أُنهِي، ودلَّلت عليه بذكر صلته، وهي كلمة «إلىٰ»، كأنَّك قلت: أُنهِي حمدَه إليك، فالمعنىٰ أن في التضمن مقصودين أصلًا وتبعًا من غير أن يُستعمل اللفظ

صاوي

سنة، فيتمتع المؤمنون فيها أربعون سنة لا يتمنون شيئًا إلا أُعطوه، ثم يعود فيهم الموت ويُسرع، فلا يبقىٰ مؤمن، ويبقىٰ الكفار يتهارجون في الطريق كالبهائم، حتىٰ ينكح الرجل المرأة وسط الطريق، يقوم واحد عنها وينزل واحد، وأفضلهم من يقول: لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن. فيكونون علىٰ مثل ذلك حتىٰ لا يُولد لأحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة. **قوله: (وأما المؤمن المذنب... إلخ)**: هذا هو المعتمد.

بصيلة

....

بخيت

....

مطلق التصديق، وشرعًا هو تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما عُلم مجيئه به من الدين بالضرورة، أي فيما اشتُهر بين أهل الإسلام وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة، بحيث يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال، وإن كان في أصله نظريًا كوحدة الصانع جل وعلا ووجوب الصلاة ونحوهما، إجمالًا فيما عُلم إجمالًا، وتفصيلًا فيما عُلم كذلك.

والمراد من تصديقه عليه الصلاة والسلام الإذعانُ والقبولُ لما جاء به، بحيث يقع عليه اسم التسليم من غير تكبر وعناد، لا مجرد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول، حتى يلزم إيمان كثير من الكفار الذين كانوا عالمين بحقيقة نبوته عليه الصلاة والسلام وما جاء به، لأنهم لم يكونوا أذعنوا لذلك ولا قبلوه، بحيث يُطلق عليه اسم التسليم. وعلى هذا فالإيمان الشرعي هو

سباعي

في المعنى التابع، ولا يحتاج أن يقدر له لفظ كما حققه الكمال في حواشي تفسير البيضاوي.

قوله: (**هو مطلق التصديق**): أي تصديق المخبَر -بالفتح- لحكم المخبِر -بالكسر- وهو الإذعان.

قوله: (**فيما علم كذلك**): تفصيلًا. قوله: (**والمراد من تصديقه الإذعان**): هذا هو المعتمد. قوله: (**لا مجرد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب**): أي الخبر أو المخبِر -بالكسر- إذ يُوصف كل منهما بالصدق. قوله: (**من غير إذعان**): أي كما للسُوفسطائي بالنسبة إلى وجود العالم، فإن له يقينًا خاليًا عن إذعان، هكذا حققه بعض المتأخرين.

قوله: (**حتى يلزم... إلخ**): أي لا تقول: إنه مجرد وقوع النسبة حتى يلزم... إلخ. قوله: (**لذلك**): أي لما يقع في القلب من نسبة الصدق. قوله: (**وعلى هذا**): أي وعلى قولنا: والمراد... إلخ.

صاوي

قوله: (**لا مجرد وقوع نسبة الصدق... إلخ**): أي كما يقول السعد، وسيأتي له توجيه بتكلفات.

قوله: (**كثير من الكفار**): أي كأبي طالب، فإنه كان يشهد له بالصدق من غير إذعان.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (**مطلق التصديق**): أي سواء بما جاء به النبي أم لا، فيكون نقله للشرع من نقل العام إلى الخاص. قوله: (**وعلى هذا فالإيمان الشرعي هو... إلخ**): خلافًا للإمامية القائلين أن الإيمان هو

حديث النفس التابع للمعرفة، أي الإدراك الجازم بناءً على الصحيح من أن إيمان المقلد صحيح،.....

سباعي

....

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

المعرفة والاعتقاد بما له تعالى من الصفات وبما جاء به النبي ﷺ، سواء معه تسليم وانقياد أم لا.

ثم اعلم أنه لو فُسر التصديق المعتبر في الإيمان بالمنطقي، وقلنا: إن المعرفة القلبية بدون إذعان الحاصلة لبعض الكفار المعاندين داخلة في التصديق المنطقي، فلا بد من زيادة قيد الإذعان. وهذا مذهب غير السعد والمحققين. وأما على مذهب السعد[1] من أنها داخلة في التصور، ولذا قال في «التهذيب»: العلم إن كان إذعانًا للنسبة فتصديق، وإلا فتصور. قال الشارح في حاشيته: سواء كان متعلقه المفرد أو النسبة التقييدية، أو النسبة التامة الخبرية، لكن لا على وجه الإذعان، فلا حاجة إلى اعتبار قيد زائد.

وبهذا تعلم أنه لا خلاف في اعتبار الإذعان بين السعد وغيره سوى الإمامية كما تقدم، وإنما الخلاف في الإيمان كيف أو فعل، فقال السعد: إنه كيف. وهو الحق كما ستعرف. وقال بعض: إنه فعل. فافهم تعرف ما قيل هنا. وحاصل المقام أنه لما ورد في حق الكفار قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] الدالان على أنه بعد معرفتهم اليقينية، لم يكونوا مؤمنين احتاجوا إلى الفرق بين المعرفة والتصديق المعتبر في الإيمان. قال في «شرح المقاصد»: فاقتصر بعضهم على أن ضد التصديق هو الإنكار والتكذيب، وضد المعرفة النكارة والجهالة. وإليه أشار الإمام الغزالي حيث فسر التصديق بالتسليم، فإنه لا يكون مع الإنكار والاستكبار، بخلاف العلم والمعرفة.

(١) قوله: (وأما على مذهب السعد... إلخ): أي وإن كان التحقيق أن التصديق المنطقي أعم من الإيمان الشرعي خلافًا للسعد، لأن المنطقي شامل للظن ليشمل جميع أجزاء المنطق، فالمنطقي ليس خاصًا بالإذعان الذي هو خاص بالجزم كما يؤخذ من كلام المحققين. فراجع وافهم. اهـ منه.

....

سباعي ——————————————

....

صاوي ——————————————

....

بصيلة ——————————————

....

بخيت ——————————————

وفصل بعضهم زيادة تفصيل، فقال: التصديق عبارة عن ربط القلب على ما عُلم من إخبار المخبر، وهو أمر كسبي يثبت باختيار المصدِق. ولهذا يؤمر به ويثاب عليه، بل جُعل رأس العبادات، بخلاف المعرفة فإنها ربما تحصل بلا كسب، كمن وقع بصره على جسم، فحصل له معرفة أنه جدار أو حجر. وحققه بعض المتأخرين زيادة تحقيق، فقال: المعتبر في الإيمان هو التصديق الاختياري. ومعناه نسبة الصدق إلى المتكلم اختيارًا. وبهذا القيد يمتاز عن التصديق المنطقي المقابل للتصور، فإنه قد يخلو عن الاختيار، كما إذا ادعى النبوة وأظهر المعجزة، فوقع في القلب صدقه ضرورة من غير أن يُنسب إليه اختيار، فإنه لا يقال في اللغة إنه صدقه فلا يكون إيمانًا شرعيًّا، كيف والتصديق مأمور به؟ فيكون اختياريًّا زائدًا على العلم لكونه كيفية نفسية أو انفعالًا، وهو حصول المعنى في القلب، والفعل القلبي ليس كذلك، بل هو إيقاع النسبة اختيارًا الذي هو كلام النفس، ويُسمى عقد القلب، فالسوفسطائي عالم بوجود النهار، وكذا بعض الكفار عالم بنبوة النبي ﷺ، لكنهم ليسوا بمصدقين لغة، لأنهم لا يحكمون اختيارًا بل ينكرون. اهـ.

وكلام هذا المحقق متردد يميل تارة إلى أن التصديق المعتبر في الإيمان نوع من التصديق المنطقي الذي هو أحد قسمي العلم، لكنه مقيد بالاختيار، والتصديق المنطقي أعم لا فرق بينهما إلا بلزوم الاختيار وعدمه كما هو مقتضى أول عبارته، وتارةً إلى أنه ليس من جنس العلم أصلًا لكونه فعلًا قلبيًّا اختياريًّا، والعلم كيفًا أو انفعالًا. وعلى هذا الأخير أصر بعض العلماء المعتنين بتحقيق معنى الإيمان، وجزم بأن التسليم الذي فسر به الإمام الغزالي التصديق ليس من جنس العلم بل أمر وراءه، ويؤيده ما ذكره إمام الحرمين من أن التصديق على التحقيق كلام نفسي، لكن لا يثبت كلام النفس إلا مع العلم. اهـ.

....

سباعي ——————————————————

....

صاوي ——————————————————

....

بصيلة ——————————————————

....

بخيت ——————————————————

وقد أورد السعد على البعضين الأخيرين بحثًا من وجوه خمسة: **الأول**: أنه ليس معنى كون المأمور به مقدورًا اختيارًا أن يكون البتة من مقولة الفعل التي ربما يُنازع في كونها من الأعيان الخارجية دون الاعتبارية العقلية، بل أن يصح تعلق قدرته به وحصوله بكسبه واختياره، سواء كان في نفسه من الأوضاع والهيئات كالقيام والقعود، أو الكيفيات كالعلم والنظر، أو الانفعالات كالتسخن والتبرد، أو الحركات والسكنات وغير ذلك كالصلاة، أو الترك كالصوم وغير ذلك، ومع هذا قالوا: وجوب المقدور المثاب عليه بحكم الشرع يكون نفس تلك الأمور لا مجرد إيقاعها، فكون الإيمان مأمورًا به مقدورًا اختياريًّا مثابًا عليه لا ينافي كونه كيفية نفسانية يكتسبها المكلف بقدرته واختياره بتوفيقه تعالى وهدايته. على أنه لو لزم كون المأمور به هو الفعل بمعنى التأثير، جاز أن يكون معنى الأمر بالإيمان الأمر بإيقاعه واكتسابه وتحصيله كما في سائر العبادات لا الأمر بنفسه.

الثاني: أن ابن سينا وهو القدوة في فن المنطق والثقة في تفسير ألفاظه وشرح معانيه صرح في رسالة «دانشنامه علائي» بأن التصديق المنطقي الذي قُسم العلم إليه وإلى التصور هو بعينه التصديق اللغوي، فيكون اللغوي أيضًا أعم من الاختياري والاضطراري قطعًا.

الثالث: أنا لا نفهم من نسبة الصدق إلى المتكلم بالقلب سوى إذعانه وقبوله وإدراكه لهذا المعنى، أعني كون المتكلم صادقًا من غير أن نتصور هناك فعلًا وتأثيرًا من القلب، ونقطع بأن هذا كيفية للنفس، وقد تحصل بالكسب والاختيار بمباشرة الأسباب، وقد تحصل بدونها، فغاية الأمر أن يُشترط فيما اعتُبر في الإيمان أن يكون تحصيله بالاختيار على ما هو قاعدة المأمور به.

وأما أن هذا فعل وتأثير من النفس لا كيفية، وأن الاختيار معتبر في مفهوم التصديق اللغوي، فممنوع، بل معلوم الانتفاء قطعًا.

....

سباعي ___________________________________

....

صاوي ___________________________________

....

بصيلة ___________________________________

....

بخيت ___________________________________

وأيضًا لو كان الإيمان والتصديق من مقولة الفعل الغير القارة دون الكيف القار بعد حصوله ما صح الاتصاف به حقيقة إلا حال المباشرة والتحصيل، لأن مقولة الفعل هي التأثير ما دام مؤثرًا، مع أن محصِّل التصديق مؤمن بعد زمان التحصيل حقيقة، بخلاف ما إذا كان من مقولة الكيف القارة بعد حدوثها.

الرابع: أنه وقع في كلام كثير من عظماء الملة وعلماء الأمة مكان لفظ التصديق لفظ المعرفة والعلم والاعتقاد، فينبغي أن يُحمل على العلم التصديقي ويُقطع بأن التصديق من جنس العلوم والاعتقادات، لكنه في الإيمان مشروط بقيود وخصوصيات، كالتحصيل والاختيار وترك الجحود والاستكبار. ويدل على ذلك ما ذكره أمير المؤمنين كرم الله وجهه أن الإيمان معرفة، وأن المعرفة تسليم، والتسليم تصديق، وما نُقل عن إمام الحرمين والرازي وغيرهما من أن التصديق من جنس كلام النفس، وكلام النفس غير العلم والإرادة لا ينافيه، لأن مرادهم أن كلام النفس لا يتعين أن يكون علمًا أو إرادة، بل قد يكون أحدهما، وقد يكون غيرهما، فكلام النفس أعم من العلم والإرادة لا عين شيء منهما، وليت شعري إذا لم يكن الإيمان من جنس العلم والاعتقادات، فما معنى تحصيله بالدليل أو التقليد؟! وهل يعقل أن يكون ثمرة النظر والاستدلال غير العلم والاعتقاد؟!

الخامس: أن اعتبار الاختيار في نفس التصديق اللغوي وكون الحاصل بلا كسب واختيار ليس بإيمان يدل على أن تصديق الملائكة بما أُلقي إليهم، والأنبياء عليهم السلام بما أُوحي إليهم والصديقين بما سمعوا من النبي ﷺ كله مكتسب بالاختيار، وأن من حصل له هذا المعنى بلا كسب كمن شاهد المعجزة فوقع في قلبه الصدق بلا اختيار مكلفٌ بتحصيل ذلك اختيارًا، بل صرح هذا القائل بأن العلم بالنبوة الحاصل من المعجزات حدس ربما يقع في القلب من غير اختيار، ولا ينضم إليه

....

سباعي

....

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

التصديق الاختياري المأمور به، وكل هذا موضع تأمل. اهـ.

وأقول: وجه التأمل أن الظاهر أن تصديق الملائكة والأنبياء والصديقين ضروري لا اختياري، فلو كان الإيمان منحصرًا في التصديق الاختياري يلزم أن لا يكون تصديقهم إيمانًا شرعيًّا، وهو ظاهر البطلان.

وأن ذلك الشخص الحاصل له التصديق من المعجزة ضرورة بطريق الحدس الغير الاختياري كما صرح به ذلك القائل لو كان مكلفًا بعد ذلك بتصديق آخر اختياري، لزم تكليفه بما لا يُطاق، إذ لا ينقلب تصديقه الضروري إلى الاختياري وهو ظاهر، ولا ينضم إليه تصديق آخر اختياري لاستلزامه اجتماع المثلين، لأن التصديق المتعلق بمعلوم واحد نوع حقيقي كما صرح به الدواني في كتبه، فلو اجتمع فردان منه في نفس واحدة في زمان واحد يلزم اجتماع المثلين في محل واحد، وهو محال.

لا يُقال: ليس التصديق الكسبي هنا بمعنى المتوقف على النظر، بل ما يحصل بمباشرة الأسباب اختيارًا، كالتصديق الحاصل بالإبصار عقب توجيه الحدقة اختيارًا نحو المبصر، والحاصل بالسمع عقب توجيه السامعة نحو المسموع، فليس كل ما حصل بطريق الحدس ضروريًّا، بل بعضه كسبي بهذا المعنى الأعم، بناءً على أن المعتبر في الحدس انتفاء الحركة الثانية لا انتفاء الحركتين، فيجوز أن يحصل التصديق من المعجزة بطريق الحدس بعد الحركة الأولى الاختيارية، أعني توجيه الحدقة اختيارًا نحو المعجزة، فيكون ذلك التصديق الحاصل بطريق الحدس كسبيًّا اختياريًّا بهذا المعنى. وكذا يجوز أن يكون تصديق الصديقين بعد صرف سامعتهم اختيارًا؛ **لأنا نقول**: نعم، لكن الكلام فيمن وقع بصره على المعجزة من غير اختيار، ومن وقع سمعه على كلام النبي من غير صرف اختياري.

فالإذعان والقبول والتصديق والتسليم عبارات عن شيء واحد وهو حديث النفس المذكور، فيكون الإيمان فعلًا من أفعال النفس، وليس من قبيل العلوم والمعارف. ويظهر من كلام بعضهم أنه الراجح. وذهب المحقق التفتازاني وكثير من المحققين إلى أن التصديق الشرعي المعبر عنه بالإيمان والإذعان والتسليم هو نفس الإدراك، فيكون من قبيل العلوم والمعارف. والأصح في الإدراك أنه كيفٌ لا فعل ولا انفعال للنفس، ويكون التكليف به باعتبار أسبابه من الفكر الموصِل إليه.

سباعي

قوله: (**فيكون الإيمان فعلًا من أفعال النفس**): مفرَّع على قوله: وعلى هذا... إلخ. **قوله: (أنه)**: أي قوله: فيكون... إلخ. **قوله: (ويكون... إلخ)**: جواب عما يُقال: إذا كان ليس بفعل ولا انفعال

صاوي

قوله: (**ويظهر من كلام بعضهم أنه الراجح**): أي لأنه قول الأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي إسحاق الإسفرايني وجمهور المتكلمين. قوله: (**وذهب المحقق التفتازاني... إلخ**): رد ذلك بما تقدم في قوله: حتى يلزم إيمان كثير من الكفار. قوله: (**ويكون التكليف به... إلخ**): جواب عما يُقال:

بصيلة

(**حتى يلزم إيمان كثير من الكفار**): أي لأنهم يعلمون حقيقة رسالة نبينا وما جاء به، بدليل ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] الآية. وقد نقل المحقق في «شرح المقاصد»: أن التصديق على التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلا مع العلم.

(**جواب عما يُقال... إلخ**): **إيضاحه أن يُقال**: إن التصديق أحد قسمي العلم، وهو من

بخيت

وإليه أشار هذا القائل حيث قال: ربما يقع في القلب من غير اختيار.

وتلخيص الكلام أن المعتبر في الإيمان نوع من التصديق المنطقي الذي هو اللغوي بعينه، وذلك النوع هو التصديق المنطقي المقرون بترك الجحود الباطني والتبري عن سائر الأديان الباطلة، فهو مشروط بالاختيار، إما في نفس التصديق كما إذا حصله بمباشرة الأسباب اختيارًا، كالنظر وتوجيه الحدقة، وإما في جعله مقارنًا لذلك الترك والتبري، كما إذا حصل له التصديق ضرورةً، فذلك الشخص بعد ذلك مكلف بجعله مقرونًا بذلك الترك لا بتصديق آخر ليلزم التكليف بما لا يطاق. فافهم ولا تسأم لطول المقال، عساك تقف على حقيقة الحال، وتندفع عنك الأوهام، ويظهر الحق بتوفيق الملك العلام. قوله: (**فيكون الإيمان فعلًا... إلخ**): قد علمت الحق، وليس بعد الحق إلا الرجوع إليه.

قال: «وهو معنى التصديق المقابل للتصور في علم الميزان، حيث يُقال: العلم إما تصور وإما تصديق» أي فيكون التصديق عند المناطقة هو الإذعان بحيث يُطلق عليه اسم التسليم.

سباعي

فكيف يكلف به؟ فأجاب بقوله: ويكون... إلخ.

قوله: (قال): أي التفتازاني. **قوله: (وهو معنى التصديق المقابل للتصور)**: ظاهره أنه مرادف له وليس كذلك، بل هو -أعني الإيمان- أحدُّ نوعي التصديق كما يُؤخذ من «شرح المقاصد» فهو أخصُّ منه، إذ الإيمان هو التصديق البالغ حد الجزم والإذعان، وإطلاق الإيمان عليه ظاهر متعارف لأهل اللسان، والمعنى المعبَّر عنه بگَرَوِيدَن أمرٌ قطعيٌّ كما صرَّح به في «شرح المقاصد».

صاوي

الكيف وصف قائم بالنفس لا تكليف به، وإنما التكليف بالأفعال الاختيارية.

بصيلة

الكيفيات النفسانية دون الأفعال الاختيارية، فكيف يتعلق التكليف بتحصيله، مع أنه لا تكليف إلا بفعل؟ **وحاصل الجواب**: أن تحصيل تلك الكيفية يكون باختيار مباشرة الأسباب وصرف النظر وما ذكر معها، والتكليف به معناه التكليف بذلك. قال في «شرح العقائد»: وبهذا الاعتبار يقع التكليف بالإيمان، وكان هذا هو المراد بكونه كسبيًّا اختياريًّا. اهـ. والمراد أنه اكتسبه بفعل أسبابه من القصد إلى النظر في آثار القدرة الدالة على الوجود والوحدانية، وتوجيه الحواس إليها، وترتيب المقدمات المأخوذة من ذلك على الوجه المؤدي إلى المقصود، حتى لو وقع العلم لإنسان دفعيًّا من غير ترتيب مقدمات، احتاج من دفع له ذلك إلى تحصيله، أي ذلك العلم مرةً أخرى كسبًا على ما هو ظاهر كلام العلامة سعد الدين في «شرح المقاصد». وفيه نظر، لأن حصول الإسلام والانقياد بعد حصول العلم الدفعي حصول للمقصود مغنٍ عن تحصيله، لتعاطي الوسيلة الموصلة إليه، فلا وجه لعدم الاكتفاء بالعلم الدفعي، بل الوجه أنه إذا حصل كذلك، كفى ضم ذلك الأمر الآخر إليه، وذلك التكليف الكافي لتعاطي أسباب العلم إنما هو لمن لم يحصل له العلم، فإذا حصل له العلم، سقط ما وجوبه لأجله، لأنه لا معنى لتعاطي وسيلة إلا لأجل مقصود، وهو حاصل بدونها.

بخيت

....

قال: «فلو حصل هذا المعنى لبعض الكفار كان إطلاق اسم الكافر عليه من جهة أن عليه شيئًا من أمارات التكذيب والإنكار، كما لو فرضنا أن أحدًا صدق بجميع ما جاء به النبي ﷺ وأقر به وعمل، ومع ذلك شد الزنار بالاختيار، أو سجد للصنم بالاختيار، نجعله كافرًا لما أن النبي ﷺ جعل ذلك علامة التكذيب والإنكار. وتحقيق هذا المقام على ما ذكرت يسهل لك الطريق إلى حل كثير من الإشكالات الموردة في مسألة الإيمان» انتهى كلامه.........

سباعي

وأما التصديق المقابل للتصور فكما يصدق بذلك يصدق بالظن الذي لا جزم فيه، لأن الذي في كتب المنطق تقسيم للعلم بالمعنى الأعم تقسيمًا خاصًا يُتوصَل به إلى بيان الحاجة وإلى المنطق بجميع أجزائه. اهـ. كمال. فهو أخصُّ منه إجمالًا لا تفصيلًا، كإيمان أهل بيعة العقبة من الأنصار ومَن أسلم بإسلامهم من أهل المدينة قبل قدوم مُصعَب.

قوله: (قال): أي التفتازاني. **قوله: (لما أن)**: أي لأن. **قوله: (يسهِّل لك الطريق إلى حل كثير من الإشكالات... إلخ)**: قيل عليه: ليس كذلك، بل يوجب كثيرًا من الإشكالات، منها أن الذي يشد الزُنَّار إنما يحكم بكفره في الظاهر، وقد يكون مصدقًا فينفعه ذلك عند الله، كما أنا نحكم بإيمان

صاوي

قوله: (قال): أي السعد دافعًا ما يرد عليه من الإشكال، وهو **إن قلت** إنه الإدراك، يلزم عليه أنه يكفي وإن لم يكن عنده إذعان؛ **فأجاب بقوله**: فلو حصل... إلخ، فتدبر.

قوله: (وتحقيق هذا المقام... إلخ): قد علمت أن مذهبه تكلف، فالحق الأول.

بصيلة

قول الشارح: (من الإشكالات الموردة... إلخ): فمن ذلك ما صرح به كثيرون من أن المعتبر في الإيمان إنما هو التصديق اللغوي لا المنطقي. وقد علمت بما قرره أن التحقيق غير ذلك، ومنها أنه تعالى قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] وظاهر الآية يدل على أن الإيمان اللغوي غير الإيمان الشرعي، ضرورة أن الإيمان الشرعي منافٍ للإشراك. والجواب: أن الإيمان المذكور في الآية إنما لم يُعتبر لتخلف شرط كما ذكر. وكتب بعضهم: **قوله «من الإشكالات»**: قيل عليه:

بخيت

....

وعلىٰ ما ذكرنا فالإيمان بسيط، وهو الحق، وعليه فمن صدَّق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء، بل كان بحيث لو طُلب منه النطق لأجاب، فهو مؤمن عند الله تعالىٰ ناجٍ من الخلود في النار. فالنطق إنما هو شرط كمال فيه كبقية الأعمال من صلاة وصوم وزكاة وحج، لا شرط صحة ولا جزء من حقيقته.

سباعي

المقِر في الظاهر، لأن الإقرار علامة التصديق، وقد يكون مكذِّبًا وهو المنافق. اهـ. وأُجيب بأن المراد بتسهيل حل الإشكالات أن إطلاق الكفر تارة يكون بحسب الظاهر للأمارات الدالة عليه، وإن كان من أُطلق عليه ذلك مؤمنًا عند الله، وتارة بحسب ما في نفس الأمر، فيُحمل كل مقام علىٰ ما يلائمه، وهذا المراد يشعر به قوله: «كان إطلاق اسم الكافر» وقوله: «نجعله كافرًا» إذ لا يخفىٰ علىٰ المتأمل ما في العبارتين من الإشعار بأن الكفر في مثل هذه الصورة بحسب الظاهر، وبالنسبة إلىٰ إجراء الأحكام، لا فيما بينه وبين الله تعالىٰ. اهـ. كمال. **قوله: (انتهى كلامه)**: أي السعد.

قوله: (وعلىٰ ما ذكرنا): أي من قولنا هو حديث النفس التابع للمعرفة.

قوله: (شرط كمال): أي شرط في كمال الإيمان الذي هو مجرد التصديق، وإن كان النطق واجبًا

صاوي

قوله: (وعلىٰ ما ذكرنا): أي علىٰ كلٍّ من التعريفين اللذين هما حديث النفس التابع للمعرفة أو هو المعرفة. **قوله: (لا لعذر)**: أي وأما المعذور فمتفق علىٰ قبول الإيمان منه، ولو علىٰ القول بأنه مركب.

قوله: (ولا لإباء): أي لأن الآبي كافر بالإجماع.

بصيلة

ليس كذلك، بل يوجب كثيرًا من الإشكالات، منها أن الذي يشد الزنار إنما يُحكم بكفره في الظاهر، وقد يكون مصدِّقًا، فينفعه ذلك عند الله، كما أن الحكم بإيمان المقر في الظاهر، لأن الإقرار علامة التصديق وقد يكون مكذبًا وهو المنافق. اهـ. وأجيب: بأن المراد بتسهيل حل الإشكالات أن إطلاق الكفر تارةً يكون بحسب الظاهر للأمارة الدالة عليه، وإن كان من أطلق عليه ذلك مؤمنًا عند الله، وتارة بحسب ما في نفس الأمر، فيُحمل في كل مقام بما يلائمه. وهذا المراد يُشعر به قوله: «كان إطلاق اسم الكافر» وقوله: «نجعله كافرًا» إذ لا يخفىٰ علىٰ المتأمل ما في العبارتين من الإشعار بأن الكفر في مثل هذه الصورة بحسب الظاهر، وبالنسبة إلىٰ إجراء الأحكام لا فيما بينه وبين الله تعالىٰ. اهـ. كمال.

بخيت

....

نعم هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية، لأن التصديق لخفائه بكونه قلبيًا لا بد له من علامة ظاهرة تدل عليه وقيل: إنه مركب من التصديق والنطق بالشهادتين، فالنطق جزء من حقيقته، إلا أن التصديق جزء لا يحتمل السقوط، والإقرار قد يحتمله، كما في المعذور من خرس أو إكراه.

سباعي

في حد ذاته كفعل الصلاة وغيرها من الواجبات. **قوله: (لأن التصديق... إلخ)**: علة لقوله: نعم هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية... إلخ. **قوله: (لا بد له من علامة ظاهرة تدل عليه)**: أي دلالة على وجه الإعلان على الإمام وغيره من أهل الإسلام، بخلاف ما إذا كان ركنًا فإنه يكفي فيه مجرد التكلُّم في عمره مرة، وإن لم يظهر على غيره. أفاده الخيالي رحمه الله تعالى. **قوله: (وقيل: إنه مركَّب... إلخ)**: هذا مقابل لقوله: وهو الحق. **قوله: (إلا أن التصديق جزء لا يحتمل السقوط)**: لا يرد عليه أطفال المؤمنين، فإنهم مؤمنون ولا تصديق فيهم، لأن الكلام في الإيمان الحقيقي لا الحُكمي.

صاوي

قوله: (نعم هو شرط): استدراك على قوله: «إنما هو شرط كمال فيه» ويؤيده قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم ثبت قلبي على دينك» قال شيخنا الأمير: سمعنا من المشايخ كثيرًا أن المدار عند المالكية على أي لفظ يفيد الوحدانية والرسالة. ونقله اللقاني في شرحه عن الأبي مخالفًا لشيخه ابن عرفة المشترط اللفظ المخصوص. ونحوه للرملي وجماعة من الشافعية، ونحو ما للأبي للنووي. **قوله: (وقيل: إنه مركب من التصديق والنطق... إلخ)**: هذا الخلاف مقيد بالكافر الأصلي. وأما أولاد المسلمين فمحكوم بإيمانهم عندنا وعند الله ولو لم ينطقوا طول عمرهم، غير أنهم خالفوا الواجب الفرعي. **قوله: (فالنطق جزء من حقيقته)**: هذا القول لأبي حنيفة وجماعة من الأشاعرة، فالإيمان عندهم اسم لعملي

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وقيل: إنه مركب... إلخ): تفصيل المذاهب في الإيمان مع الضبط أنه لا يخرج بإجماع المسلمين عن فعل القلب وفعل الجوارح، فهو إما فعل القلب فقط، وهو المعرفة عند الإمامية أجمعهم، والتصديق عند الأشعرية.

وإما فعل الجوارح فقط، وهو فعل اللسان بدون شرط عند الكرامية، وبشرط المعرفة عند

وقيل: بل النطق شرط صحة له. ولا فرق بينه وبين القول بالجزئية إلا باعتبار أن الجزء داخل الماهية والشرط خارج عنها. ثم الراجح أن الإيمان يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصها ....

سباعي

....

صاوي

القلب واللسان جميعًا. **قوله: (وقيل: بل النطق شرط صحة... إلخ)**: تحصل أن الأقوال ثلاثة، لكنها ترجع إلى قولين، لأن من قال: إنه شرط صحة، فقد وافق القائل في المعنى بأنه شطر. وبقي قول ثالث، وهو أن الإيمان مركب من تصديق ونطق وعمل، وهو للمعتزلة. وعليه فمن ترك واجبًا كالصلاة، أو فعل محرمًا كالزنا فهو كافر. **قوله: (إلا باعتبار... إلخ)**: أي لأنه على القول بالشطرية يكون الإيمان مركبًا، وعلى القول بالشرطية يكون بسيطًا، فتدبر.

قوله: (بزيادة الأعمال): راجع لقوله «يزيد». **وقوله: (ونقصها)**: راجع لقوله: «وينقص» فهو

بصيلة

....

بخيت

الرقاشي، وبشرط التصديق عند ابن القطان؛ أو فعل غير اللسان وهو العمل بالطاعات المطلوبة عند الخوارج، والفرضية عند المعتزلة.

وإما فعل القلب والجوارح معًا، والجوارح إما اللسان فقط وهو مذهب أبو حنيفة، أو جميع الجوارح وهو مذهب المحدثين، كذا في عبد الحكيم.

وقال في «العقائد الإسلامية»: الإسلام يعني الإيمان يتحقق بالنطق، والعمل وصف مكمِّل له عندنا لا جزء. وعند فقهاء المحدثين كمالك والأوزاعي والشافعي، ومتكلميهم كإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وغيرهم جزء مكمِّل ولا يفوت الإيمان لفواته على المذهبين، بل كماله. وعند الخوارج والمعتزلة جزء مقوم، فيفوت بفواته. وكذا نقله عبد الحكيم أيضًا، وهو بيان لمعنى الجزئية أو الشرطية عند غير الخوارج والمعتزلة، وبيان لاختلاف النقل عن الخوارج والمعتزلة، لكن الذي حرره صاحب «التحرير» أن مذهب المعتزلة أنه حقيقة شرعية في مجموع التصديق والأعمال، فالمعول عليه ما في «العقائد»، وما عداه يُرد إليه.

قوله: (ثم الراجح أن الإيمان يزيد... إلخ): إذ لا شبهة في أنه إذا علمنا شيئًا علمًا تامًّا قبل

للقطع بأن إيمان الفُسَّاق لا يساوي إيمان الصديقين والأنبياء والمرسلين، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢]، وغير ذلك من الآيات، ولقوله ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما حين سأله: الإيمان يزيد وينقص؟ «نعم، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار».

سباعي

قوله: (**للقطع بأن إيمان الفساق لا يساوي إيمان الصديقين والأنبياء**): هذا إنما يدل على تفاوت أفراد المؤمنين في الإيمان، لا على قبول إيمان الشخص الزيادة والنقص الذي هو محل النزاع. ولو استشهد بقول سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] لدلَّ على هذا. (**قوله: توجب زيادة إشراقه وضيائه في القلب**): وذلك لأن بين الجوارح والقلب ارتباطًا، فإذا فعلت الجوارح طاعة أشرق ضياؤها في القلب فيزاد يقينًا، فكان ذلك سببًا للازدياد، فبزيادة الطاعات

صاوي

لف ونشر مرتب، وزيادته بالأعمال على حسب الغالب، وإلا فقد يزيد بفضل الله.

قوله: (**زادتهم إيمانًا**): أي وما قبل الزيادة يقبل النقص، إلا لعارض كعصمة الأنبياء، فإن إيمانهم يستحيل عليه النقص. وما ذكره الشارح من الترجيح قول جمهور الأشاعرة والماتريدية ومالك والشافعي وأحمد.

بصيلة

(**وزيادته بالأعمال... إلخ**): اعلم أن هذا مذهب جمهور الأشاعرة. قال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص. محتجين على ذلك بالنقل والعقل: **أما العقل** فلأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان، لكان إيمان آحاد الأمة، بل المنهمكين على الفسق والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم باطل فكذا الملزوم. **وأما النقل** فلكثرة النصوص الواردة في هذا المعنى كتابًا وسنة، وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص، فيتم الدليل. وهذا في غير إيمان الأنبياء ونحوهم. **فإن قلت**: يرد على هذا القول الراجح الإطلاق في محل التقييد؛ **قلتُ**: الكلام مفروض في الإيمان من حيثُ هو لا بقيد محل مخصوص لمن ذكر، إذ من ذكر لا ينقص إيمانهم إجماعًا. والحاصل أن إيمان الأنبياء يزيد دائمًا ولا ينقص، وإيمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص، وإيماننا يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي. هذا خلاصة ما في هذه المسألة.

بخيت

الإبصار مثلًا ثم شاهدناه بالبصر مثلًا، حصل لنا إدراك آخر أجلى وأوضح من الأول.

وبالجملة فزيادة الأعمال الباطنية والظاهرية تُوجب زيادة إشراقه وضيائه في القلب، وقلتها تُوجب ضعفه. وظاهر أن التصديق قد يقوىٰ بقوة الأسباب، ولذا يُقال: «ليس الخبر كالعيان».

وقيل: لا يزيد ولا ينقص، ....

سباعي

يزيد إشراق القلب. قوله: (ولذا): أي ولأجل ظهور أن التصديق يقوىٰ... إلخ. قوله: (وقيل: لا يزيد ولا ينقص): هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وكثير من العلماء. وعليه فالأعمال غير داخلة في مفهومه لعطفها عليه، والعطف يقتضي المغايرة في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [طه: ١١٢] جعل الإيمان شرطًا في صحة الأعمال، والشرط غير المشروط.

تنبيه: محل كون العطف يقتضي المغايرة في غير عطف الخاص علىٰ العام، نحو ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

صاوي

قوله: (وقيل: لا يزيد ولا ينقص): هو قول جماعة منهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه، وتأولوا أدلة الأولين بأن آية: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] المراد [العمل] به، فإن الصحابة كان يتجدد عليهم القرآن والأحكام شيئًا فشيئًا، فكلما زادت الأحكام زاد عملهم بها. ويؤول الحديث بأن الزيادة والنقص ترجع إلىٰ الأعمال لا التصديق. ومما يرد قوله أيضًا ما قاله ابن العربي: أقسام الإيمان خمسة: **إيمان تقليد**، وهو من أخذ العقائد عن شيخ، وجزم بها من غير معرفة دليل؛ **وإيمان علم**، وهو معرفة العقائد بأدلتها؛ **وإيمان عيان**، وهو معرفة الله بمراقبة القلب كأنه يراه؛ **وإيمان حق**، وهو رؤية الله بقلبه، وهو مقام المشاهدة؛ **وإيمان حقيقة**، وهو الفناء بالله عما سواه. فكل

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وقيل: لا يزيد... إلخ): هو قول لجماعة من أكابر الأئمة. واستُدل لهم بأن الإدراك شيء واحد وحقيقة متحدة لا تشكيك في أفرادها، فلا تقبل الزيادة ولا النقص، والذي حصل بعد المشاهدة وجه آخر للإدراك، لا أنه زاد في الإدراك جزء لم يكن، وإنما تكيف بكيفية أقوىٰ من الكيفية الأولىٰ التي قبل المشاهدة، فإن الإدراك قبل الإبصار مثلًا كان علىٰ الوجه الكلي، وبعده علىٰ الوجه الجزئي، وهو واحد في الوجهين. نعم يزيد الإدراك بزيادة المدرك.

لأن التصديق البالغ حد الجزم لا يُتصور فيه زيادة ولا نقصان، حتىٰ إن من حصل له حقيقة التصديق، فسواء أتىٰ بالطاعات أو ارتكب المخالفات فتصديقه باقٍ علىٰ حاله من غير تغير فيه أصلًا. وقيل: الخلف لفظي، لأن ما يدل علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص فمحمول علىٰ الإيمان الكامل المركب من تصديق وعمل، فالزيادة والنقصان مصروفان إلىٰ ما به الكمال من الأعمال. وما يدل علىٰ عدم الزيادة

سباعي

﴿وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤] فإنه لِنكات مبيَّنة في محلها، كالتنبيه علىٰ فضل الخاص أو غير ذلك. اهـ. متبولي.

قوله: (من غير تغيُّر فيه): أي الآيات الدالة علىٰ زيادة الإيمان محمولة علىٰ ما ذكره أبو حنيفة رحمه الله أنهم كانوا آمنوا في الجملة، ثم يأتي فرض بعد فرض، فكانوا يؤمنون بكل فرضٍ خاص. وحاصله أنه كان يزيد بزيادة ما يجب الإيمان به، وهذا لا يُتصور في غير عصر النبي ﷺ. وفيه نظر، لأن الاطلاع علىٰ تفاصيل الفرائض ممكن في غير عصر النبي ﷺ. اهـ. من السعد علىٰ العقائد.

صاوي

واحد أزيد مما قبله. ومحل الخلاف في غير إيمان الأنبياء والملائكة، فإنه يزيد ولا ينقص. وقيل: إن إيمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص.

إن قلت: إن قوله تعالىٰ في حق الخليل: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠] يوهم أن إيمان الأنبياء ينقص؛ **أُجيب** بأن المعنىٰ: أو لم يكفك إيمانك الكامل ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] برؤية المعجزة الباهرة، لتقوم له الحجة علىٰ قومه.

قوله: (لا يُتصور فيه زيادة ولا نقصان): أي لأنه التصديق البالغ حد الجزم. فلو قلنا بنقصه لكان ظنًّا وهو كفر، ولو قلنا بزيادته لكان لا معنىٰ له، لأنه في غاية الجزم، وهو منتهىٰ الزيادة. وبقي قول ثالث للخطابي، وهو أن الإيمان قول، وهو لا يزيد ولا ينقص، فإذا نقص ذهب.

قوله: (وقيل: الخلف لفظي): هذا القول للفخر الرازي جامعًا بين القولين.

بصيلة

....

بخيت

....

والنقص فمحمول على أصل الإيمان وهو التصديق. وفيه نظر.

وأما الإسلام فهو لغة الخضوع والانقياد، فهو غير الإيمان لغةً قطعًا.........................

سباعي

قوله: (وفيه نظر): أي من وجهين: **الأول**: أن الإيمان بسيطٌ، والأعمال شرطُ كمالٍ لا دخلَ لها في مفهومه، وإلا لزم اشتراط الشيء في نفسه. الثاني: أن قوله: «وما يدل على عدم الزيادة والنقص فمحمول على أصل الإيمان وهو التصديق» على أن الإيمان مركَّب، والنطق جزء من حقيقته، فإنه لا بقاء للشيء بعد انعدام ركنه، فتدبَّر.

صاوي

قوله: (وفيه نظر): أي لأن الخلاف إنما هو في أصل الإيمان، وهو التصديق، فهو حقيقي لا لفظي، والمعول عليه الترجيح المتقدم.

قوله: (الخضوع والانقياد): أي فيُقَال: أسلمت الدابة واستسلمت، أي انقادت.

بصيلة

(فهو حقيقي): لأن الأصح أن التصديق القلبي يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدم ذلك. ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا يعتريه الشبه. تتمة: الحق أن الإيمان مخلوق، لأنه إما التصديق بالجنان أو مع الإقرار باللسان، وكلٌّ منهما فعل العبد وهو مخلوق لله، والقائل بأنه غير مخلوق فسره بالدلالة عليه التي [هي] صفة قائمة بذاته تعالى وهي قديمة، وليس الكلام فيها؛ وأنه لا يتجزأ، أي لا يتبعض، فيكون منه جزء في مكان وجزء في آخر، بل نوره منتشر في جميع الأعضاء، حتى إذا قُطع عضو منه يذهب الإيمان إلى القلب. قاله الأجهوري.

بخيت

قوله: (وفيه نظر): أي من: جهة التعليل، فإن الخلاف في نفس التصديق بلا مدخل للأعمال. وربما يوجه كون الخلاف لفظيًّا بأن القائلين بالزيادة لا يقولون بزيادة أجزاء لم تكن، وإنما الزائد إشراق وضياء وكيفيات، والقائلين بعدمه لا ينكرون زيادة الكيفيات والإشراق والضياء المسمى باليقين، كما يُؤخذ مما تقدم من دليلي كلٍّ. وأما القائلون بكون الأعمال جزء من الإيمان فلا شبهة عندهم في زيادته ونقصه، كما لا شبهة في زيادته بزيادة المدركات، فافهم وراجع.

قوله: (فهو لغة الخضوع... إلخ): قال في «الإحياء»: إن الإيمان لغة: التصديق. والإسلام:

وأما شرعًا فقد اختُلف فيهما، فذهب أكثر الماتريدية وبعض محققي الأشاعرة إلى أنه الخضوع والانقياد للأوامر والنواهي بمعنى قبول ذلك والإذعان له، وعليه فهو عين الإيمان، فالإيمان والإسلام مترادفان شرعًا. قال النسفي في العقائد: «والإيمان والإسلام واحد». والأكثر من الأشاعرة مع كثير من الماتريدية إلى تغايرهما مفهومًا كتغايرهما لغة، إذ مفهوم الإيمان تصديق القلب بكل ما جاء به

سباعي

قوله: (**بمعنى قبول ذلك**): أي الأوامر والنواهي، يعني أن الإسلام هو الخضوع والانقياد

صاوي

قوله: (**والأكثر من الأشاعرة... إلخ**): مقابل للقول الأول وهو المعتمد.

قوله: (**إذ مفهوم الإيمان**): أي مدلوله.

بصيلة

....

بخيت

التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والعناد. والتصديق محله القلب. وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح.

توجب اللغة أن الإسلام أعم، والإيمان أخص، فإذًا كل تصديق تسليم، وليس كل تسليم تصديقًا. اهـ. فقول الشارح: «فهو غير الإيمان... إلخ» معناه أنه أعم منه مطلقًا لا أنه مباين.

قوله: (**وأما شرعًا فقد اختُلف... إلخ**): قال في «الإحياء»: وفي الشرع ورد إطلاقهما على الترادف والتوارد، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦]، ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد. وورد إطلاقهما على الاختلاف أيضًا، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤] الآية. والمراد بالإيمان هنا التصديق فقط، وبالإسلام الاستسلام باللسان والجوارح. وفي حديث جبريل حين سأله: «ما الإيمان؟ فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله... إلخ»، فقال: «ما الإسلام؟» فذكر الخصال الخمس. وورد على التداخل أيضًا نحو قوله ﷺ حين سُئل أي الأعمال أفضل؟ فقال: «الإسلام، فقيل: أي الإسلام أفضل؟ فقال: الإيمان». اهـ.

قوله: (**كتغايرهما لغة**): التشبيه في مطلق التغاير في المفهوم، كما هو ظاهر لمن تأمل.

النبي ﷺ مما عُلم من الدين ضرورة، أي الإذعان لذلك، ومفهوم الإسلام امتثال الأوامر والنواهي ببناء العمل على ذلك الإذعان، فهما مختلفان وإن تلازما شرعًا بحيث لا يوجد مسلم ليس بمؤمن ولا العكس، إذ يلزم من الإذعان الامتثال المذكور، ومن الامتثال الإذعان، فليُتأمل.

سباعي

للأحكام، وهو معنى التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ، فيُرادف الإيمان، والترادف يستلزم الاتحاد المطلوب، تأمَّل. **قوله: (فليُتأمّل)**: أمرٌ بالتأمل، لأنه يرد على القول بالتغاير قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦] فإنه يؤيد الاتحاد. وأجاب القائلون بالتغاير بأن الاستثناء إنما يدل على الاتحاد ماصدقًا لا مفهومًا، وهو مسلَّم، إلا أنه ليس محل النزاع، وإنما النزاع في الاتحاد مفهومًا، على أنَّا نقول: الاستثناء أيضًا لا يدل على الاتحاد ماصدقًا، فقد يكون المستثنى أخص، كقولك: أخرجت العلماء، فلم أترك إلا بعض النحاة.

والحاصل أن الاتحاد ماصدقًا لا تنازع فيه إلا الأشاعرة، لأن الإيمان القلبي شرطٌ لصحة الإسلام الظاهري والاعتداد به شرعًا، والإسلام الظاهري شرطٌ لإثبات الوصف بالإيمان وإجراء الأحكام الشرعية عليه، حتى إن من صدَّق بقلبه وكذَّب بلسانه عنادًا فهو كافر، فلا ينفك الإيمان المعتبَر عن الإسلام المعتبَر، وكذا العكس. قال السعد: وظاهر كلام المشايخ أنهم أرادوا عدم تغايرهما، بمعنى أنه لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر لا الاتحاد بحسب المفهوم. قال ابن أبي شريف: وعليه فالنزاع

صاوي

قوله: (وإن تلازما شرعًا): أي ولا يبعده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] لأن تغاير مفهوم المسلم والمؤمن كافٍ في العطف، فلا يلزم منه مغايرة ذات المؤمن لذات المسلم.

بصيلة

....

بخيت

قوله: (إذ يلزم من الإذعان... إلخ): لا لزوم كما في المؤمن المصدق بقلبه التارك للعمل. نعم، يلزم من الامتثال المذكور الإذعان كما قال لابتنائه عليه. ولعله أراد بالإذعان ما يترتب عليه الاستسلام والانقياد وترك التمرد والعناد الظاهري والباطني حتى يتم ما قال، فتأمل.

فإن قلتَ: إن الإسلام قد ينفرد عن الإيمان في المنافق كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤]؛ قلتُ: كلامنا في الإسلام المعتبر شرعًا، المنجي من خلود النار. وأما ما في الآية فالمرادُ به الانقياد الظاهري فقط.

فإن قلتَ: قد فسر النبي ﷺ الإسلام بنفس العمل حيثُ قال ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلًا»، فالجواب أن مراده ﷺ بالإسلام علاماته الدالة عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام لوفد قدموا عليه: «أتدرون ما الإيمان بالله تعالى وحده؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال:

سباعي

بين الفريقين لفظي لا معنوي، إذ لم يتواردا على معنى واحد يثبته أحدهما وينفيه الآخر.

قوله: (**وأمّا ما في الآية فالمراد به الانقياد الظاهري**): والأولى أن يُقال: قولهم: ﴿أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤] لا يستلزم تحقق مدلوله، ولذا يصِّح أن يُقال: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤] قاله الخيالي. قوله: (**إن تشهد... إلخ**): هذا الحديث أخرجه الشيخان وكذا الذي بعده.

قوله: (**فالجواب أن مراده عليه الصلاة والسلام بالإسلام علاماته الدالة عليه**): أي فلا يُتوهَم منه أنه من تعريف الشيء بنفسه، لأن كون الإيمان بمعنى التصديق ليس مسؤولًا عنه، فيكون المطلوب تعريفه، إنما المسؤول عنه الإيمان الشرعي الذي هو تصديقٌ خاص باعتبار خصوص متعلقاته، فالمطلوب بالسؤال بيان ذلك المخصوص، فالمعنى التصديق المطلوب بيان خصوصه هو أن يصدق بكذا وكذا... إلخ. اهـ. كمال. قوله: (**لوفد**): أي وفد عبد قيس، أي جماعته.

صاوي

قوله: (**فإن قلت: إن الإسلام قد ينفرد عن الإيمان... إلخ**): هذا السؤال وارد على ثبوت التلازم بينهما. قوله: (**فإن قلت: قد فسر النبي... إلخ**): هذا السؤال وارد على القول بترادفهما.

بصيلة

(**وارد على القول بترادفهما... إلخ**): قال الجراحي: هو اعتراض على الجواب الذي قبله،

بخيت

قوله: (**إن فُسر بالانقياد الظاهري... إلخ**): كما هو أحد فرديه لغة، وقوله: «وإن فُسر بالاستسلام والانقياد الباطني» كما هو الفرد الآخر. ولا شك في ورود الإطلاقين كما تقدم عن «الإحياء».

شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس» فقد فسر الإيمان بعلامته لظهور أن الإيمان ليس ما ذكر، بل التصديق والإذعان، قاله التفتازاني. وقد جمع رحمه الله بين قولي الماتريدية والأشاعرة بالترادف وعدمه بأنهما خلاف في حال، فإن مفهوم الإسلام إن فُسِّر بالانقياد الظاهري، بمعنى: امتثال الأوامر والنواهي والعمل بمقتضى تلك الأحكام من غير ملاحظة الإذعان والتسليم القلبي، كان مخالفًا لمفهوم الإيمان؛ وإن فُسِّر بالاستسلام والانقياد الباطني بمعنى قبول تلك الأحكام والإذعان لها وترك الإباء والاستكبار عنها كان متحدًا معه. اهـ.

وقوله: «من غير ملاحظة الإذعان» يعني في مفهومه، فلا ينافي أنه لا بد من ملاحظة البناء عليه ليتأتى التلازم.

(وينطوي) أي يندرج (في) معنى (كلمة الإسلام) أي الدالة على الإسلام، وهي «لا إله إلا الله،

سباعي

قوله: (وقد جمع): أي السعد، فـ«جمع» بالبناء للفاعل يدل عليه قوله: «رحمه الله».

قوله: (وينطوي... إلخ): لما كان مدار هذا الفن على تحقيق مباحث الإيمان والإسلام، وكان الدخول في أصلهما والاتصاف بهما متوقفًا على النطق بكلمَتي الشهادة، أراد أن ينبِّه على حكمة اعتبار الشارع لهما دون غيرهما في ذلك التوقف فقال: «وينطوي... إلخ». **قوله: (أي يندرج)**: يعني تصريحًا وتلويحًا. **قوله: (في معنى)**: هو في الأصل مصدر ميمي من العناية، ثم استعمله في معنى الظرف، وهو هنا ما يُراد من اللفظ.

صاوي

وبيان ذلك أن النبي ﷺ فسر الإسلام بالعمل، ومن المعلوم أن العمل غير التصديق، فكيف يُقال بترادفهما؟! والحق أنهما مختلفان مفهومًا، متحدان ماصدقًا، متلازمان شرعًا، فقوله: «وقد جمع رحمه الله... إلخ» تكلف ولا داعي إليه.

بصيلة

وذلك أن المعتبر شرعًا هو الانقياد الباطني لا الظاهري.

بخيت

....

محمد رسول الله» فإضافتها للإسلام من إضافة الدال للمدلول. سُميت كلمة لدلالتها على معنى واحد وهو الإسلام (ما قد مضى) ذكره (من سائر) أي جميع (الأحكام) الإلهيات والنبويات والسمعيات. بيان ذلك أنها جملتان: الجملة الأولى «لا إله إلا الله»، ....

سباعي

قوله: (من إضافة الدال للمدلول): أو من إضافة السبب للمسبَّب، أي التي لا يحصل الإسلام إلا بها، وهو من إضافة الجزء إلى الكل، أي التي هي الجزء الأعظم من الإسلام، فما قاله ليس بمتعين.

قوله: (سُميت... إلخ): جواب عما يقال: كيف تُقول كلمة مع أنها كلمات؟ فأجاب بقوله: «سُميت... إلخ». **قوله: (أي جميع):** هذا هو المتعين لا يصح تفسيره بباقٍ. تأمَّل. **قوله: (بيان ذلك):** أي بيان انطواء ما ذُكر في كلمة الإسلام.

صاوي

قوله: (من إضافة الدال للمدلول): غير متعين، بل يصح أن يكون من إضافة السبب للمسبَّب، أو من إضافة الجزء للكل، بناءً على تكلف أن الإسلام اسم للعمل.

قوله: (لدلالتها على معنى واحد): أي فسُميت باسم مدلولها، وإلا فهي كلام. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. قال ابن مالك:

وكلمة بها كلام قد يؤم

قوله: (لا إله إلا الله): يصح نصب لفظ الجلالة ورفعه، والمختار الرفع لقول ابن مالك:

وبعد نفي أو كنفي انتخب	....
....	اتباع ما اتصل..............

وهي من قبيل العام المخصوص، وهو ما كان عمومه مرادًا في اللفظ لا في المعنى، فالاستثناء

بصيلة

مبحث إعراب لا إله إلا الله: (يصح نصب لفظ الجلالة ورفعه... إلخ): اعلم أنه قد اضطربت أقوال المعربين لهذه الكلمة المشرفة، فقال الجمهور: إن «لا» نافية للجنس على سبيل الاستغراق لا

بخيت

....

....

سباعي

....

صاوي

على ذلك متصل من حيثُ دخولُ لفظ الجلالة في عموم اللفظ، وهو مخرَج معنى، فقوله: «إلا الله» كشف لما راعاه في القلب عند النفي، وهو من باب عموم السلب، لا سلب العموم، وإلا كان

بصيلة

الوحدة، ويقال فيها: «لا» التبرئة، أي تدل على البراءة من ذلك الجنس، تعمل عمل إن، تنصب الاسم وترفع الخبر، و«إله»: اسمها مبني معها على الفتح في محل نصب، لتضمنها معنى «من» الاستغراقية، فرُكبت تركيب مزج كأحد عشر، وبني على الحركة لعروض بنائه، وكانت فتحة لخفتها. والتقرير: لا من إله، فلذا كانت نصًّا في العموم، كأنه نفى كل إله غيره من مبدأ ما يُفرض من الآلهة أنه مشارك لله تعالى في استحقاق العبادة إلى ما لا نهاية له مما يُقَدَّر، أي يفرض. وهذا التقدير يؤذن بأن معنى من ابتداء الغاية، وأنه ملحوظ في «من» المقدرة وإن كانت زائدة باعتبار عمل العامل. وقال الزجاج: إنها فتحة إعراب، وحُذف تنوينه تخفيفًا، فهو منصوب بـ«لا». والأول هو المشهور، فمجموع «لا إله» في موضع رفع بالابتداء، وخبرها محذوف تقديره موجود. وبهذا يُجاب عن قول الرازي: إن قُدِّر أنه لا إله في الوجود إلا الله، لجاز أن يكون الإله في الإمكان. وإن قُدِّر لا إله في الإمكان، يصير المعنى لا إله ممكن إلا الله، فإنه ممكن. وإن قُدِّر لا إله في الوجود والإمكان، لصار المعنى لا إله موجود ممكن إلا الله، فإنه موجود ممكن عقلًا، والجميع باطل فلا يتم به التوحيد، لكنها كلمة التوحيد اتفاقًا. واستُشكل بأنه كيف تجعل الكلمتين معًا مبتدأ، مع أن تعريف المبتدأ غير صادق عليهما، إذ هو اسم مجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة، أو صفة معتمدة على نفي واستفهام. وليس مجموع «لا إله» اسمًا مجردًا ولا صفة معتمدة. وأجاب الشمني: بأن مجموع «لا إله» اسم مجرد من كلمتين. وحقق بعضهم أن «لا» لا تعمل في الاسم كالخبر، فالذي في محل رفع بالابتداء لفظ «إله» لا المجموع، وإلا فهو مشكل، فالخبر المقدر لهذا المبتدأ، وكذا اسم الجلالة على القول بأنه الخبر، لأن «لا» ضعفت بالتركيب، فلم

بخيت

....

سباعي

صاوي

بصيلة

تعمل أصلًا عند سيبويه في الخبر لبعده. وذهب الأخفش ومن وافقه إلى أن «لا» هي العاملة فيه. فإذا قلت: لا رجل قائم، فقائم مرفوع بلا، إذ التركيب عندها لا يمنع العمل، بدليل عملها في الاسم، و«إلا» أداة استثناء، أي لإخراج ما بعدها مما قبلها، سواء نصبت الجلالة أو رفعتها أو سكنتها عند الوقف. وإنما كان السكون أصلًا في الوقف، لأن الغرض منه الاستراحة، والسكون أخف الحركات كلها، وأبلغ منها في تحصيل الاستراحة، ولم يأت في القرآن إلا رفعها وهو الكثير. فلنصبها وجهان: **الأول**: أنه على الاستثناء من الضمير في خبر «لا» المقدر على البدل من اسم «لا»، لأن «لا» إنما تعمل في نكرة منفية، ولفظ الجلالة معرفة مثبتة. **واعتُرض** بأن الكلام غير موجب، فيترجح اتباع المستثنى المستثنى منه في إعرابه للمشاكلة بدل بعض من كل، أو عطف نسق، لأن «إلا» عندهم من حروف العطف في باب الاستثناء خاصة، وهي عندهم بمنزلة «لا» العاطفة في أن ما بعدها مخالف لما قبلها. وأجيب: بأن الاتباع إنما يترجح إذا حصلت مشاكلة بين المستثنى والمستثنى منه في ظهور الإعراب. وأما إذا لم تحصل كما هنا، وكما في: لا رجل فيها إلا زيدًا، كان النصب على الاستثناء أحسن من الاتباع، لأن المبدل منه سواء كان الضمير المستتر في الخبر أو اسم «لا» باعتبار المحل، لم يظهر فيه إعراب، فلا تحصل مشاكلة في الاتباع. **الثاني**: على أنه صفة لاسم «لا»، لأن محله نصب بلا، فإلا صفة لا إله، بمعنى غير، لكن لا يظهر إعرابها إلا فيما بعدها، لكونها على صورة الحرف، فصار كأنه هي، فلذا يُقال: هو صفة لما قبلها، ولأن «إلا» تضمنت غير في الاستثناء بها، فلا تكون إلا أداة استثناء. **ولرفعها سبعة أوجه: أحدها**: أن خبر «لا» محذوف، وإلا الله: صفة لـ«لا» مع اسمها، لأن محلها رفع بالابتداء، فتكون «إلا» بمعنى غير، ولا مانع منه من جهة النحو. وأما من جهة المعنى فيُمتنع، لأن

بخيت

....

سباعي ———————————————————

....

صاوي ———————————————————

....

بصيلة ———————————————————

المقصود من هذا الكلام نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها لله تعالى. وإذا جُعل «إلا الله» صفة، فلا يفيد التركيب إلا نفي الألوهية عن غير الله فقط، ولا يفيد ثبوت الألوهية لله تعالى، لأنه إنما يُستفاد من جعل إلا استثنائية، لإفادتها حصر الحكم فيما بعدها لا من جعلها صفة. ويجاب بأن نفي ألوهية غيره تعالى كالأصنام آكد لدعوى المشركين ألوهيتها. وأما ألوهيته تعالى فلم يخالف فيها أحد، فلا يرد عليه أن المعرفة وقعت صفة لنكرة، لأن وقوعه مبتدأ عند سيبويه يدل على أنه ليس بنكرة.

الوجه الثاني: أنه صفة لإله قبل دخول «لا» عليه. **الوجه الثالث**: أنه خبر «لا»، فهو مرفوع على الخبرية لها، و«إلا» بمعنى «غير». واعتُرض عليه بأنه يلزم عليه أن تكون «لا» عاملة في المعرفة وهي الجلالة، و«لا» لا تعمل في المعرفة. وأجيب بأن الخبر لم يرتفع بإلا، بل بقي على حاله قبل دخول «لا» عليه، لأن تركيبها مع الاسم صيرها كجزء كلمة، وجزء الكلمة لا يعمل، فكان القياس أن «لا» لا تعمل حتى في الاسم، لكن بقي عملها فيه لقربه، وجُعلت مع معمولها بمنزلة المبتدأ. قال ابن مالك: والذي عندي أن سيبويه يرى أن «لا» المركبة لا تعمل في الاسم أيضًا، لأن جزء الشيء لا يعمل فيه. فاعتُرض بأن الاسم المعظم مستثنى، والمستثنى ليس هو عين المستثنى منه، والخبر عين المبتدأ، فيلزم عليه أنه يكون عين المبتدأ ولا يكون غيره. وأُجيب بأنه مستثنى من الضمير المستكن في الخبر المقدر لصحة المعنى، وخبره بالنسبة إلى اللفظ من غير اعتبار شيء مقدر، وهو كقولهم: ما قام إلا زيد، فهو مستثنى من مقدر وفاعل بحسب اللفظ. واعتُرض أيضًا بأنه يلزم من جعله خبره أن يكون قد أخبر بخاص عن عام، لأن الإله عام، والاسم المعظم خاص، ولا يخبر بالخاص عن العام. وأُجيب بأن الإخبار بخاص عن عام لا يمتنع إلا في حالة إيجاب الخاص للعام، لا في حالة سلبه عنه،

بخيت ———————————————————

....

والكلام إنما سيق لعموم النفي وشموله، ولذلك أتى بالاستثناء الذي هو معيار العموم.

الوجه الرابع: أن لا إله: في موضع الخبر، وإلا الله: في موضع المبتدأ، وأصله: الله الإله، فالمعرفة مبتدأ والنكرة خبر على القاعدة، ثم قدم الخبر، ثم أدخل النفي على الخبر والإيجاب على المبتدأ في المعنى، وهي لا يُبنى معها إلا المبتدأ. وأحوجه إلى ذلك المحافظة على قاعدة أن المبتدأ معرفة والخبر نكرة. **الوجه الخامس**: أنه مرفوع بـ«إله» على أنه نائب فاعل سد مسد الخبر، كما في: ما مضروب إلا العمران، لأن إله بمعنى مألوه، أي معبود. وضُعِّف بأن إله ليس بوصف لفظًا، لأنه ليس على أوزان الأوصاف، وإن كان وصفًا معنى، فلا يستحق عملًا، ولو كان عاملًا فيما يليه لوجب إعرابه وتنوينه، لأنه مبتدأ ولا ملاقاة. **الوجه السادس**: أنه مرفوع على أنه بدل من اسم «لا» قبل دخول لا عليه. **واعتُرِض** بأن البدل على نية تكرار العامل، فيصح حلوله محل المبدل منه، ولا يتأتى هنا ذلك، إذ لا تقول: لا الله. **وأُجيب** بأنه يحل محله باعتبار المعنى، إذ يمكنك أن تقول: لا يستحق العبودية إله إلا الله، فتحذف إله، فتقول: لا يستحق العبودية إلا الله.

الوجه السابع: أنه بدل من الضمير المستتر في خبر «لا» المقدر، وهو الراجح، لأن الإبدال من الأقرب أولى من الأبعد، ولأن الاتباع بحسب اللفظ أولى من الاتباع بحسب المحل. **فإن قيل**: لفظ الضمير ليس مرفوعًا، وإنما محله الرفع، كما أن محل اسم «لا» قبل دخولها الرفع، ففي كلٍّ الاتباع باعتبار المحل؛ **أُجيب** بأن المراد باللفظ لفظ العامل، فإن العامل في الخبر ملفوظ به، وهو مجموع «لا» واسمها عند سيبويه، أو لا فقط عند غيره، ففيه اتباع محل تلفظ بعامله. وأما محله إذا كان مرفوعًا بالابتداء قبل دخول لا، فإن عامله وهو الابتداء قد زال بوجود لا. **فإن قيل**: بدل البعض من الكل

....

سباعي

....

صاوي

....

بصيلة

لا بد له من شئ يربطه بالمبدل منه، كالضمير في قولك: قبضت المال بعضه؛ أُجيب بأن الأدلة على كون ما بعدها بعضًا يتناوله ما قبلها، لأنها للإخراج، فأغنت عن الضمير.

تنبيه: الاستثناء صريح كلام النحاة أنه متصل، بناءً على أن المستثنى منه هو المعبود بحق ولو في اعتقاد عابديه، ورجحه الأجهوري. قال السحيمي: والحق أنه منقطع، سواء كان المستثنى منه المعبودات الباطلة أو المعبودات بحق، لأن عبادتها بحق تقديرية، وعبادة الله بحق تحقيقية، لأنه لا يُتوهم أن يُقال: المستثنى بعض المستثنى منه، ولأنه إن كان متصلًا، لزم أن يكون جنسًا أخرج اسم الجلالة منه، فيكون مركبًا من جنسه ومن نوع آخر، وهو محال. وإن كان منقطعًا لزم أن لا يصدق عليه أنها إله. وقد صرحوا بتجويز البدلية وأنه بدل بعض، والمراد بعض من مفهوم المستثنى منه. ولو نظرنا لمثل هذا لُمنع إطلاق لفظ الاستثناء، لأن معناه الإخراج، وهو فرع تصور الدخول، لتسلط العامل في الاستثناء المنقطع على المستثنى كما هنا، وكما في قولك: ما زاد هذا المال إلا النقص، وجب نصبه على الاستثناء باتفاق الحجازيين والتميميين، ولا يجوز رفعه على البدلية، لأن المستثنى ليس بعض المستثنى منه، مع أنه تواتر رفع «الله» هنا. **قلت:** أجاب بعض حواشي المطول بجواز رفعه على الابتداء، وخبره محذوف، وإلا بمعنى لكن. والتقدير: لا إله معبود بحق، لكن الله معبود بحق. ويجاب **أيضًا** بأن محل وجوب النصب إذا كان الاستثناء منقطعًا قطعًا. وأما ما احتمل أن يكون منقطعًا وأن يكون متصلًا كما هنا فيجوز رفعه ونصبه. وقال بعض المحققين: «لا» في «لا إله إلا الله» ليست على بابها لنفي الجنس كما يعتقده كل قاصر، وإلا لزم عليه كفر وإيمان في كل زمن ينطق فيه بهذه الكلمة، لأن نفيه أولًا يعم حتى الله وهذا كفر، وقوله: «إلا الله» إيمان، فيكون توبة، فيكون كل

بخيت

....

والإله هو المعبود بحق، فالمعنى لا معبود بحق موجود أو في الوجود إلا الله،.................

سباعي

قوله: (**فالمعنى لا معبود بحقٍ موجود أو في الوجود إلا الله**): اعلم أنه وقع اضطراب في إعراب هذه الكلمة الشريفة. والمعوَّل عليه أن الاسم الكريم في هذا التركيب مرفوع في الكثير، ولم يأت في القرآن بغير الرفع، وقد يُنصَب.

وجملة الأقوال في وجه رفعه خمسةٌ أقواها أنه بدل، وهو المشهور الجاري على ألسنة المعربين، واختاره ابن مالك، وعليه فالأقرب أنه من الضمير المستتر في الخبر المقدَّر وهو الأصَح. وقيل: إنه بدل

صاوي

الاستثناء منقطعًا، وهو خلاف التحقيق. قوله: (**فالمعنى لا معبود بحق**): أي معناها المطابق. والمنفي المعبود بحق غير الله في ذهن المؤمن وفي نفس الأمر، لا في ذهن الكافر، إذ هو ثابت لا يتأتى نفيه، فهو من المؤمن إخبار عما في قلبه وما في نفس الأمر، ولا ينظر لما في قلوب الكفار. وحذف تنوين معبود مشاكلة للفظ «إله» وإلا فحقه النصب، لكونه شبيهًا بالمضاف.

قوله: (**موجود أو في الوجود**): أشار بذلك إلى أن خبر «لا» محذوف. واختار الشارح تقديره من مادة الوجود. واختار غيره تقديره من مادة الإمكان، بأن يُقال: لا إله ممكن إلا الله. ويرد على

بصيلة

متلفظ بها مرتدًا تائبًا، وهو باطل بالإجماع. وإنما القصد منها الإيمان، بل هي واسمها وخبرها وما دخلت عليه اسم علم على وحدته تعالى، فإن وحدته لها اسمان: أحدهما بسيط، وهو «واحد» والآخر مركب وهو «لا إله إلا الله»، ودلالة المركب على الوحدة أقوى من البسيط، لأن البسيط دل عليها بالمفهوم، والمركب بالمطابقة، وهو أقوى مما دل بالمفهوم، لأن معناها ليس ثم إله يجب له الغنى المطلق وافتقار ما سواه إليه إلا الواحد الحق. هذا خلاصة ما نقله بعضهم عن السنوسي.

(**وإلا كان الاستثناء منقطعًا، وهو خلاف التحقيق**): قد علمت أن الحق كما قال السحيمي أنه منقطع لما ذكره. ارجع إليه.

مبحث الإمكان العام والخاص: (**بأن يُقال: لا إله ممكن... إلخ**): قد منع بعضهم إطلاق الإمكان

بخيت

....

....

سباعي

من اسم «لا» باعتبار عمل الابتداء قبل دخول «لا» كذا قاله ناظر الجيش، وفيه نظر، انظره. والجواب عنه مع بقيَّة الأقوال في كبير اللقاني. ثم البدل إن كان من الضمير المستتر في الخبر، كان البدل فيه نظير البدل في نحو: ما قام أحد إلا زيد. وإن كان البدل من اسم «لا» كان البدل فيه نظير البدل في نحو: لا أحد فيها إلا زيد، إذ البدَل على الأول في المسألتين باعتبار اللفظ، وعلى الثاني باعتبار المحل فيهما.

وقد استُشكل البدل في نحو: ما قام أحد إلا زيد من جهتين: **إحداهما** أنه بدل بعض، وليس ثَمَّ ضمير يعود على المبدل منه؛ **الثانية** أن بينهما مخالفة، فإن البدل موجب، والمبدل منه منفي. **وقد أُجيب عن الأول** بأن «إلا» وما بعدها من تمام الكلام الأول، و«إلا» قرينة مُفْهِمَةٌ أن الثاني قد كان يتناوله الأول، فعُلم أنه بعضه، فلا يحتاج إلى رابط، بخلاف: قبضت المال بعضه. **وعن الثاني** بأنه بدل

صاوي

كلِّ إشكال، أما الأول فلأن مفهومه يفيد أن هناك آلهة غير الله يمكن وجودها وإن لم تكن موجودة بالفعل. أُجيب بأن نفي الإمكان أُخذ من الدليل العقلي، كما أن وجوب الوجود في حقه تعالى يُؤخذ من الدليل العقلي، لا من الاستثناء، فإنه إنما يفيد ثبوت الوجود. وأما الثاني فلأن منطوقه يفيد إمكان الله، وكونه موجودًا أو لا شيء آخر. وأُجيب بأن وجوده تعالى عُلم أيضًا من الدليل العقلي.

بصيلة

على الله، وأجازه آخرون لأن الإمكان يُطلق على عدم الامتناع، وهو المراد هنا، فمعنى الله ممكن، أي غير ممتنع وجوده. وهذا وإن صدق بالجواز لأن المراد به الوجوب بدليل خارجي، فيصح أن يُقال: زيد ممكن، أي غير ممتنع وجوده. ويُطلق الإمكان عند المناطقة على سلب الضرورة - أي الوجوب - عن الطرف المخالف للمنطوق به، مثلًا: الله موجود بالإمكان العام، فالطرف الموافق للمنطوق به ثبوت الوجود ولا تسلط للإمكان عليه، والطرف المخالف عدم الوجود، وهو مصب الإمكان، فالمعنى حينئذ عدم وجوده تعالى ليس بواجب، فيصدق بالجائز والمستحيل، والواقع أنه مستحيل، أي لقيام البرهان على ذلك. وهذا يسمى الإمكان العام. ويُطلق الإمكان أيضًا على سلب الضرورة عن الطرفين

بخيت

....

....

سباعي

من الأول في عمل العامل فيه، وتخالفهما بالنفي والإيجاب لا يمنع البدَلِيَّة، لأن طريق البدل أن يُجعل الأول كأنه لم يُذكر، والثاني في موضعه.

وقد قال ابن الضائع: اعلم أن البدل في الاستثناء إنما المُراعىٰ فيه وقوعه مكان المبدل منه، فإذا قلت: ما قام أحدٌ إلا زيد، فـ«إلا زيد» هو البدل، وهو الذي يقع في موضع أحد، فليس زيد وحده بدلًا من أحد. قال: «وإلا زيد» هو الأحد الذي نفيت عنه القيام. فـ«إلا زيد» بيان للأحد الذي عينته. ثم قال بعد ذلك: فعلىٰ هذا البدل في الاستثناء أشبه ببدل الشيء من الشيء من بدل البعض من الكل. وقال في موضع آخر: لو قيل: إن البدل في الاستثناء قسم علىٰ حدته ليس من تلك الأبدال التي ثبتت في غير الاستثناء لكان وجيهًا، وهو الحق.

فإن قلتَ: هلَّا قدر الخبر في الإمكان أو ممكن، مع أنه أبلغ في نفي الوجود؟ فالجواب: أن هذا ردٌ لخطأ المشركين في اعتقادهم تعدُد الآلهة في الوجود، ولأن القرينة وهي نفي الجنس إنما تدل علىٰ نفي الوجود دون الإمكان، لأنها إنما هي مستعملة في نفي الوجود، ولأن التوحيد إنما هو بيان وجوده ونفي وجود إله غيره، لا بيان إمكانه وعدم إمكان غيره، وإذا قدرت الخبر لفظ ممكن يصير المعنىٰ لا إله ممكن إلا الله، أي فإنه ممكن، وهذا ليس بمُراد ولا يفيد التوحيد، لأنه لا يلزم من إمكان

صاوي

....

بصيلة

معًا الموافق للمنطوق به والمخالف له، وسُمي هذا بالإمكان الخاص، مثلًا: إذا قلت: زيد موجود بالإمكان الخاص، كان المعنىٰ وجوده ليس بواجب، وعدمه ليس بواجب، ولا يصح كل من المعنيين هنا، لأن الإمكان بقسميه وصف للنسبة في القضية، فلابد أن يكون من غير المحمول لفظ الإمكان. فعُلم من هذا أنه لا يجوز إطلاق الإمكان علىٰ الله لإيهامه الإمكان الخاص، لصدقه به أيضًا، إذ هو ما يصح وجوده وعدمه، ويمتنع إطلاق اللفظ الموهم في حقه وحق صفاته كما هو مقرر.

بخيت

....

....

سباعي ___

الشيء وجوده بالفعل، فكم ممكنات باقيات على أعدامها الأصلية لم تبرز إلى الوجود.

ولا يجوز أن يكون استثناءً مفرغًا نحو: ما قام إلا زيد، لأن المعنى هنا نفي وجود آلهة غيره، وإذا جعلناه مفرَّغًا كان واقعًا موقع الخبر، فلا يفيد الكلام نفي وجود غيره من الآلهة، لأن المعنى حينئذ: لا إله مغاير له، وليس المراد الآن نفي الإله المغاير في الأوصاف، بل المراد نفي وجود الآلهة للرد على المشركين الذين يعتقدون وجود الآلهة. وأيضًا نفي الإله المغاير في الأوصاف ربما يثبت إلهًا مماثلًا في الأوصاف، مع أن المُراد من الكلمة المشرَّفة نفي وجود كل ما يُقدَّر وجوده من الآلهة كيفما كانت وعلى أي صفة كانت إلا الله، فإنه المنفرد بوجوب الوجود الجامع لجميع الكمالات.

فإن قلتَ: تقدير الخبر موجود أو في الوجود لا يلزم منه نفي الإله الممكن الوجود، فلا يحصل التوحيد بالكلمة المشرفة، لأن التوحيد هو اعتقاد عدم الشريك بالفعل وعدم تجويز وجوده؛ **فالجواب**: أننا إذا نفينا الوجود عن الآلهة فقد تثبت عدمها، وإذا ثبت عدم وجودها ثبت عدم إمكانها، لأن الإله المعدوم الوجود معدوم إمكان الوجود أيضًا، لأن الإله واجب الوجود عقلًا، لا يُتصَور عدمه ولا يُتصَور إمكان عدمه، لأن الاله ينافي العدم ويستلزم وجوب الوجود.

فإن قلتَ: تقدير الخبر لفظ «موجود» لا ينفي الإله الثابت، لأن الثابت أعم، لأنه تارة يكون موجودًا، وأخرى غير موجود على القول بثبوت الحال -أي الواسطة بين الوجود والعدم- فنفي وجود الآلهة حينئذ لا ينافي أنها من الواسطة، أي إنها ثابتة غير موجودة؛ **فالجواب**: أن هذا مبنيٌّ على القول بنفي الحال، بل هو ساقط حتى على القول بثبوتها، لأن الحال على القول بثبوتها صفة معنوية منسوبة إلى صفة المعنى، فهي أضعف من صفة المعاني، لأنها لم تصل إلى درجة الوجود، والإله لا

صاوي ___

....

بصيلة ___

....

بخيت ___

....

فقد دلت هذه الجملة على نفي الألوهية التي هي استحقاق المعبود للعبادة كما عرفت عن كل ما سواه منطوقًا، وعلى ثبوتها له تعالى وحده مفهومًا.

سباعي

يصِّح أن يكون أمرًا معنويًا ثابتًا غير موجود. ولم يتوهَم أحد من العقلاء أن هناك إلهًا بهذه المثابة.

قوله: (منطوقًا): لو قال: فقد دلت باعتبار صدرها على نفي الألوهية عن كل ما سواه وأثبتها له باعتبار عجزها لكان أوضح. ثم وجّه الإثبات أن الاستثناء من النفي إثبات، سيَّما إذا كان بدلًا، فإنه يكون هو المقصود بالنسبة، ولذا كان البدل الذي هو المُختار في كل كلامٍ تام غير موجب بمنزلة الواجب في هذه الجملة، حتى لا يكاد يستعمل لا إله إلا الله بالنصب ولا إله إلا إيّاه.

فإن قيل: كيف يصح أن البدَل هو المقصود، والنسبة إلى المُبدل منه سلبية؟ **فالجواب**: أنه ما وقعت النسبة إلى البدَل إلا بعد النقض بـ«إلَّا» فالبدَل هو المقصود بالنفي المعتبر في المبدَل منه، لكن بعد نقضه، ونقضُ النفي إثبات.

ثم اعلم أن المعبود بباطل له وجود في الخارج، ووجود في ذهن المؤمن، ووجود في ذهن الكافر بوصف كونه حقًّا، فهو من حيثُ وجودُه في الخارج في نفسه لا يُنفى، لأن الذوات لا تُنفى، وكذا من حيثُ وجودُه في ذهن المؤمن، أي من حيثُ كونُه معبودًا بباطل لا يُنفى، إذ كونه معبودًا بباطل أمرٌ محقَّق لا يصح نفيه وإلا كان كذبًا، وإنما يُنفى من حيثُ وجودُه في ذهن الكافر، أي من حيثُ وجودُه في ذهن الكافر بوصف كونه معبودًا بحق، فالمعبودات الباطلة لا تُنفى إلا من حيثُ كونُها معبودة بحق، فلا يُنفى في «لا إله إلا الله» إلا المعبود بحق غير الله تعالى. ذكر هذا التحقيق شيخ مشايخنا العلامة الملوي في «لا إله إلا الله».

وقال شيخنا ﷺ: لم يظهر لنا ذلك، بل المنفي وجود معبود بحق في الخارج غير الله، بناءً على

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

وهذا يستلزم استغناءه تعالى عن كل ما سواه، وافتقار كل ماسواه إليه تعالى. أما استغناؤه عن كل ما سواه فهو يوجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه، إذ لو ماثل شيئًا منها، للزمه ما لزمها من الافتقار وهو محال، ولو قام بغيره لكان مفتقرًا إلى ذلك الغير. ويوجب له أيضًا التنزهُ عن النقائص، وهو يستلزم وجوب السمع والبصر والكلام والتنزه عن الأغراض في

سباعي

أن خبر «لا» من مادة الوجود كما هو مشهور. وقوله: «لأن الذوات لا تُنفى» فيه أن النفي من حيثُ الحكمُ بالوجود، وأمثاله شائع في نحو: «ليس زيد بموجود» لا ينكره أحد. وأمَّا كون الوجود عين الموجود فمعناه أنه غير زائد على تحقق الشيء، فلا ينافي اختلاف المفهوم على ما بُيِّن في الكلام. وقوله: «إنما يُنفى من حيثُ وجودُه في ذهن الكافر... إلخ» فيه أن حقيقته ثابتة في ذهن الكافر، وهو الوجه الذي كفر به، فإن أراد تعيين مطابقة ما في ذهنه للخارج لعدم ثبوت معتقده خارجًا رجع إلى أن النفي يكون في الخارج وهو الحسي كما أسلفنا، فتدبَّر. **قوله: (وهو يستلزم... إلخ)**: أي نفي الألوهية عن غيره وإثباتها له يستلزم... إلخ. وقوله: **(وهو يستلزم... إلخ)**: أي التنزُّه، وذلك لأن من خَلا عن

صاوي

قوله: (فيُوجب له تعالى الوجود): **إن قلت**: إن عقيدة الوجود أُخذت من الكلمة المشرفة، إذ التقدير: «لا إله موجود إلا الله» فلا حاجة إلى أخذه من الاستثناء؛ أُجيب بأن المأخوذ من الاستثناء مطلق الوجود، والمأخوذ من الاستغناء وجوب الوجود، فقوله: «يوجب له الوجود» أي وجوب الوجود.

قوله: (وقيامه بنفسه): **إن قلت**: إن القيام بالنفس هو الاستغناء، فيلزم عليه اتحاد الموجِب والموجَب، فكأنه قال: الاستغناء أوجب الاستغناء؛ أُجيب بأن القيام بالنفس استغناء خاص، وهو الاستغناء عن المحل والمخصص، والاستغناء الموجب الذي هو أحد جزأي مدلول الكلمة المشرفة عام، وإثبات العام يستلزم إثبات الخاص. **قوله: (وهو يستلزم وجوب السمع... إلخ)**: الضمير عائد على

بصيلة

(من الاستثناء): لعل الأولى الاستغناء. وقوله: **(المأخوذ من الاستثناء)**: لعل الأولى من الكلمة المشرفة، تأمل.

(يستلزم إثبات الخاص): فيجتمعان في نفي الاحتياج إلى المحل والمخصص، وينفرد الغنى في

بخيت

....

الأفعال والأحكام، وإلا لكان مفتقرًا إلى ما يتكمل به من ذلك الغرض، وعدمُ وجوب فعل شيء من الممكنات أو تركه، وعدمُ كون شيء من الممكنات يؤثر بقوة أودعها الله فيه، وإلا لم يكن مستغنيًا عن كل ما سواه، كيف وهو الغني بالإطلاق عن كل ما سواه؟! وأما افتقار كل ما سواه إليه تعالى فهو يوجب له تعالى القدرة والإرادة والعلم والحياة والوحدانية لما تقدم من أن التعدد يوجب العجز. ويُؤخذ منه حدوث العالم بأسره ونفي تأثير شيء منه بالطبع أو بالعلة، وإذا وجب شيء استحال ضده. هذا حاصل ما بينه الإمام السنوسي ﷺ. ولك أن تقول: «الله» علم على الذات الواجب

سباعي

النقائص اتصف بالكمالات.

قوله: (**من ذلك الغرض**): الغرض: السبب الحامل له على الفعل، فلو لم يفعله لكان نقصًا في حقِّه لتكمله بفعل ذلك الشيء، وليس المراد بالغرض الحِكمة كما فهمه بعضٌ، حاشا لله، لأنه هو الحكيم الخبير المتقن. اهـ. مؤلفه.

قوله: (**وعدم وجوب فعل شيءٍ... إلخ**): معطوف على مفعول «وهو يستلزم» أي إن التنزُّه يستلزم عدم وجوب فعل شيءٍ من الممكنات أو تركه. **وقوله**: (**وعدم كون شيءٍ... إلخ**): معطوف عليه أيضًا. **قوله**: (**كيف**): أي كيف ذلك وهو الغني... إلخ، فهي للتعجب. **قوله**: (**وأما افتقار كل ما سواه**): معطوف على قوله: أما استغناؤه... إلخ. **قوله**: (**ويُؤخَذ منه... إلخ**): أي افتقار كل ما سواه إليه. **قوله**: (**ونفي تأثير شيء**): أي ويُؤخذ منه نفي تأثير فيه، أي في العالم. وانظر بسط ذلك في المصنف على السنوسية. **قوله**: (**ولك... إلخ**): هذا كلام مختصَر مفيد، وأجمل هنا اتكالًا

صاوي

التنزه. وما ذكره مبني على أن دليل هذه الثلاث عقليٌّ، وتقدم أن الأقوى فيها الدليل السمعي. وحينئذ فتكون مأخوذة من الجملة الثانية، وهي «محمد رسول الله» إذ هي من جملة ما جاء به رسول الله، فتدبر.

قوله: (**ولك أن تقول**): أي في وجه تضمنها للعقائد.

بصيلة

نفي الغرض في الأفعال والأحكام.

بخيت

....

الوجود الخالق للعالم، وقد دلت هذه الجملة على حصر الألوهية فيه تعالى، وظاهر أن كونه واجب الوجود وخالقًا للعالم، يتضمن جميع ما ذُكر.

وأما الجملة الثانية وهي قولنا «محمد رسول الله» فقد دلت على ثبوت الرسالة له ﷺ، وذلك يستلزم صدقَه في كل ما أخبر به وأمانتَه وتبليغَه للعباد كل ما أُمر بتبليغه من الأحكام وفطانتَه، إذ الرسول لا يكون إلا معصومًا، واستحالة أضدادها عليه ﷺ، وجواز كل ما لا يؤدي إلى نقص في علو مرتبته من الأعراض البشرية. ووجوب صدقه يستلزم الإيمان بكل ما جاء به، ومن ذلك إرسال الرسل، وهو يستلزم ما يجب في حقهم، وما يستحيل وما يجوز، والايمان بسائر الكتب السماوية واليوم الآخر والحساب وما عطف عليه مما مر من جميع السمعيات.

سباعي

على ما فصَّله في الصفات. **قوله: (وذلك)**: أي ثبوت الرسالة. **وقوله: (وأمانته)**: أي ويستلزم أمانته وتبليغه. **وقوله: (وفطانته)**: معطوفٌ على قوله: «صدقَه». **قوله: (إذ الرسول... إلخ)**: تعليل لما قبله. **قوله: (واستحالة أضدادها)**: معطوف على قوله: يستلزم صدقه، وكذا قوله: وجواز... إلخ. **قوله: (ومن ذلك إرسال الرسل)**: أي من ثبوت الرسالة له ﷺ يُستدل على إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو يستلزم... إلخ.

صاوي

قوله: (يتضمن جميع ما ذُكر): أي لأن وجوب الوجود يتضمن صفات السلوب ماعدا الوحدانية. والتنزه عن الأغراض في الأفعال والأحكام وكونه خالقًا للعالم يتضمن القدرة والإرادة والعلم والحياة والوحدانية وحدوث العالم بأسره ونفي العلة والطبيعة.

بصيلة

قول الشارح (الكتب السماوية): قال السحيمي: الحق عدم حصر الكتب في عدد معين، فلا يُقال إنها مئة وأربعة فقط، لأنك إذا انتقيت الروايات تجدها تبلغ أربعة وثمانين ومئة ونظمتها، فقلت:

وصدق بكتب الله عشر لآدما	بستين أو خمسين شيث تقدما
ثلاثون أو خمسون لإدريس نجله	ونـوح له عـشرون قل لخليله
ثلاثون أو عشر وعشر كليمه	كـتـوراة ثـم الـزبـور بوعظه
لـداود إنجيل لعيسى نبينا	لـه أنـزل الـقـرآن فيه ثوابنا

بخيت

قوله: (يتضمن جميع ما ذُكر): أي لأن وجوب الوجود معدن لكل كمال، ومبعد لكل نقصان.

ولتضمنها جميع عقائد الإيمان جعلها الشارع ترجمة على ما في القلب، ولم يقبل من أحد الإسلام إلا بها، ومن ثم كانت أفضل الأذكار، قال ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، ولذلك اختارها السادة الصوفية في السلوك إلى الله تعالى على غيرها من الأذكار.

سباعي

قوله: (ولم يقبل... إلخ): أي ولا بد فيها من النفي والإثبات مضمومًا إليها الشهادتان، فإن أتى بمعناها بأن قال الكافر: أنا مصدِّق بقلبي أن الله واحدٌ وأن محمدًا رسول الله لا يكفي عند السادة الشافعية وبعض المالكية. والمعتمَد إذا أتى بمعناها تكون مُدْخِلة له في الإسلام.

قوله: (ومن ثمَّ): أي ومن أجل ذلك، أي من أجل تضمنها لجميع عقائد الإيمان.

صاوي

قوله: (إلا بها): أي لا بغيرها من نحو: سبحان الله، والحمد لله، بل ولو قرأ جميع أسماء الله الحسنى. وهذا لا ينافي الخلاف المتقدم في اشتراط لفظ «أشهد» والترتيب، فإن القائل بعدم الاشتراط يقول: لابد من الإتيان بها ولو معنى.

قوله: (وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة): منها قوله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» ومنها: «أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يُحال بينكم وبينها، ولقنوها موتاكم» ومنها: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»

بصيلة

اهـ. ومن أنكر آية أو حرفًا من القرآن مجمعًا عليها أو عليه كفر، ومن بقية الكتب المنزلة، لم يكفر، لأنا لا نعلم يقينًا أنها منها، ولا يُقبل قول أهل الكتاب إنها منها، لأن كذبهم ظاهر، وتحريفهم بيِّن، لقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. وكانت صحف ابراهيم كلها أمثالًا منها: «على العاقل أن تكون له ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتذكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب» إلى غير ذلك كما في الحديث.

(أفضل الذكر لا إله إلا الله... إلخ): وحينئذ كان كذلك فعلى العاقل أن يذكر الله بها بهمة

بخيت

....

....

سباعي

....

صاوي

ومنها: «جددوا إيمانكم، أكثروا من قول: لا إله إلا الله»، ومنها: «لكل شيء مفتاح، ومفتاح السماوات قول: لا إله إلا الله» ومنها: «ليس من عبد يقول: لا إله إلا الله مئة مرة إلا بعثه الله تعالىٰ يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولم يُرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد» ومنها: «ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصًا إلا فُتحت له أبواب السماء حتىٰ تفضي إلىٰ العرش ما اجتُنبت الكبائر» ومنها: «من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة» ومنها: «لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبًا» وغير ذلك من الأحاديث التي لا تُحصىٰ كثرة.

بصيلة

وقوة تامتين، فيهتز من فوق رأسه إلىٰ أصابع قدميه، فيُستدل بهذا علىٰ أنه صاحب همة يُرجىٰ له الفتح عن قرب، لما روي أن النبي ﷺ كان له في الذكر حركة كحركة الغصن إذا هزه الريح، فإذا ذكر المريد ربه بقوة، طُويت له مقامات الطريق بسرعة، وربما قطع في ساعة واحدة ما لا يقطعه غيره في شهر، إذ السالك من طريق الذكر كالطائر المجد إلىٰ حضرات القرب، والسالك من غيره كمن يزحف تارة ويسكن أخرىٰ مع بُعد المقصد، فربما قطع عمره ولم يصل. وأن يكون ذكره جهرًا، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدىٰ إلىٰ السامع، فيذكر أو يستمع، فيُثاب علىٰ استماعه، لأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همته إلىٰ الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم ويزيد في النشاط. وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] أي متضرعاً متذللًا وخائفًا ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] أي ومتكلمًا كلامًا فوق السر ودون الجهر، فأُجيب عنه بأن الآية مكية نزلت حين كان عليه الصلاة والسلام يجهر بالقرآن، فيسمعه الكفار فيسبون القرآن ومن أنزله، فأُمر بالترك للجهر سدًّا للذريعة، وقد زال ذلك. وبأن الآية محمولة علىٰ الذكر حالة قراءة القرآن تعظيمًا للقرآن أن تُرفع عنده الأصوات. وبأن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ الكامل المكمل. وأما غيره ممن هو

بخيت

....

إذا علمت ذلك (**فأكثرن**) بنون التوكيد الخفيفة (**من ذكرها**) أي كلمة الإسلام (**بالأدب**) أي مع الآداب التي ذكرها القوم.

سباعي

قوله: (فأكثِرَنْ من ذكرها): يشير به إلى بيان ما جاء في الإكثار من ذكر الله سرًّا وجهرًا وفي المداومة عليه. روى الشيخان مرفوعًا يقول الله عز وجل: «أنا عند ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكرني، فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسِي، وإن ذكرني في ملأ ذَكرته في ملأ خير منهم» الحديث. وفي رواية لابن حِبان مرفوعًا يقول الله عز وجل: «أنا مع عبدي بي إذا هو ذكرني وتحرَّكَت بي شفتاه». وروى ابن أبي الدنيا والطبراني مرفوعًا: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل أن يموت أحدُكم ولسانه رطبٌ من ذِكرِ الله» وغير ذلك. انظر قواعد الشعراني.

ونقل شيخنا ﷺ عن شيخه المؤلف: من ذكر الله ثلاثمئة يُقال ذكر الله كثيرًا، فيدخل في الآية. وصلاة التسابيح فيها ثلاثمئة تسبيحة وثلاثمئة تحميدة... إلخ. فمن فعل ذلك كُتب من المسبِّحين كثيرًا، الحامدين كثيرًا، الذاكرين كثيرًا. اهـ. وهنيئًا لمن وفقه الله تعالى ولو بأقل من ذلك مع المواظبة عليه. اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.

قال بعض العارفين: ولا يكن حظك من الذكر مجرد اللسان، بل اشغل الجَنان بعظَمة المذكور.

صاوي

قوله: (إذا علمت ذلك... إلخ): أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله: «فأكثرن» للفصيحة، أفصحت عن جواب شرط مقدر.

بصيلة

محل الوساوس والخواطر الرديئة، فمأمور بالجهر، لأن له تأثيرًا في دفعها ما لم يخف الرياء أو يتأذى به مصل أو نائم، وإلا فلا يجوز. ولا كراهة في حلق الذكر والجهر به ورفع الصوت به في المسجد، لما رُوي أن «النبي مر برجل في المسجد يرفع صوته بالذكر، فقال رجل: يا رسول الله، عسى أن يكون هذا مرائيًا، فقال: لا، ولكنه أوَّاه» أي [كثير الـ]ـدعاء إلى الخير» ورُوي أن رفع الصوت بالذكر يباهي الله به الملائكة ويشهد له كل شئ سمعه حتى الحيتان في البحر. اهـ. جراحي.

بخيت

....

....

سباعي ___________________________

اهـ. وقال الغزالي: أترى إذا قلت لا إله إلا الله وأنت عابدٌ هواك ودِرهمك ودِينارك ودنياك، ماذا يكون جوابك؟! كذبْت يا عبدي، لم تقل ما لم يكن؟! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ - ٣]. وقال أيضًا: إذا قلت لا إله إلا الله وأنت غافل القلب، غائب الفهم، ساهي السِّر، فلستَ بذاكرٍ، ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]. إذا ذكرته فكُنْ قلبًا، وإذا نطقت به فليكن كلك لسانًا، وإذا سمعت به فكن كلك سمعًا، وإلا فأنت تضرب في حديدٍ بارد. اهـ.

وانظر يا أخي ما يقع في زماننا من الأذكار المحتوية على المحرَّمات المبعِدة عن رحمة الله، ولاسيَّما إذا كان فيهم الأحداث يطيب لهم إذ ذاك الحالُ ويحسنُ، ويعتقدون أنهم مستغرقون في حضرة العزيز الغفَّار، كلا والله، بل مستغرقون في مقتِ العزيز الجبَّار، فإنّا لله وإنَّا إليه راجعون. ويُسمُّون من يراعي تلك الهزات ويجاري تلك الأصوات ذِكِّيرًا، حاشا لله! فانظر ثم انظر، والداهية الطامَّة إذا نُهوا قالوا: لا تعترضوا. وهذا أدهي وأمرُّ، يجعلون تعليم السنة الشرعية اعتراضًا يُنهى عنه، وما خالفها إسلامًا وانقيادًا، هذا أمرٌ يُخشى منه الكفر والرِّدة. وأما إذا غنَّى لهم منشدٌ حالة الذكر، فهناك راعوا ألحانه وحركاته، وجعلوا الذكرَ تابعًا للهوى في هزاته، بل ربما لم يعجبوا المنشد، فيبتدىء بهم الذكر وينقل ويغير على موافقة هواه، فيصير المغني شيخًا كما شاهدناه كثيرًا. وإن أفصحنا عن المفاسد الواقعة الآن أخرجنا عن الاختصار ويطول الحال، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ويرحم الله شيخ مشايخنا العدوي حيثُ نهى عن الإنشاد حال الذكر سدًّا لهذه الذريعة.

وأمَّا ما ورد في فضلها فكثيرٌ جدًّا، منها قوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل ما قلتُه أنا

صاوي ___________________________

....

بصيلة ___________________________

....

بخيت ___________________________

....

....

سباعي ______________________________________

والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله» وقال ﷺ: «لكل شيءٍ مصقلة، ومصقلة القلبِ الذكرُ، وأفضلُ الذِكرُ: لا إله إلا الله» وقوله عليه السلام: «لا يسبقها عملٌ ولا تترك ذنبًا» وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن اللهَ حرَّم النارَ على من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بها وجه الله» أي لا لرياءٍ ولا لسمعة، بل قالها خالصة، فيخرج المنافقون لأنهم لم يبتغوا بها وجه الله. وقال ﷺ: «إذا قال العبد المسلم لا إله إلا الله خرقت السماوات حتى تقف بين يدي الله، فيقول الله لها: اسكُني. فتقول: كيف اسكن ولم تغفر لقائلها؟ فيقول: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له» رواه الديلمي بسندٍ يعمل به في الفضائل.

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل عهد أن لا يأتيني أحدٌ من أُمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئًا إلا وجبت له الجنة. قالوا: يا رسول الله، وما الذي يخلطه بلا اله إلا الله؟ قال: حرصًا على الدنيا وجمعًا لها ومنعًا لها، يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة». وقال ﷺ: «لا يقعد قومٌ يذكرون الله تعالى إلا حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده». وقال ﷺ: «إذا مررتم برياضِ الجنة فارتعوا. قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: حِلَقُ الذِكر» بكسر ففتح، جمع حَلْقة بفتح فسكون، وهي جماعة من الناس يستديرون كحلقة الباب. وجاء في حديث آخر تفسير رياض الجنة بمجالس العِلم، وجاء في حديث آخر تفسيرها بالمساجد. وقد كان ﷺ يبيّن لكل قومٍ ما يناسبهم، فالمواظب على الذكر يبين له الرياض بحلقة، وعلى العلم بمجالسه، وعلى السعي للمساجد بها.

وقال ﷺ: «ما من قومٍ جلسوا مجلسًا وتفرقوا منه ولم يذكروا الله فيه إلا كأنهم تفرَّقوا عن جِيفة

صاوي ______________________________________

....

بصيلة ______________________________________

....

بخيت ______________________________________

....

....

سباعي

حِمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة». وقال ﷺ: «لا إله إلا الله ترفع عن قائلها تسعة وتسعين بابًا أدناها الهمُّ». وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله كانت له كفَّارة لكل ذنبٍ، لولا من يقول لا إله إلا الله لسُلِّطَت جهنم على أهل الدنيا». وقال ﷺ: «ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات عليها إلا دخل الجنة. قال أبو ذر: قلتُ: وإن زنى؟ وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. وكرَّر ذلك إلى أن قال في الرابعة: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذر». وورِدَ: «ما عاداني أحدٌ مثل من عادى الذاكرين» فنعوذ بالله من بغضِ أهل الله المشتغلين بذكره.

وبالضرورة من يذكر المنعم عليك الرؤوف الرحيم تحبُّه، ولا يبغض ذاكره إلا لئيمٌ شقيٌّ. وفي بعض الآثار أن «من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة نجا من النار»، ولو قالها إنسانٌ لِمَيِّت لنَجا من النار، ولو كان فيها لخرَج منها. قال سيدي علي الأجهوري: جُرِّبَ فصحَّ. وكان اليافعي وسيدي محمد ابن الترجماني وغيرهما من العارفين يفعلون ذلك لِمَن مات من أصحابهم، فينبغي فعلها اقتداءً بالصوفية لمحافظتهم عليها وأمرهم بها، وهذا ما أردنا ذكره من بحر فضلها الوافر، وإنما أتينا من كثيرهِ بقليلٍ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فائدتان: الفائدة الأولى: قال الإمام الشعراني في «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية» ما نصُّه: ومما أنكروه على القوم تمايلهم يمينًا وشمالًا عند قول «لا إله إلا الله»، وقالوا لم يرد بذلك نصٌّ، إنما ورد الحَث على ذكر الله من غيرِ ذكر تمايل. وأجاب شيخ مشايخنا المرحوم بكرم الله الخفي: أن الحافظ أبا نُعيم روى عن الفُضَيل بن عِياض أنه قال: كان أكابر أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينًا وشمالًا كما تتمايل الشجرة في الريح العاصف إلى قدام ثم ترجع إلى وراء. اهـ.

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

....

سباعي

فاعلم ذلك يا أخي. وإن كنت ولا بدَّ منكرًا، فانكر علىٰ أهلِ المُحرَّمَات بالنصِ التي تراها في بلدِك وغيرها ولا تنكرها.

وذكر بعض العارفين في سرِّ الابتداء بالنفي من الجهة اليمين أن النفس الأمَّارَة فيها، وهي نفس خبيثة. قال [في سورة] يوسف الصدِّيق عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]. وقال فيها نبينا ﷺ: «أعدىٰ أعدائك نفسُك التي بين جنْبيك». وذكروا أن الشيطان من جندها، لا يقدِر علىٰ الدخول في الإنسان إلا بواسطتها، وهي تُخيِّل للعبدِ القبائح حتىٰ الشرك، فردَّ عليها بنفيِه. والقلبُ في الجهة اليُسرىٰ، وهو محل الأنوار والأسرار، فجُعل لفظ الجلالة الشريف عليه ليتلقىٰ أنواره وأسراره.

الفائدة الثانية: ذكر شيخ مشايخنا الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي المدفون بمسجد الإمام الحسين في رسالته المُسمَّاة بـ«فتح الإله في الرد علىٰ من كفَّر من أخطأ في لفظ لا إله إلا الله» ما نصه: قال ابن حجر في فتاويه الحديثية: هل الذكر باللسان أفضل أو غيره؟ وعبارته في الجواب -يعني ابن حجر-: الذكرُ الخفيُّ قد يُطلق ويُراد به ما هو بالقلبِ فقط، وما هو بالقلبِ واللسان، بحيثُ يُسمِعُ نفسه ولا يسمعه غيره. ومنه: «خير الذكر الخفيّ» أي لأنه لا يتطرق إليه الرياء. وأما حيثُ لم يُسمِعُ نفسه فلا يُعتَدُّ بحركةِ لسانه، وإنما العِبرة بما في قلبه. علىٰ أن جماعة من أئمتنا -يعني الشافعية وغيرهم- يقولون: لا ثواب في ذكر القلب وحده ولا مع اللسان حيث لم يُسمِعُ نفسه، وينبغي حمله علىٰ أنه لا ثواب عليه من حيثُ الذِكرُ المخصوص. وأما اشتغال القلب بذلك وتأمُّله لمعانيه واستغراقه في شهوده، فلا شكَّ أنه بمقتضىٰ الأدلة يُثاب عليه من هذه الحيثية الثواب الجزيل. ويؤيده

صاوي

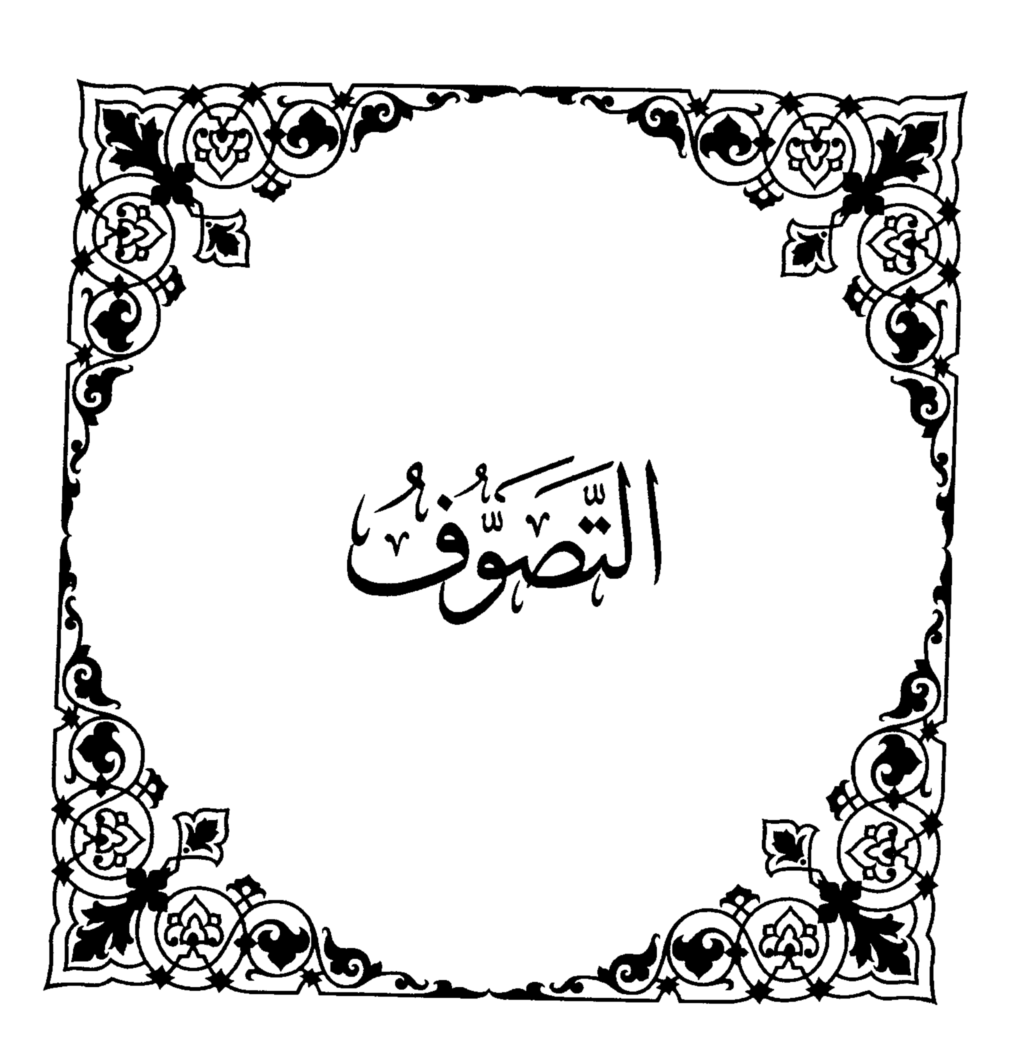
....

بصيلة

....

بخيت

....


التَّصَوُّف



وهذا شروع منه سامحه الله تعالىٰ في فن التصوف الذي هو حياة القلوب، رتبه علىٰ معرفة عقائد الإيمان لأنه لا يمكن السير إلىٰ الله تعالىٰ إلا بعد معرفتها. **وحد التصوف علمًا** هو علم بأصول يُعرف به صلاح القلب وسائر الحواس. **وعملًا** هو الأخذ بالأحوط من المأمورات واجتناب المنهيات والاقتصار علىٰ الضروريات من المباحات. ويقال: هو الجد في السلوك إلىٰ ملك الملوك. ويُقال: هو

سباعي

خبر البيهقي: «الذكر الذي لا تسمعه الحفظَة يزيد علىٰ الذكر الذي تسمعه الحفظة بسبعين ضعفًا». اهـ. بحروفه. وأما مذهبنا -أعني المالكية- فهو أن حركة اللسان تكفي وإن لم يسمع نفسه.

قوله: (علمًا): أي من حيثُ كونُه علمًا، وكذا يُقال في قوله: «وعملًا». **قوله: (هو الأخذ بالأحوط)**: أي بأن يأتي بعبادة متفَق عليها عند أصحاب المذاهب الأربعة، فإن كان حنفيًّا أو شافعيًّا يمسح جميع رأسه، وإن كان مالكيًّا يأتي بالبسملة، وهكذا. اهـ. مؤلفه. **قوله: (ويُقال... إلخ)**: ويُقال: هو علم يُعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية. ويُقال أيضًا: هو ترك الاختيار. ويُقال: هو الانكباب علىٰ العمل، والإعراض عن

صاوي

قوله: (في فن التصوف): مأخوذ من الصفاء، وهو خلوص الباطن من الشهوات والكدورات، قال بعض العارفين:

يا واصفي أنت في التحقيق موصوفي	وعارفي لا تغالط أنت معروفي
إن الفتىٰ من بوعده في الأزل يوفي	صافىٰ فصوفي لهذا سمي الصوفي

قوله: (إلا بعد معرفتها): أي ومعرفة الأحكام الفقهية التي بها تصح عبادته. ولذا قيل: من تصوف ولم يتفقه، فقد تزندق؛ ومن تفقه ولم يتصوف، فقد تفسق؛ ومن تصوف وتفقه، فقد تحقق.

قوله: (علمًا): أي من جهة العلم. وقوله: **(بأصول)**: أي بقواعد وضوابط. وقوله: **(وعملًا)**: معطوف علىٰ علمًا. **قوله: (هو الجِد)**: أي الاجتهاد وبذل الهمة.

بصيلة

....

بخيت

....

حفظ الحواس ومراعاة الأنفاس. والمعنىٰ متقارب.

وغايته: صلاح القلب وسائر الحواس في الدنيا والفوز بأعلىٰ المراتب في العقبىٰ.

وموضوعه: الأخلاقُ المحمدية من حيثُ التخلقُ بها.

سباعي

العلل. وهو ممدوح ومطلوب، لأنه مأخوذٌ من الصفاء، وهو ممدوح بكل لسان، وضده الكدَر وهو مذموم كذلك. قوله: (**ومراعاة الأنفاس**): أي الحركات.

قوله: (**وغايته صلاح القلب... إلخ**): وبعبارة: وغايته نيل السعادة الأبدية. وهي مترتبة علىٰ ما قاله مؤلفه رضي الله عنه وعنًّا به. **قوله**: (**وموضوعه الأخلاق المحمدية... إلخ**): وفي عبارة: وموضوعه التزكية والتصفية والتعمير المذكورات، وعليه فهو متحد مع قولهم: هو علمٌ يعرف به أحوال تزكية النفوس... إلخ لفظًا ومعنىٰ، فما قاله المؤلف أسلسُ لخلُوه عن التكرار اللفظي. ولم يتكلم علىٰ مسائله، وهي ما يُذكر في كتبه من المقاصد. وهذا العلم هو علم الوراثة الذي هو نتيجة العمل المُشار إلىٰ ذلك بـ«خيركم من عمل بما علم». اهـ. من «شرح الرسالة القشيرية».

صاوي

قوله: (**حفظ الحواس**): أي من كل ما يغضب الله تعالىٰ. **قوله**: (**ومراعاة الأنفاس**): أي فلا يضيع نفسًا في غير طاعة، فإن الإنسان يخرج منه كل يوم وليلة مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نفس، ينبغي له أن يراعيها ولا يضيعها. **قوله**: (**والمعنى متقارب**): أي في التعاريف الثلاثة.

قوله: (**وغايته صلاح القلب**): مراده بالغاية الفائدة. **وقوله**: (**والفوز بأعلى المراتب**): هذا هو غايته. **قوله**: (**وموضوعه الأخلاق المحمدية**): أي وهي أوامر القرآن ونواهيه، لما ورد عن عائشة أنها حين سُئلت عن أخلاقه ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن». وذكر الشارح من مبادئه العشرة أربعة، وبقي ستة، وهي: **واضعه**، وهم العارفون الآخذون له عن النبي بالسند المتصل؛ **ونسبته**: أنه فرع علم التوحيد؛ **واستمداده**: من الكتاب والسنة؛ **واسمه**: علم التصوف؛ **وحكمه**: الوجوب؛ **ومسائله**:

بصيلة

....

بخيت

....

واعلم أن التصوف بمعنىٰ العمل هو الطريقة. وأما الشريعة فهي الأحكام التي وردت عن الشارع المعبر عنها بالدين. وأما الحقيقة فهي أسرار الشريعة ونتيجة الطريقة، فهي علوم ومعارف تحصل لقلوب السالكين بعد صفائها من كدرات الطباع البشرية، ....

سباعي

قوله: (**هو الطريقة**): الطريقة هي تتبُّع أفعال النبي ﷺ. قال مؤلفه: المراد العمل بالقول المتفَق عليه أو الأكثر، لا برخص المسائل أو ضعيفها. قوله: (**فهي الأحكام... إلخ**): وبعبارة: هي فعل المأمورات وترك المنهيات. والمآل واحد. وفي عبارة المؤلف حذف مضاف، أي فهي العمل بالأحكام... إلخ. وهي عندهم أمر العبد بالتزام العبودية. والحقيقة مشاهدة الربوبية، أي رؤيته إيَّاها بقلبه.

قوله: (**معارف**): جمع معرفة، وهي علىٰ لسان العلماء غير الصوفية العلمُ. فكل علمٍ معرفةٌ، وكلُّ معرفةٍ علمٌ، وكلُّ عالمٍ بالله عارفٌ، وكل عارفٍ عالمٌ. وعند هؤلاء القوم المعرفة صفةُ مَنْ عرِفَ الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدَق الله في معاملاته، ثم انتفىٰ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتطافه، فيحظىٰ من الله تعالىٰ بجميلِ إقباله، وصدَق الله في جميع أحواله، وانقطع عن هواجس نفسه -أي خواطرها- ولم يصغ بقلبه إلىٰ خاطر يدعوه إلىٰ غيره تعالىٰ، فإذا صار العارف من الخُلُق الرديء أجنبيًّا، ومن آفات نفسه بريئًا، ومن المساكنات والملاحظات إلىٰ ذلك تقيًّا، ودام في السرِّ مع الله مناجاته، وحقَّ في كل لحظةٍ إليه رجوعه، وصار محدَّثًا -بفتح الدال المشددة- من قِبَل الحق تعالىٰ بتعريف أسراره فيما يجريه عليه من تصاريف أقداره يُسمىٰ عند ذلك عارفًا، وتُسمَّىٰ حالته -أي التي سُمي بها عارفًا معرفةً. ويُقال: هي تحقيق العلم بإثبات الوحدانية. ويُقال: حياةُ القلب مع الله. ويقال: نسيان غير الله. انظر «الرسالة القشيرية». قوله: (**الطباع البشرية**): هي حظوظ النفس.

صاوي

قضاياه التي يُبحث فيها عن عوارضه الذاتية، كالفناء والبقاء، والمراقبة والمشاهدة، والجلال والجمال وغير ذلك. قوله: (**المعبر عنها بالدين**): أي والملة.

بصيلة

....

بخيت

....

ولا شيء أقرب لصفاء القلب من كثرة ذكر «لا إله إلا الله» مع الآداب التي ذكرها أهل الله رضي الله تعالى عنهم، ومتى ترك السالك الآداب أو أكثرها بعد عليه الوصول إلى مطلوبه. والآداب إما قبلية، وإما مصاحبة، وإما بعدية.

سباعي

قوله: (**أهل الله**): أي الصوفية. **قوله**: (**أن يجدد التوبة**): التوبة هي الرجوع، وسيأتي الكلام عليها في محلِّه. **قوله**: (**من المخالفات**): بيانٌ لِمَا، وهي المعاصي. **قوله**: (**والآداب... إلخ**): هذا كلامٌ مستأنف واقع في جواب سؤال مقدَّر، كأن قائلًا قال له: ما الآداب التي تقدَّم ذكرها؟ فأجاب بقوله: والآداب... إلخ. وفي هذا التقرير إشعارٌ بأن «أل» للعهد الذكري. وجملة الآداب التي ذكرها أربعة وعشرون ستمر عليك. وذكر الإمام الشعراني ﷺ عشرين، وخالفه أستاذنا المؤلف في البعض ووافقه في البعض الآخر، وللقوم طرق ومذاهب.

صاوي

قوله: (**لصفاء القلب**): أي خلوصه من أدرانه وكدوراته. **قوله**: (**مع الآداب**): أي مع القيام بها والتزامها. **قوله**: (**إلى مطلوبه**): أي وهو صفاء القلب.

قوله: (**والآداب إما قبلية... إلخ**): هذه آداب لخصوص الذكر. وأما آداب الطريق فقد ذكرها فيما سيأتي مشتتة، وذكرها في رسالته التي ألفها في طريق القوم مجموعة، ولنذكرها تتميمًا للفائدة، فنقول: وأما الآداب فهي كثيرة جدًا، فنقتصر منها على المهمات، بعضها يتعلق بحق الشيخ، وبعضها يتعلق بحق الإخوان الذين معه في الطريق، وبعضها يتعلق بحق العامة، وبعضها يتعلق بحق نفسه، وبالتي نذكرها يتيسر له إن شاء الله تعالى ما لم نذكره.

فالآداب التي تُطلب من المريد في حق الشيخ: **أوجبها**: تعظيمه وتوقيره ظاهرًا وباطنًا، وعدم الاعتراض عليه في شيء فعله، ولو كان ظاهره أنه حرام، ويؤول ما انبهم عليه، ولا يلتجئ لغيره من الصالحين، ولا يزور صالحًا إلا بإذنه، ولا يحضر مجلس غيره ولا يستمع ممن سواه حتى يتم سقيه من

بصيلة

....

بخيت

....

....

سباعي

....

صاوي

ماء سر شيخه، ولا يقعد وشيخه واقف، ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محل الضرورات، ولا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه، ولا يجلس على سجادته، ولا يسبح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعد له، ولا يفعل فعلًا من الأمور المهمة إلا بإذنه، ولا يمسك يده للسلام وهي مشغولة بشيء، بل يسلم عليه بلسانه، ولا يمشي أمامه، ولا يساويه في مشيه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صونًا له، وأن لا يذكره عند أعدائه، وأن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره، وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله، ويرى كل نعمة وصلت له من بركته، وأن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه، وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه، وأن يحمل كلامه على ظاهره، فيمتثله إلا بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر، وأن يلازم الورد الذي رتبه، فإن مدد الشيخ في ورده، فمن تخلف عنه حرم المدد، وأن يقدم محبته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله، فإنها المقصودة بالذات، ومحبة الشيخ وسيلة.

وأما الآداب التي في حق إخوانه: فأن يكون محبًا لهم، ولا يخص نفسه بشيء دونهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه، ويعودهم إذا مرضوا، ويسأل عنهم إذا غابوا، ويبتدرهم بالسلام وطلاقة الوجه، وأن يراهم خيرًا منه، ويطلب منهم الرضا، ولا يزاحمهم على أمر دنيوي، بل يبذل لهم ما فُتح عليه به، وأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم، ويتعاون معهم على حب الله، وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه، ويخدمهم ولو بتقديم النعال لهم.

وأما الآداب التي تتعلق بالعامة: فالتواضع، وبذل الطعام، وإفشاء السلام، والصدق معهم في جميع الأحوال. وأكثر ما تقدم في الآداب المتعلقة بالإخوان يجري هنا.

وأما الآداب التي تتعلق به في نفسه: فأن يكون مشغولًا بالله، زاهدًا فيما سواه، غاضًا عن

بصيلة

....

بخيت

....

فالقبلية أن يجدد التوبة مما وقع فيه من المخالفات أو الخواطر الرديئة، ....

سباعي

قوله: (أن يجدِّد التوبة): التوبة لغةً: الرجوع من شيءٍ إلىٰ آخر. وشرعًا: الرجوع عن الذنب. وحقيقتها عند القوم أن يتوب العبد عن كل ما لا يعنيه من قولٍ أو فعلٍ أو إرادةٍ، ومَنْ لم يتُب هذه التوبة وترخَّص فلا يجديه شيء. والجامع لكل ما لا يعنيه هو ما لا يرقيه في الطريق بشهادة شيخه. وكان ذو النون المصري يقول: من ادَّعىٰ حلاوة الذكر مع محبته في الدنيا فأكذِبوه. وهي أصل كل مقام، ومفتاح كل حال، فمن لا توبةَ له لا مقام له. وسيأتي لذلك تتمَّة في محله.

قوله: (الخواطر): جمع خاطر، وهو خطاب يُنشِئه الحقُّ في قلوب الخلق، تارة بلا واسطة مخلوق، وتارة بواسطة مخلوق من مَلَكٍ أو شيطانٍ أو نفسٍ، فإذا كان من قِبَلِ الله سبحانه وتعالىٰ بلا واسطة فهو خاطر حق. وإذا كان من المَلَك فهو الإلهام، وهو إلقاء معنىً في القلبِ بطريق الفيض. وإذا كان من قِبَل النفس قيل له: هاجس. فما كان من قِبل المَلَك يُعلم صدقه بموافقة العلم الشرعي، ولهذا قالوا: كل خاطر لا يشهد له ظاهر من الشرع فهو باطل. وما كان من قِبل الشيطان فأكثره يدعو

صاوي

المحارم، ليس للدنيا عنده قيمة، تاركًا لفضول الحلال، كالتوسعة في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب، مقتصرًا علىٰ قدر الكفاية، مديم الطهارة، لا ينام علىٰ جنابة، ولا يفضي بيده إلىٰ عورته إلا في ضرورة، ولا يكشف عورته ولو بخلوة، ولا يطمع فيما في أيدي الناس، يحاسب نفسه علىٰ الدوام، لا يأكل إلا حلالًا وهو ما جهل أصله، يكابد نفسه عن النظر إلىٰ الصور الجميلة من النساء والأحداث، فإن تلك قواطع عن الله تعالىٰ تسد باب الفتح، أجارنا الله من ارتكابه، ويطالع كتب القوم، ككتب سيدي عبد الوهاب الشعراني، فإنها تعلم الآداب.

وحاصل ما هنالك أن طريق القوم سداها هذه الآداب، ولحمتها الذكر، فلا يتم نسجها إلا بهما. انتهىٰ.

بصيلة

....

بخيت

....

وأن يتطهر من الحدث والخبث، وأن يتوجه إلى الله تعالى برغبة ليحصل له الجمعية في الذكر، وأن يستغفر الله تعالى بما تيسر بأي صيغة كانت، وأن يصلي على النبي ﷺ كذلك، وأن يستقبل القبلة لأنها أفضل الجهات، وأن يستحضر شيخه ليكون رفيقه في السير، ثم يشرع في الذكر.

وأما الآداب المصاحبة: فأن يستحضر معناها إجمالًا، وأن يحقق الهمزة ويمد ألف «لا» مدًّا متوسطًا، ويفتح الهاء فتحة خفيفة، ويمد ألف «الله» وألف «إله» مدًّا طبيعيًّا، ويأتي بالهاء من «الله»،

سباعي

إلى المعاصي، وأقلُّه يدعو إلى الخيرِ في الظاهر، وهو من باب: «صَدَقَكَ وهوَ كَذُوبٌ». وما كان من قِبل النَفس فأكثره يدعو إلى اتباع الشهوات أو إلى استشعار كِبرٍ، أو إلى ما هو من خصائص النفس. وفي المقام كلام يُخرجنا بسطه عن المقصود.

قوله: (أن يتطهر... إلخ): الطهارة عند الفقهاء عرَّفها ابن عرفة بقوله: صفة حكمية... إلخ. وأما عند هؤلاء القوم فهي حفظ الله العبد من المخالفات. ثم اعلم أن عندهم طاهرُ الظاهرِ، وطاهرُ الباطنِ، وطاهرُ السرِّ، وطاهر السر والعلانية. فالأول مَن حفظه الله من المعاصي، والثاني مَن حفظه الله من الوسواس، والثالث من لا يذهل عن الله طرفة عين، والرابع من قام بتوفِية حقوق الخلق والخالق جميعًا لسعته برعاية الجانبين.

قوله: (الجمعية): أي المراقبة، وهي استدامة علم العبد بالاطِّلاع عليه في جميع أحواله. وسيأتي الكلام عليها في الشارح. **قوله: (كذلك)**: أي بما تيسَّر. **قوله: (ليكون رفيقه في السير)**: وأيضًا استمداده من شيخه حقيقةً هو استمداده من النبي ﷺ، إذ هو الواسطة بينه وبينه.

قوله: (يستحضر معناها): أي على اختلاف درجات المشاهدة في الذاكرين. ويجب عليه أن

صاوي

قوله: (وأن يصلي على النبي كذلك): أي بما تيسر بأي صيغة كانت. **قوله: (وأن يستقبل القبلة)**: أي إن كان وحده وإلا تحلقوا. **قوله: (وأن يحقق الهمزة)**: أي الأولى والثانية احترازًا عن

بصيلة

....

بخيت

....

ويقف عليها، وأن يذكر بهمة وقوة، وأن يكون ذكره رغبة في مرضاة الله ومحبته وامتثالًا لأمره، لا لرياء ولا لسمعة، ولا لأمر دنيوي أو أخروي، وأن ينفي الأكوان من قلبه، لأن ملاحظة شيء منها قاطع عن الله تعالى، ولولا أن للشيخ مدخلًا في السير ما سوغوا له ملاحظته في حال البداية، وأن يجلس كجلوسه في التشهد إلا لتعب فيجوز التربع، وأن يغمض عينيه لأن له تأثيرًا في تنوير القلب، وأن يبتدأ بـ«لا» جهة اليمين، ويرجع بـ«إله»، ويختم بـ«الله» جهة اليسار، مشيرًا إلى قلبه. فإذا أراد ختم الذكر ختمه بـ«محمد رسول الله».

سباعي

يعرض على شيخه كل شيءٍ ترقى إليه من الأذواق ليُعلِّمه طريق الأدب فيه.

قوله: (وأن يذكر بهمَّة وقوَّة): أي بحيث لا يبقى معه متسع أبدًا.

قوله: (وأن يكون ذكره رغبة... إلخ): أي بأن يصفيه من كلِّ شَوْبٍ، فإن بالذكر والإخلاص يصِل الذاكر إلى درجة الصِدِّيقين، بشرط أن لا يكتم عن شيخه شيئًا من خواطره ولو مذمومة، فمن كتم شيئًا منها كان خائنًا وحُرِّم عليه الفتح، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، ومن لا يحبه الله تعالى لا يفتح عليه بشيءٍ من الخير. **قوله: (وأن ينفي الأكوان... إلخ)**: أي لأن الله غيورٌ لا يحب أن يرى في قلب عبده غيره. وإنما شرطوا نفي كل ما سوى الله من القلب ليتمكن لهم تأثير «لا إله إلا الله» بالقلب ويسري إلى جميع الأعضاء كما أنشدوا في ذلك:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

قوله: (لأن له تأثيرًا في تنوير القلب): أي لأنه إذا غمض عينيه ينسد عليه طرق الحواس

صاوي

تسهيلها بحيث تصير ياء، فإنه لحن.

قوله: (ولولا أن للشيخ مدخلًا في السير): أي من حيث أن ملاحظته ترد الشيطان عنه.

قوله: (ويرجع بإله): أي جهة صدره.

بصيلة

....

بخيت

....

وأما الآداب البعدية: فإنه يسكت ويسكن بخشوع، فإن للذكر واردات ترد على قلب الذاكر، ولا يتمكن الوارد من القلب إلا بذلك، فإذا كان الوارد وارد زهد وجب التمهل حتي يتم ويتمكن

سباعي

الظاهرة، وسدُّها يكون سببًا لفتح حواس القلب.

تنبيه: أجمعوا على أنه ينبغي للمريد إذا ذكر الله أن يهتزَ من فرق رأسه إلى أصبع قدميه، وهي حالة يستدلون بها على أنه صاحب همَّة فيُرجى له الفتح عن قريب إن شاء الله تعالى. ذكره الشعراني، فاشطَح ولا تبال باعتراض الفقيه القاصر.

قوله: (فإنه يسكت ويسكن): أي ليحصل بذلك الصدق، بأن يشغل قلبه بالله بالفكر دون اللفظ، حتى لا يبقى خاطر مع الله، ثم يوافق اللسان القلب بقول «لا إله إلا الله».

قوله: (فإن للذكر واردات): الوارد: ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمُّد العبد، وكذلك ما لا يكون من قِبل الخواطر فهو أيضًا وارد. ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم، فالواردات أعم من الخواطر، لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه، والواردات تارة تكون وارد سرور، وتارة وارد حزن، وتارة وارد قبض، وتارة وارد بسط، إلى غير ذلك من المعاني. **قوله: (ولا يتمكن الوارد من القلب إلا بذلك)**: أي بالسكوت والسكون والخشوع.

قوله: (وجب التمهل حتى يتم ويتمكن... إلخ): أي حتى يتم ويتمكن الزهد من قلبه، ومتى حصل ذلك يصير بنقيض خاطره، إذا فُتح عليه بشيءٍ من الدنيا عكس ما كان عليه قبل ذلك الوارد،

صاوي

قوله: (وجب التمهل حتى يتم): حذفه من الأواخر لدلالة الأول عليه. والأوضح أن يقول: ولا يتمكن الوارد من القلب إلا بذلك، فيجب التمهل حتى يتم ويتمكن من القلب، فإذا كان الوارد وارد زهد، استوت عنده الدنيا إلى آخر ما قال. والمراد بالوارد: الملك الحاضر للذكر، فإذا ختم الذاكر أتحفه بتحفة من ربه، لأن العارفين قالوا: جليس الملك لا يخلو من تحفة، فكيف بجليس ملك الملوك،

بصيلة

....

بخيت

....

من القلب فتستوي عنده الدنيا، أقبلت أم أدبرت؛ وإذا كان وارد توكل صار بعد ذلك مفوضًا أمره إلى ربه في كل شيء؛ وإذا كان وارد صبر صار بعد ذلك لا ينزعج من تفاقم الأهوال، وهكذا من الواردات. قال الإمام الغزالي ﷺ: ولهذه السكتة آداب: مراقبة الله تعالى، وإجراء معنى الذكر على قلبه، ونفي الخواطر كلها، وجمع حواسه كلها، بحيث لا تتحرك منه شعرة كحال الهرة عند اصطياد الفأرة، وأن يكتم نفسه بقدر الطاقة مرارًا، أقلها ثلاثة إلى سبعة حتى يدور الوارد في جميع أركانه، وأن لا يبادر بشرب الماء عقب الذكر، فإنه يطفئ ما تحصل من أنواره. فإن داومت على الذكر بهذه الآداب

سباعي

فوجود الوارد بها يعمر في لمحة أكثر مما تعمره المجاهدة والرياضة في أكثر من ثلاثين سنة.

قوله: (صار بعد ذلك مفوضًا... إلخ): أي متبرئًا من الحول والقوة. **قوله: (لا ينزعج... إلخ)**: معطوف على محذوف، أي فإذا تمهّل حتى تمكّن الوارد من قلبه لا ينزعج ولو قام الوجود كله عليه بالأذى لا تتحرك منه شعرة كما لا يتحرك الجبل من نفخة ناموسة، بخلاف ما إذا لم يترقب حصول شيء من ذلك، فإنه لا يحصل له تحقق بذلك المقام الذي أتى به الوارد، أفاده الشعراني. **قوله: (إلى سبعة)**: أي أو أكثر من ذلك بحسب قوة عزمه. وهذا كالمُجمع على وجوبه عند القوم، فإنه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان. شعراني، وقال: كما جربناه.

قوله: (فإنه يطفئ ما تحصل من أنواره): أي أنوار الذكر، فإن الذكر يورث حرقة وهيجانًا وشوقًا إلى المذكور الذي هو المطلوب الأعظم من الذكر، وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة. فليحرص

صاوي

ففي الحديث: «أنا جليس من ذكرني». **قوله: (عقب الذكر)**: أي أو أثنائه، فعليه أن يصبر بعد الذكر مدة أقلها نحو نصف ساعة فلكية، وكلما كثر كان أحسن.

قوله: (فإذا داومت... إلخ): أشار بذلك إلى أن قوله: «ترقى» جواب شرط مقدر، وهو أحد وجهين في الواقع بعد الأمر، والآخر أنه مجزوم في جواب الأمر.

بصيلة

....

بخيت

....

(**ترقى**) أي تصعد، و إثبات الألف ضرورة على حد

ولا ترضاها ولا تملق

(**بهذا الذكر**) المشتمل على الآداب أي بسببه (**أعلى الرتب**) جمع رتبة، وهي الخليقة الحسنة المحمودة عاقبتها. وأدنى الرتب الإسلامية لوم النفس على ما صدر منها من المخالفات، وأعلاها رتبة الصديقية ينالها العبد بعد دخوله في مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ورتبة الصديقية في نفسها مراتب متفاوتة بعضها أعلى من بعض، ....

سباعي

الذاكر على هذه الثلاثة الآداب، فإن نتيجة الذكر إنما تظهر بها، والله أعلم. قاله الشعراني رحمه الله تعالى.

قوله: (الخليقة): أي الخصلة. **قوله**: (**رتبة الصديقية**): أي وهي الكاملة. **قوله**: (**كأنك تراه**): أي من شدة المراقبة.

صاوي

قوله: (**على حد ولا ترضاها**): هو عجز بيت وصدره:

إذ العجوز غضبت فطلق

وما قاله الشارح أحد أجوبة ثلاثة عند إثبات الألف في المجزوم. **في الثاني**: أنها زيدت للإشباع. **الثالث**: أن الجازم إنما حذف الحركة فقط، وهي لغة بعض العرب.

قوله: (**رتبة الصديقية**): أي غير الأنبياء، وإلا فرتبتهم لا يصل إليها غيرهم.

قوله: (**وهو أن تعبد الله... إلخ**): أشار للحديث الوارد عن رسول الله ﷺ جوابًا لجبريل عليه السلام حيث سأله عن الإحسان، فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فأشار بقوله: «كأنك تراه» إلى مقام المشاهدة، وهي شهود الله بالقلب بلا كيف ولا انحصار، كأنه ناظر إليه، ومشاهد له ببصره. وشبهه برؤية البصر لأنه في الحس والعادة أقوى. وأشار بقوله: «فإن لم تكن تراه، فإنه يراك» إلى مقام المراقبة وهي كما يأتي ملاحظة الحق تعالى في كل حال، أي إنه يسمعه ويراه.

بصيلة

....

بخيت

....

وأعلاها رتبة أبي بكر الصديق ﷺ، ولا يعلو مقام الصديقية إلا مقام النبوة، فصاحب مقام الصديقية لو تخطى مقامه لنزل في مقام النبوة، إلا أن النبوة قد خُتمت بنبينا محمد ﷺ، والصديقية لم تُختم، فمقام الصديقية مقام الولاية الكبرى، والخلافة العظمى. وهذا المقام تترادف فيه الفتوحات وتعظم التجليات

سباعي

قوله: (**ولا يعلو**): أي لا يفوق.

قوله: (**مقام الولاية**): تقدَّم الكلام عليها عند ذكر الكرامة، فراجعه إن شئت.

قوله: (**التجليات**): جمع تجلٍّ، وهو ما ينكشف لقلب السالك من أنوار الغيوب، فإن كان مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات سُمي تجلي الذات. وأكثر الأولياء ينكرونه ويقولون إنه لا يحصل إلا بواسطة صفة من الصفات من حيثُ تعينها وامتيازُها عن الذات. وإن كان مبدؤه صفة من الصفات سُمي تجلي الصفات. وإن كان مبدؤه فعلًا من أفعاله تعالى سُمي تجلي الأفعال، فتجلي الأسماء هو ما ينكشف لقلب السالك من أسمائه تعالى، فإذا تجلى على السالك باسم من أسمائه اصطلم ذلك السالك تحت أنوار ذلك الاسم، بحيثُ يصير إذا نُودي الحق تبارك وتعالى بذكر الاسم أجاب ذلك السالك. وتجلي الصفات هو ما ينكشف لقلبه من صفاته تعالى، فإذا تجلى على السالك بصفة من صفاته، وذلك بعد فناء صفة السالك، ظهر على السالك بعض آثار تلك الصفة بفضل الله تعالى، مثلًا إذا تجلى الحق عليه بصفة السمع، صار يسمع نطق الجمادات وغيرها، وقِسْ عليها. وتجلي الأفعال هو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى، فإذا تجلى الحق تعالى على السالك بأفعاله انكشف للسالك جريان قدرة الله تعالى في الأشياء، فيرى أنه تعالى هو المحرِّك وهو المسكِّن شهودًا حاليًا لا يعرفه إلا

صاوي

قوله: (**وأعلاها رتبة أبي بكر الصديق**): أي ولم يرتق إليها غيره من باقي الأمة المحمدية، فضلًا عن سائر الأمم لما في الحديث الشريف: «ما طلعت الشمس على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر» وفي رواية أيضًا: «لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح».

بصيلة

....

بخيت

....

وتتم المشاهدات والكشوفات لكمال النفس وحسن صفائها، ولا يمكن الوصول إليه إلا بعد الفناء وهو زوال صفات النفس المذمومة بالكلية حتى لا تصير ملتفتة إلى شيء منها، بل تزهدها كما تزهد أكل الجيفة مثلًا. وصفاتها المذمومة هي: الحسد والحقد، وحب الجاه والصيت، والمحمدة والرياسة، والشهوات، والكبر ....

سباعي

أهله. وهذا التجلي مزلّة الاقدام، فيُخشىٰ على السالك منه، لأنه ينفي الفعل عن العبد بالكليَّة، ولكن ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. واعلم أن تجلي الأفعال سابق على تجلي الصفات والأسماء، فإذا ثبت السالك وأقام الحدود الشرعية على نفسه مع شهود أن المحرك والمسكن هو الله تعالى، ترقى من هذا التجلي الخطر إلى تجلي الأسماء والصفات، فإن لم يثبت تزندق، ورجع من الطريق، وهبط إلى أسفل سافلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. اهـ. من «سير السلوك».

قوله: (وتتم المشاهدات): جمع مشاهدة، وهي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه عمّا لا يليق بعظمته. وأما الشهود فهو رؤية الحق بالحق. اهـ. «سير السلوك». **قوله: (والمكاشفات)**: عطفه على ما قبله عطف تفسير. **قوله: (هي الحسد)**: الحسد هو كراهة أن تكون النعمة على الغير فيحب زوالها، وهو المذموم في نوع الحسد. وأمَّا تمني مثل ما للغير المُسمى بالغبطة فهو ممدوح. **قوله: (والحقد)**: الحقد هو خفاء العداوة في القلب لمحل القدرة على الانتقام. **قوله: (والجاه)**: هو موجب انتشار الصيت، والخمول ضدٌ للجاه، وهو انخماد ذكر السالك بالكليَّة. **قوله: (والمَحمدة)**: تفسير لما قبله. **قوله: (والرئاسة)**: هي التقدم على الغير. **قوله: (والكِبر)**: الكبر: صفة

صاوي

قوله: (لكمال النفس): علة لقوله: «وهذا المقام تترادف... إلخ».

قوله: (والصيت): أي الشهرة بين الناس.

بصيلة

قول الشارح: (والكبر): قال العلماء: الكبر: بطر الحق وغمص الناس. فبطر الحق رده على

بخيت

....

والرياء، والعجب والنفاق، والغرور وبغض أحد من الخلق لغير غرض شرعي، ونحو ذلك. فإذا زالت عنه هذه الأوصاف القبيحة اتصف بأضدادها من الصفات الحميدة، كالشفقة والرأفة على الخلق، حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه، والإخلاص، وحسن الخلق، والسخاء والمسكنة التي طلبها النبي ﷺ بقوله: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين».

سباعي

في النفس تنشأ من رؤية النفس، وما يظهر من الكبر والتعاظم في الظاهر فهو أثر تلك الصفة. **قوله: (والرياء)**: الرياء هو أن يطلب الرجل بقلبه رؤية الناس أعماله، وهو نوعان: ظاهر وخفي. فالظاهر منه هو أن يحمله هذا الطلب على العبادة وعلى تحسينها، والخفي منه هو الذي لا يحمله على العبادة ولا على تحسينها، ولكن يحب أن يطَّلع الناس عليه.

قوله: (والعجب): العجب هو تكبرٌ يحصل في الباطن بتخيله كمالًا من علم أو عمل. **قوله: (والنفاق)**: النفاق هو الكذب، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

قوله: (والغرور): الغرور هو اعتقاد الشيء على غير ما هو عليه، وهو نوع من الجهل. وأصناف المغترين كثيرة، فالعباد يكون منهم مغترون وكذلك الصوفية وكذلك أهل الدنيا وأهل العلم.

قوله: (والإخلاص): الإخلاص هو أن لا يحب الرجل رؤية الناس أعماله، وهو ضد الرياء، وسيأتي له تتمَّة. **قوله: (الخُلُق)**: هو بضم الخاء مع ضم اللام وإسكانها، بسْط الوجه، وكفُّ الأذى، وبذل الندى. **قوله: (والسخاء)**: السخاء هو إخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة.

صاوي

....

بصيلة

قائله، وغمص الناس احتقارهم.

تنبيه: الكبر على أعداء الله والفساق والظلمة وأهل التجبر من أهل الدنيا وأرباب المناصب مطلوب شرعًا، حسن عقلًا. وعلى الصالحين وأئمة الدين حرام معدود من الكبائر، وهو من أعظم الذنوب القلبية، حتى قال بعض العلماء: كل ذنب من ذنوب القلب ربما يكون معه الفتح إلا الكبر. اهـ. جراحي.

بخيت

....

وهذه المسكنة هي خضوع النفس لمقام الألوهية، وخفض الجناح للبرية، حتي لا يشم صاحبها للرئاسة رائحة، وصاحبها هو العبد الحقيقي الصديقي، فمن لم يتصف بها لم تخل نفسه من منازعة الحق تعالى في أخص أوصافه، لأن الرئاسة إنما تكون للفاعل المختار الغني على الإطلاق، وهي لا تفارق الإنسان إلا بعد المجاهدة الكبرى، فعرقها لا ينقطع عن أحد إلا من خصه الله بالعبودية المحضة، ولذا قالوا: «آخر ما يخرج من قلب الصديقين حب الرئاسة». ولا يسهل الوصول إليها عادة إلا بمداومة ذكر «لا إله إلا الله» ليلًا ونهارًا، مع تعلق القلب بالله وحده، والجوع والسهر والاعتزال عن الناس والصمت إلا عن ذكر الله تعالى، وملاحظة بقية أركان الطريق التي

سباعي

قوله: (للبرية): أي الخلق. **قوله: (وصاحبها)**: أي المسكنة. **قوله: (فمن يتصف بها)**: أي بالرئاسة، ففي كلامه نفعنا الله به لفٌ ونشرٌ مرتَّب. **قوله: (وهي)**: أي الرئاسة. **قوله: (المجاهدة)**: أي وهي الأعمال التي تزيل الأخلاق الذميمة وتُحصِّل الأخلاق الحميدة، سواء كانت من أعمال القلوب أم الجوارح، وهي المطلوبة، ولذا استدل عليها بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي طُرقنا الحميدة. قال القشيري نقلًا عن أبي عليٍّ الدقّاق رحمهما الله تعالى: من زيَّن ظاهره بالمجاهدة، حسَّن الله سرائره بالمشاهدة. **قوله: (إليها)**: أي العبودية المحضة.

صاوي

قوله: (هي خضوع النفس لمقام الألوهية... إلخ): أي لأن قصارى أمر العبد عدم وآيل إليه.

قوله: (في أخص أوصافه): أي وهي العظمة والكبرياء، لما في الحديث: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في شيء منهما قصمته». **قوله: (إنما تكون للفاعل المختار)**: أي وهو الله تعالى.

قوله: (وملاحظة بقية أركان الطريق... إلخ): أي وهي خمسة: تجديد التوبة، والشكر، والصبر، والفكر، والشيخ العارف. والحاصل أن الشارح ﷺ عد الأصول عشرة، لكن منها أربعة مشتركة بين أهل الطريق وغيرهم، وهي: الفكر، والشكر، والصبر، وتجديد التوبة؛ وستة مخصوصة بأهل الطريق لتوقف وصولهم عليها عادة، وهي: دوام الذكر، والصمت، والسهر، والجوع، والعزلة، والشيخ

بصيلة

....

بخيت

....

سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى، وهو المسمى بالمجاهدة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وهذا الترقي هو المسمى بالسلوك إلى ملك الملوك عند الطائفة. وأما السير إلى الله تعالى فهو توجه القلب إلى الرب مع مخالفة النفس في شهواتها ولو مباحة طلبًا لمرضاة الله تعالى وإيثارًا له على ما سواه، فالسير كالسبب في السلوك، وقد يُطلق السلوك على المعنى الثاني أيضًا، والسلوك إلى الله تعالى طريقة النبيين والصديقين والعلماء العاملين، إلا أنه مختلف، فسلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبدؤه الترقي من نفوس مطهرة كمالية إلى ما لا نهاية له من المقامات الإحسانية، وهو نفسه متفاوت، فسلوك أولي العزم منهم أعلى وأجل من سلوك غيرهم. وسلوك سيد أولي العزم عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام أعلى من غيره، إذ مبدؤه نهاية غيره..........

سباعي

قوله: (سيأتي بيانها): أي في قوله: وأصلها... إلخ.

قوله: (وهو المُسمى بالمجاهدة): الضمير للذكر.

قوله: (على المعنى الثاني): أي الذي هو السير.

صاوي

العارف الذي يدل على الله تعالى. وقد نظم بعضهم الستة المختصة ماعدا الشيخ والذكر بقوله:

بيت الولاية قسمت أركانه	ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم	والجوع والسهر النزيه العالي

قوله: (على المعنى الثاني): أي وهو التوجه إلى الرب مع مخالفة النفس في شهواتها... إلخ، فمعنى تسميته سالكًا أنه متسبب في السلوك.

قوله: (وهو في نفسه متفاوت): أي فالسلوك مقول بالتشكيك.

قوله: (نهاية غيره): أي من أولي العزم.

بصيلة

....

بخيت

....

وأما سلوك غيرهم فمن نفوس أمارة أو لوامة ظلمانية إلى نفس كاملة صديقية. والنهايات تختلف في الإشراق بحسب اختلاف البدايات، فبإحراق البداية يكون إشراق النهاية.

والنفوس سبعة بحسب أوصافها، وإلا فهي واحدة: الأولى: **النفس الأمارة بالسوء**..........

سباعي

قوله: (**والنفوس**): مستأنف واقع في جواب سؤال مقدَّر تقديره ظاهر، جمع نفس بسكون الفاء، وهي **لغةً**: وجود الشيء، وتُطلَق على الحقيقة، يُقال: نفس الجوهر ونفس العَرَض ونفس الجهل، أي حقيقة كل منها، وعلى الدم، كقول الفقهاء: ما له نفس سائلة إذا وقع في ماء نجَّسَه. وعند هؤلاء القوم ما كان معلولًا من أوصاف العبد ومذمومًا من أفعاله وأخلاقه، وكثيرًا ما يعبرون بها عن مبدأ الصفات المذمومة.

قوله: (**الأولى النفس الأمَّارة**): المراد بها النفس الناطقة، وهي القلب الذي قال تعالى فيه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. وليس المراد من

صاوي

قوله: (**والنهايات تختلف... إلخ**): أي نهايات غير الأنبياء عليهم السلام.

قوله: (**فبإحراق البداية**): أي بالمجاهدة بالذكر والفكر. **وقوله**: (**يكون إشراق النهاية**): أي بالعلوم والمعارف والأسرار.

قوله: (**والنفوس سبعة**): أي عند السادة الخلوتية. وأما عند السادة الشاذلية فثلاثة: أمارة، ولوامة، ومطمئنة، فأدخلوا الملهمة في اللوامة، وأدخلوا الراضية والمرضية والكاملة في المطمئنة. ووجه ذلك أن النفس اللوامة إذا كثر منها اللوم صارت عيوبها بين عينيها، فاشتغلت بها عن غيرها وهي الملهمة، وأن المطمئنة إذا ترقت في الكمالات، رضيت بما قضاه الله وقدره، فجُوزيت بالرضا من خالقها، فإذا زاد ترقيها كملت، فهذه مطمئنة وزيادة، فلا خلف بينهم.

قوله: (الأولى الأمارة): وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

بصيلة

....

بخيت

....

وهي التي لا تأمر صاحبها بخير.

فإذا جاهدها صاحبها وخالفها في شهواتها حتى أذعنت لاتباع الحق، وسكنت تحت الأمر

سباعي

القلب القطعة اللحم، وإنما هي اللطيفة الربَّانية، لكنها لما تدنَّست بالميلِ إلى الطبيعة والركون إلى الشهوات، وصادقت النفس الشهوانية -أي الروح الحيواني- انخرطت في سلك الحيوانات، وتبدَّلت أوصافها الحميدة بالذميمة، وصارت لا تتميز عنها إلا بالصورة، وصار الشيطان من جندها. ومن أوصافها الجهل والبخل... إلى آخر ما قدَّمه الشارح. ثم إن هذه النفس لها سيْر، وعالَم، ومحل، وحال، ووارد، وكيفية خَلاص، وترقٍ من صفاتها. فسيرها إلى الله تعالى، وعالمها عالَم الشهادة، ومحلها الصدر، وحالها الميل، وواردها الشريعة، وكيفية الخلاص والترقي قد بينها بقوله: فإذا جاهدها... إلخ.

وليكن بالذكر في هذا المقام: «لا إله إلا الله» بالشروط التي ذكرها الشارح، سيَّما تحقيق همزة «إله» وإيّاك أن تتهاون في تحقيقها، فإنَّك إن لم تحققها قُلبت ياء وصار ذكرك: لا يلاه إلا الله، وهذه ليست كلمة التوحيد، فلا ثواب بتكرارها ولا تأثير. وغالب الذاكرين واقعون في هذا الأمر ولا يدرون. وأكْثِرْ من هذا في القيام والقعود والاضطجاع في جميع الأوقات، وذلك بالجهر، فإن التأثير المطلوب من هذا الاسم لا يحصل إلا بالإكثار والإجهاد آناء الليل وأطراف النهار. وأيضا تيقظ الأعضاء من الغفلة التي هي فيها لا يحصل إلا بالذكر الجهري، ولذلك أمر به الأشياخ.

قوله: (وهي التي لا تأمر صاحبها بخير): قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»، وقال

صاوي

قوله: (لا تأمر صاحبها بخير): أي خالص من العلل، فلا ينافي أنها قد تأمر بخير معلول، كما اتفق لرجل أمرته نفسه بالجهاد يومًا، فطلب من الله أن يطلعه على دسائسها، فأطلعه الله على أنها تريد

بصيلة

(بخير معلول): أي أو بسوء، فهي محجوبة عن الله تعالى بالحجب الظلمانية، وهي الذنوب.

بخيت

....

التكليفي، ولكنها تغلب صاحبها في أكثر أحوالها، ثم ترجع إليه باللوم على ما وقع سُميت لوامة وهي الثانية.

سباعي

عليه الصلاة والسلام: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فسمَّى جهاد الكفار أصغر، وسمى جهاد النفس أكبر، وذلك لأنها واقعة في ظلمة الطبيعة، فلا فرق لها بين الحق والباطل، فلا تميز بين الخير والشر، ولا يقدر الشيطان اللعين على الإنسان إلا بواسطتها. فكن أيها الأخ منها على حذر، ولا تأمن لها، ولا تساعدها، ولا تنتصر لها إن أحدٌ آذاها، بل كن معينًا له عليها، لأنك إذا تحققت عدواتها لزمك جميع ما ذُكر، ولزمك تقليل الطعام والشراب والمنام لتضعف النفس الشهوانية الحيوانية، لأنها إذا ضعفت هان خلاص هذه النفس الشريفة العزيزة العُلوية التي سُميَّت بالأمَّارة عن شبكتها.

قوله: (سُميت لوَّامة): ولها أيضًا سير، وعالم، ومحل، وحال، ووارد، وصفات، وعلاج في الخلاص من تلك الصفات، والترقي عنها إلى المقام الثالث الذي تكون النفس فيه مُلهَمة. فسيرها إلى الله تعالى، وعالمها البرزخ، ومحلها القلب، وحالها المحبَّة، وواردها الطريقة، وصفاتها اللوم والفِكر والعُجب والاعتراض على الخلق والرياء الخفي وحب الشهرة والرئاسة، فقد بقي معها بعض أوصاف النفس الأمَّارة، لكنها مع هذه الأوصاف ترى الحق حقًّا والباطل باطلًا، وتعلم أن هذه الصفات مذمومة ولا تقدر على الخلاص منها، ولها رغبة في المجاهدة وموافقة الشرع، ولها أعمال صالحة من قيام وصيام وصدَقة، وغير ذلك من أفعال البِّر، لكن يدخل عليها العجب والرياء الخفي، فيحب صاحب هذه النفس أن تطلِّع الناس على ما هو عليه من الأعمال الصالحة، مع أنه يخفيها عنهم، ولا يعمل لهم، بل عمله لله تعالى، إلا أنه يحب أن يُحمَد ويُثنى عليه من جهة أعماله،

صاوي

أن تجاهد، فتُقتل مرة واحدة لتستريح من قتلك لها كذا كذا مرة. **قوله: (سُميت لوامة وهي الثانية)**: أي وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

بصيلة

....

بخيت

....

فإذا أخذ في المجاهدة والكد حتى مالت إلى عالم القدس، واستنارت بحيثُ أُلهمت فجورها وتقواها سُميت ملهمة وهي الثالثة. وعلاماتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية الدقيقة من الرياء والعجب وغير ذلك.

سباعي

ويكره هذه الخصلة أيضًا، ولا يمكنه قلعها من قلبه بالكليَّة وإلا لكان مخلصًا بلا خطر، والحال أن المخلصين على خطرٍ عظيم.

قال عليه الصلاة والسلام: «الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم» وذلك أن المخلص يجب أن يعرف الناس أنه مخلص، وهذا هو الرياء الخفي، لأن الرياء الخفي هو العمل لأجل الناس، وهو الشِرك الخفي المذموم بالكليَّة. أسأل الله لي ولك التطهير منه. ومَن كان بهذه المثابة فهو في المقام الثاني، ويُقال لنفسه لوَّامة. ويشتغل في هذا المقام بالاسم الثاني، وهو: «الله الله»، بسكون آخره كبقيَّة الأسماء. والخلاص من تلك الصفات والخطر لا يكون إلا بالفناء عن شهود الإخلاص بشهود أن المحرِّك والمسكِّن هو الله تعالى، ومن أراد المزيد على هذا فعليه بـ«سير السلوك» فإنه أتى فيه في هذا المقام وغيره بالعجب العُجاب.

قوله: (التقديس): أي التطهير. **قوله: (سُميَّت ملهمة)**: أي لأن الله ألهمها فجورها وتقواها، ولها سير، وعالم، ومحل، وحال، ووارد، وصفات، وعلاجٌ في الخلاص منها، والترقي عنها إلى المقام الرابع. فسيرها إلى الله تعالى، بمعنى أن السالك لا يقع نظره في هذا المقام إلا على الله تعالى، لظهور

صاوي

وقوله: (سميت ملهمة وهي الثالثة): أي وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٨]. **قوله: (وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية)**: ومن جملة علامتها الشوق والهيمان والسكر، إذ هو في هذا المقام فانٍ عما سوى الله تعالى، ولكن هذا كثير العطب لا ينجو منه عادة إلا باستناده لشيخه بالكلية.

بصيلة

....

بخيت

....

فإذا لازم المجاهدة حتىٰ زالت عنها الشهوات وتبدلت الصفات المذمومة بالمحمودة، وتخلقت بأخلاق الله تعالىٰ الجمالية من: الرأفة والرحمة واللطف والكرم والود سُميت: **مطمئنة وهي الرابعة.** وهذا المقام هو مبدأ الوصول إلىٰ الله تعالىٰ، ولكنها لا تخلو من دسائس خفية جدًّا، كالشرك الخفي، وحب الرياسة، إلا أنها لخفائها ودقتها لا يدركها إلا أهلها الذين نوَّر الله بصائرهم، لأن ظاهرها الصلاح والاتصاف بالصفات الحميدة من الكرم والحلم، والتوكل والزهد والورع، والشكر والصبر، والتسليم والرضا بالقضاء، مع انكشاف بعض أسرار وانخراق بعض عادات، وظهور بعض كرامات، فلربما ظن صاحبها أنه الإمام الأعظم، وأن مقامه هو المقام الأفخم، وهذا من جملة الدسائس.

سباعي

الحقيقة الإيمانية علىٰ باطنه، وفناء ما سوىٰ الله في شهوده، وعالمها عالم الأرواح، ومحلها الروح، وحالها العشق، وواردها المعرفة. وأما صفاتها فقد أشار الشارح إلىٰ بعضها بقوله: «وتخلقت... إلخ» والعلاج في الخلاص منها، والترقي عنها إلىٰ المقام الرابع أشار بقوله الآتي: «فإذا أدركته العناية الإلهية، واستند إلىٰ شيخه» ويشتغل في هذا المقام بالاسم الثالث وهو: «هوّ هوّ»، وانظر بسط ذلك في «سير السلوك».

قوله: (سُميّت مطمئنة): ولها أيضًا سير، وعالم، ومحل، وحال، ووارد، وصفات، وكيفية الترقي عنها إلىٰ المقام الخامس. فسيرها مع الله، وعالمها الحقيقة المحمدية، ومحلها السر، وحالها الطمأنينة الصادقة، وواردها بعض أسرار الشريعة. وأشار إلىٰ بعض صفاتها بقوله: «من الكرم والحكم... إلخ» كما أشار إلىٰ كيفية الترقي عنها إلىٰ المقام الخامس بقوله: «ولازم المجاهدة حتىٰ تمكن... إلخ» أي بأن لا يستعجل علىٰ التقدم. ويشتغل في هذا المقام بالاسم الرابع وهو «حق» بحرف النداء وبدونه. انظر « سير السلوك».

صاوي

قوله: (سُميت مطمئنة وهي الرابعة): هذه وما بعدها إلىٰ السابعة مأخوذة من قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧ -٣٠]. **قوله: (هو مبدأ الوصول)**: أي ولذا يقولون: هو أول قدم يضعه المريد في الطريق. وقبله يُسمىٰ مريدًا.

بصيلة

....

بخيت

....

فإذا أدركته العناية الإلهية، واستند إلى شيخه بالكلية، ولازم المجاهدة حتى تمكن من الصفات المحمودة، وانقطع عنه عرق الرياء، وصارت نفسه ذليلة، واستوى عنده المدح والذم، ودخلت في مقام الفناء، ورضيت بكل ما يقع في الكون من غير اعتراض أصلًا، سُميت: راضية، وهي الخامسة، ولكن رؤية الفناء والإخلاص ربما أوقع في شيء من الإعجاب فيرجع به القهقرى، فليستعذ بالله من ذلك مع مداومة الذكر والالتجاء إلى الله، وملاحظة أنه لا يتم له الخلاص إلا بمدد الشيخ.

سباعي

قوله: (ودخلت في مقام الفناء): أي الذي هو عبارة عن ذهول الحواس عن المحسوسات، وهو حال المتوسط في الطريق.

قوله: (سُميت راضية): اعلم أن هذه النفس ليس لها وارد، لأن الوارد لا يكون إلا مع بقاء الأوصاف، وقد زالت في هذا المقام حتى لم يبق لها أثر، كما أشار أيَّده الله إلى ذلك بقوله: «ودخلت في مقام الفناء... إلخ». ولها سير، وعالم، ومحل، وحال، وصفات، وكيفية الترقي منها إلى المقام السادس. فسيرها في الله، وعالمها اللاهوت، ومحلها سر السر، وحالها الفناء، لكن لا بمعنى الفناء الذي مرَّ بيانه، كما يشير له بقوله: «فإذا فني عن الفناء». والفرق بينهما أن ذاك حال المتوسط في الطريق، وقد عرفت أنه ذهول الحواس عن المحسوسات، وهذا حال المشرفين على البقاء الذين هم في أواخر السلوك، والمراد به محو الصفات البشرية، والتهيؤ للبقاء من غير أن يعقبه البقاء في الحال، لأن ذلك الفناء هو حقُّ اليقين، وهو بعد هذا الفناء يحصل في المقام السابع وسيأتي.

وصفات هذه النفس الزهد فيما سوى الله تعالى، والإخلاص، والرجوع والنسيان، والرضا بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاج قلبٍ ولا توجهٍ لرضا المكروه منه، ولا اعتراض أصلًا، وذلك لأنه مستغرق في شهود الجمال المطلَق، ولا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنصيحة للخلق وأمرهم ونهيهم، ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع به، وكل ذلك وقلبه مشغول بعالم اللاهوت، وهو

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

....

فإذا فني عن الفناء وخلص من رؤية الإخلاص تجلى عليها بالرضا، وعفا عن كل ما مضى، وتبدلت سيئاتها حسنات، وانفتح لها أبواب الأذواق والتجليات، فصارت غريقة في بحار التوحيد، وآنستها بلابل الأسرار بالتغريد، ولذا سُميت: مرضية، لأنها بعنايات الله مرعية، وهي السادسة..........

سباعي

الأصل. وقد سألتُ شيخنا عنه فأجاب بأن أصل كل شيءٍ يُقال له: لاهوت، وما تفرَّع عنه يُقال له: ناسوت، وسرُّ السرِّ.

والسرُّ عند القومِ: لطيفة مودَعة في القلب كالأرواح. وأصولهم تقضي أنها محل المشاهدة، كما أن الأرواح محل المحبة، والقلوب محل المعارف. قال العلامة علاء الدين القونوي: والظاهر أنها أسماء لحقيقة واحدة، وهي اللطيفة الإنسانية، لكنها تختلف باعتبارات مختلفة. وقالوا أيضًا: السرُّ: مَا لَكَ عليه إشراف واطلاع، وسرُّ السرِّ: ما لا اطلاع عليه لغير الحق سبحانه، لغفلة صاحبه عنه، لكمال شغله عن أسره له. انظر «الرسالة القشيرية».

واشتغِل في هذا المقام بالاسم الخامس وهو: «حي» وأكثِرْ منه ليزول فناؤك ويحصل بقاؤك بالحي، فتدخل في المقام السادس. وكيفية الترقي من هذا المقام -أعني الخامس- إلى ما بعده أشار إليها بقوله: فإذا فني عن الفناء. **قوله: (ولذا)**: أي ولأجل اتصافها بالأوصاف التي ذُكرت. **قوله: (سُميَّت مرضية)**: أي لأن الحق تعالى قد رضي عنها. ولها أيضًا سير، وعالم، ومحل، وحال، ووارد، وصفات، وكيفية ترقٍ منها إلى المقام السابع. فسيرها عن الله تعالى، بمعنى أنها أخذت ما تحتاج إليه من العلوم من حضرة الحي القيوم، ورجعت من عالم الغيب إلى عالم المشاهدة بإذن الله تعالى، لتفيد الخلق مما أنعم الله به عليها، وعالمها عالم الشهادة، ومحلها الخفاء، وحالها الحيرة، والمراد بها المقبولة،

صاوي

قوله: (في بحار التوحيد): من إضافة المشبه به للمشبه، وكذا قوله: «بلابل الأسرار». وقوله **(بالتغريد)**: هو في الأصل صوت البلابل الحسن، والمراد بها دواعي القرب لحضرة الرحمن.

بصيلة

....

بخيت

....

إلا أن صاحب الهمة العلية لا يرضى بالوقوف عند هذه المقامات وإن كانت سنية، بل يسير من الفناء إلى البقاء، ويطلب وصل الوصل بتمام اللقاء، فتناديه حقائق الأكوان ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

سباعي

وهي التي أشار إليها العارف بقوله:

زدْني بفرطِ الحُبِّ فيك تحيُّرا   وارحم حشا بلظَى هواك تسعّرا

لا الحيرةُ الموهمة التي تكون في أول السلوك، ووأرادها الشريعة. وأما صفاتها فقد أشار إلى بعضها بقوله: «فإذا فنى عن الفناء... إلخ» ومن صفاتها أيضًا حسن الخُلُق، وترك ما سوى الله، واللطف بالخلق، وحملهم على الصلاح، والصفح عن ذنوبهم، وحبهم والميل إليهم لإخراجهم من ظلمات طباعهم إلى أنوار أرواحهم، لا كالميل الذي في النفس الأمارة، لأنه مذموم. ومن صفات هذه النفس الجمع بين حب الخلق والخالق. وهذا شيءٌ عجيب لا يتيسر إلا لأصحاب هذا المقام -يعني السادس- ولذلك كان السالك لا يتميز من عموم الخلق بحسب ظاهره. وأما بحسب باطنه فهو معدن الأسرار وقدوة الأخيار، وليس في شهوده شيء من الأغيار من حيثُ كونُها أغيارًا، وهو دائرة العلم الإلهي الحالي، لا علم الرسوم المقالي. وأما كيفية الترقي فقد أشار لها بقوله: «بل يسير من الفناء إلى البقاء... إلخ». ويشتغل في هذا المقام بالاسم السادس وهو: «قيُّوم».

صاوي

قوله: (فتناديه حقائق الأكوان): أي ذواتها. **قوله:** (﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]): أي فلا تلتفت لغيره، فإنه فتنة شاغل لك عن مقصودك. ومن ذلك قول العارف ابن الفارض:

قال لي: حسن كل شيء تجلى   بي تملى فقلت: قصدي وراكا
وجد القلب حبه فالتفاتي   لك شرك ولا أرى الإشراكا

بصيلة

(أي ذواتها): يعني ذوات الأكوان، أي تخاطبه بلسان الحال أو المقال أو الذوق بقولها: إنما نحن فتنة، فلا تكفر ما أنت فيه من النعم بالتفاتك ونظرك ووقوفك عندنا، لأن الوقوف والالتفات إلى الأكوان معصية، ومعصية أهل اليقين كفر عندهم، للإخلال به، ولأن حسنات الأبرار سيئات المقربين،

بخيت

....

فإذا سار إلى منازل الأبطال، وخلف الدنيا وراء ظهره، ناداه ربه بأحسن مقال: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، فيدخلها ربها في عباد الإحسان، ويخلع عليها خلع الرضوان، ويدخلها جنات الشهود، ويجلسها في مقعد صدق عند الملك المعبود. وفي هذا المقام قد تمت المجاهدة والمكابدة، لأن صفات الكمال صارت لها

سباعي

قوله: (وخلف الدنيا وراء ظهره): أشار به إلى خِسَّتها وأن التجرد منها إلا بقدر الكفاف هو الغنى الحقيقي، والله دَرُّ القائل حيث قال:

رضيتُ بفقري في هواه وذِلَّتي ... وما ضرَّني عيشٌ إذا ما تكدرا

فمن كان بالدُنيا غنيًّا فإنني ... غنيٌّ بمن للكلِّ أغنى وأفقرا

وقول الآخر:

خـذْ من الدنيا كفافًا لا تَـزِد ... ودَعْ الإسرافَ فيها واقتصد

واتـرك الدنيا لذي الجهلِ فما ... نال صفوَ العيشِ إلا مَن زَهِدْ

قوله: (ناداه ربه): جواب إذا. **قوله: (وتُسمَّى النفس فيه بالكاملة)**: أي لما اتصفت به من التخلي عن الصفات المذمومة، والتحلي بالصفات الكمالية الممدوحة، وصار صاحبها حسنات الأبرار سيئاته. ولها سير، وعالم، ومحل، وحال، ووارد، وصفات. فسيرها بالله تعالى، وعالمها كثرة في وحدة، ووحدة في كثرة. وسألت شيخنا عن معنى هذا الكلام، فأجاب بأن مثل هذا يُدرَك بالذوقِ لا بالعبارة، وكل من عبَّر عنه رموه. ومحلها الأخفى الذي نسبته إلى الخَفِي كنسبة الروح إلى الجسد، وحالها الفناء، ووارداها جميع ما ذُكر من واردات النفوس، وصفاتها جميع ما ذُكر من الأوصاف

صاوي

قوله: (قد تمت المجاهدة والمكابدة): أي ومع ذلك فلا يأمن لنفسه، بل دائمًا يتعهدها ويربيها، قال السيد البكري: النفس حية تسعى، ولو بلغت مراتبها السبعة.

بصيلة

فعلى قدر الصعود يكون الهبوط.

بخيت

....

طبعًا وسجية، وتُسمىٰ النفس فيه **بالكاملة**، وهي السابعة، وهي أعظم النفوس قدرًا وأكملها فخرًا، ومع ذلك لا ينقطع ترقيها أبدًا، لأن الكامل يقبل الكمال، فلم تزل تترقىٰ حتىٰ تشهد الحق تعالىٰ قبل الأكوان، ومشاهدته تعالىٰ قبل كل شيء هو المسمىٰ عندهم بالمعاينة، وهذا هو عين اليقين بعد أن حازت علم اليقين الذي هو معرفته تعالىٰ بالبراهين،........................

سباعي

الحسنة للنفوس المتقدم ذكرها. والاسم الذي يشتغل به هذا الكامل: «القهار» وهو الاسم السابع، ولم نُطل الكلام فيه لعزته وغرابة أسراره.

قوله: (وهي أعظم النفوس... إلخ): أي لأنها قد كملت فيها سلطنة الباطن، وتمت بها المكابدة والمجاهدة، وليس لصاحب هذا المقام مطلب سوىٰ رضوان مولاه. حركاته حسناتٌ، وأنفاسه قدرة وحكمة وعبادة، إن رآه الناس ذكروا الله، وكيف لا يكون ذلك وهو وليُّ الله تعالىٰ؟! بل كان وليًا وهو في المقام الرابع، لأن المقام الرابع مقام الأولياء العوام، والخامس مقام الخواص، والسادس مقام خواص الخواص، فسبحان من لا مانع لما أعطىٰ، ولا مُعطي لما منع، وكل ذكر في هذه المقامات حَكَيْتُه عن أصحابه، وأنا محجوب عن الوصول إلىٰ عَرَصاته، متخبطٌ في حبال الأمَّارة، وليس عندي إلا مجرد الرجاء وحسن الظن، علىٰ حد قوله:

بعفوك لا تُعذّبني فإني ... مقرٌ بالذي قد كانَ مني

فكم من زلةٍ لي مع خطايا ... غفرتَ وأنت ذو فضلٍ ومَنِّ

يظنُ الناسُ بي خيرًا وإني ... لشرُّ الناسِ إن لم تعفُ عني

ومالي حيلةٌ إلا رجائي ... وعفوك إن عفوت وحُسن ظني

قوله: (عين اليقين... إلخ): اليقين عند جماعة توالي العلم بالعلم حتىٰ لا يكاد يغفل عنه،

صاوي

قوله: (هو المسمى عندهم بالمعاينة): أي المراقبة. **قوله: (بعد أن حازت علم اليقين)**: أي وهو الذي كان متصفًا به قبل الدخول في المطمئنة.

بصيلة

....

بخيت

....

ثم حق اليقين، وهي مشاهدته تعالى قبل كل شيء من غير حلول ولا اتحاد، ولا اتصال ولا انفصال، كالمرآة ترى فيها وجهك من غير حلول الوجه فيها ولا اتحاد........................

سباعي

فهو أخص من العلم، وعند آخرين هو العلم. وهذه الألفاظ عبارات عن علوم جليَّة مع تفاوتها في القوَّة. على أن اليقين مقول على أفراده بالتشكيك. والثلاثة مذكورة في القرآن، قال تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] وقال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، فاليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريبٌ على مُطلق العُرْف، ولا يطلق في وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف، بخلاف العلم.

فإذا علمت ما تقرر من أن الثلاثة علوم جليَّة، تعلم أن علم اليقين هو اليقين، وكذا عين اليقين نفس اليقين، وكذا حق اليقين. فالثلاثة بمعنى واحد لغةً، والإضافة فيها بيانية. وأما في اصطلاح الصوفية فعلم اليقين ما كان بشرط البرهان، كما أشار له بقوله: «هو معرفته تعالى بالبرهان». وعين اليقين ما كان بحكم البيان والكشف والنوال، وحق اليقين ما كان بنفس العيان والمشاهدة، فعلم اليقين لأرباب القلوب الذين علموه بالبرهان، وعين اليقين لأصحاب العلوم الذين ثبتت علومهم وتوالت على قلوبهم حتى استغنوا عن البراهين، وحق اليقين لأصحاب المعارف الذين غلبت على قلوبهم فما شُغلوا عن ذكر ربهم، وهو حال الحقيقة، وهو الحالة التي يغلب فيها على القلب إدراك الحق.

صاوي

قوله: (وهي مشاهدته تعالى في كل شيء): أي وهو المسمى في اصطلاحهم بالمشاهدة، فتحصل أن المراقبة وتُسمى بالمعاينة هي أن يشهد الله قبل الأكوان، ثم يثبتها به لأنها آثاره، كما أشار له بعض العارفين بقوله:

هـــذه آثـــارنـــا تـــدل علينا   فـانـظـروا بعدنا إلى الآثـــار

وأن المشاهدة هي أن يرى الله في كل شيء، فلا تحجبه رؤية الله عنها، ولا يحجب بها عن الله،

بصيلة

....

بخيت

قوله: (وهي مشاهدته تعالى في كل شيء من غير حلول... إلخ): هذا إشارة إلى وحدة الوجود الذي هو مذهب الصوفية. وحاصله على الوجه الحق أن الموجود إنما يُطلق حقيقة على ما قام به

....

سباعي

....

صاوي

ويُقال لصاحبها من أهل الجمع والفرق، وهو أعلىٰ المقامات.

بصيلة

(أهل الجمع): أي الجمع علىٰ الله باستيلاء مراقبة الحق علىٰ الباطن والغيبة عمن سواه، فيفنىٰ العبد عن وجوده ويبقىٰ بربه، فلا يشغله استغراقه في شهوده عن الشعور بغيره، وينمحي منه أمل كل شئ يُرجىٰ، وخوف كل شئ يُتقىٰ، فليس له في سوىٰ الحق اختيار ولا مع غيره قرار. وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، ويُعبَّر عنه بوصل الوصل.

بخيت

الوجود في الذهن، إما بأن يكون ذلك الوجود عينه بأن يكون منتزعًا من ذاته كما ذهب إليه الحكماء في الواجب، والأشعري في الكل، أو غيره بأن يكون منتزعًا من وصف زائد علىٰ ذاته، كما ذهب إليه جمهور المتكلمين في الكل.

والمترقون من حضيض المجاز إلىٰ ذروة الحقيقة وهم المتصوفة شاهدوا بطريق البداهة لا بطريق النظر الغير الخالي عن الشكوك والشبهات أن ليس الموجود الحقيقي بهذا المعنىٰ إلا الله تعالىٰ، وإطلاق الموجود علىٰ الممكنات مجاز بعلاقة المظهرية، إذ ليس هناك وجودات متعددة يقوم بعضها بالواجب وبعضها بالممكنات، بل وجود واحد هو ذات الواجب تعالىٰ. وليس معنىٰ كون الممكنات موجودة أن يقوم بها الوجود، بل معناه انتسابها بنوع تعلق إلىٰ الوجود الحقيقي الذي هو ذات الواجب تعالىٰ.

وحصل ذلك التعلق عند تجليه تعالىٰ علىٰ الأعيان الثابتة التي هو الصور العلمية له تعالىٰ المتخالفة بالاستعداد بمقتضي الأسماء الإلهية المتقابلة، كالقابض والباسط والرحيم والقاهر.

وكيفية التجلي المذكور مجهولة لا يعلمها إلا هو، فتلك الأعيان اللازمة لذات الواجب تعالىٰ، المتخالفة بالاستعداد مظاهر تجلىٰ عليها الواجبُ، فظهر وجوده تعالىٰ فيها وصفاته فيها علىٰ حسب ما يقتضيه استعدادها، فصارت موجودات متخالفة لتخالف الاستعدادات، فالتكثر إنما ينشأ من

....

سباعي

....

صاوي

....

بصيلة

....

بخيت

تكثر الاستعدادات، كالمرايا المتعددة التي يتجلىٰ فيها شخص واحد، ويُرىٰ فيها بصور مختلفة معوجًا ومستقيمًا، طويلًا وعريضًا، صغيرًا وكبيرًا، علىٰ حسب ما يقتضيه استعدادات المرايا، مع عراء ذلك الشخص عن جميع هذه الأوصاف، فالوجود الحقيقي واحد، ومع ذلك منبسط علىٰ جميع الممكنات بالظهور فيها عند التجلي لا باختلاطها والحلول فيها، فما دام ذلك التعلق باقيًا يُطلق عليها اسم الموجود مجازًا بعلاقة المظهرية، وإذا انقطع التعلق المذكور لا يُطلق عليها اسم الموجود لا حقيقةً ولا مجازًا. وعلىٰ كل حال ليس فيها وجود قائم بها، فلا يُطلق عليها اسم الموجود حقيقة، فتكون معدومة أزلًا وأبدًا، ولذا قالوا: الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود.

والفرق بين هذا المذهب وبين مذهب السوفسطائية: أن السوفسطائية ينكرون الوجود الحقيقي والمجازي في الواجب وغيره، فافهم.

وهذا المذهب مذهب من وراء طور العقل، وهم صرحوا بذلك، وبأنه لا طريق إليه إلا الكشف الذي نسبته إلىٰ العقل كنسبة العقل إلىٰ الوهم، وقد أشار الإمام إلىٰ ذلك، حيث جعل العلم الظاهر كمكان وضيع لا يُرىٰ منه شيء بعيد عن أطوار العقل، بل لا يرىٰ من أواسط علم الباطن، وإنما يرىٰ من ذروته وأعلاه، فقد شبه حال العارفين بحال من يترقىٰ بأنواع تعب إلىٰ رأس جبل شامخ، ليرىٰ الشيء البعيد غاية البعد ويميزه كمال التمييز، ويسمىٰ علم الظاهر بالمجاز، فإن أهله يطلقون الموجود علىٰ الممكنات مع أن إطلاقه عليها مجاز بعلاقة المظهرية، وإن لم يعرفوا ذلك بخلاف أهل الباطن. هذا ما ذهب إليه أرباب الحقيقة.

وههنا مذهب آخر في حدود أطوار العقل مختار عند صاحب «المقاصد» وهو أن الوجود كثير

....

سباعي ____

....

صاوي ____

....

بصيلة ____

....

بخيت ____

كالموجود، إلا أن السالك إذا انتهى إلى بعض المراتب يضمحل عنده وجود الممكنات، بل وجود نفسه، فلا يشاهد غير ربه وإن كان موجودًا، والذي يظهر من كلام الشارح هو الأول، وإن احتمل الثاني، والله أعلم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لصالح الأعمال، حتى نذوق لذة الوصال ونشاهد جمال الذات، وكمال الصفات في جميع الحالات بجاه الواسطة العظمى، الرسول الأسمى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

قال المؤلف قدوة المحققين، وإمام المدققين، صاحب التقريرات المفيدة، والعبارات الرائقة الفائقة الوحيدة، إمام هذا العصر، وواحد هذا الدهر ولا فخر، الأستاذ الكامل، والحبر الفاضل، من عليه المعول في المعقول والمنقول، العالم القادر، الحبر البحر الفهامة:

قد كمل تبييضها في ثلاثة عشر يومًا خلت من شهر رمضان

سنة ١٢٩٦

نفع الله به المسلمين بجاه سيد المرسلين، آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وهذا مشهد ذوقي لا يدركه إلا أهله. وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة لأنها صارت طبعه، إما باللسان، وإما بالجنان، وإما بالأركان فحركاته حسنات، وأنفاسه عبادات، ولذا قال سيدي محمد وفا أبو سيدي علي وفا ﷺ:

وبعد الفنا بالله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

فهو محفوظ من الوقوع في المخالفات، لحضوره دائمًا مع الله في جميع الحالات.

سباعي

قوله: (وهذا مشهد ذوقي): الذوق: عبارة عمّا يوجد من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات. ثم إذا تمكن فيه يُقال له: الشرب. **قوله: (وبعد الفناء... إلخ)**: تقدم معنى الفناء، ويُقال أيضًا: هو عبارة عن سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاء هو قيام الأوصاف المحمودة به. وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين، فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الأوصاف المحمودة.

وقوله: (فعلمك لا جهل): أي لا يصحبه جهل ولا يخالطه شيء أصلًا. **وقوله: (وفعلك لا وزر)**: معناه أنه لا يفعل ما يوجِب الوزر، كما أشار له بقوله: «فهو محفوظ... إلخ». ومن وصل إلى هذا المقام صحَّ له أن يقول: هو أنا وأنا هو، ونحو ذلك. قاله المؤلف في رسالة «يا مولاي يا واحد» التي في حزب سيدي محمد وفا والد سيدي علي وفا نفعنا الله بهما في الدارين.

صاوي

قوله: (وبعد الفناء بالله... إلخ): أي بعد انقضاء الفناء وثبوت البقاء، سواء كان في المراقبة أو المشاهدة. **وقوله: (كن كيفما تشاء)**: ليس المقصود رفع التكليف عنه، وإنما المقصود بيان حفظه من الزلل، بدليل قوله:

فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

وهو بمعنى قول ابن الفارض:

فليصنع القوم ما شاؤوا لأنفسهم هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وقد وضحه الشارح بقوله: فهو محفوظ... إلخ.

بصيلة

....

واعلم أن الكاملين في الناس أقل الأقل، إذ السالكون إلى الله تعالى من المؤمنين قليلون، والواصلون منهم قليلون، والكاملون منهم قليلون، إذ السير إلى الله تعالى صعب جدًّا لا يقدر عليه إلا ذو همة علية وصدق كامل، إذ ترك المألوفات من الطعام والمنام وجمع المال وحب الجاه وسائر الشهوات لا يقدر عليه إلا القليل من الأبطال، والطريق فيها مفاوز ومهلكات، فالناجي فيها قليل، ولذا قيل:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال وبينهن حتوفُ

سباعي

قوله: (**قِلل الجبال**): بكسر القاف، هي الجبال الكِبار، والحُتوف هي المفاوز والمهالك، أراد به ما يعوقه عن مشاهدة الأنوار القدسية، والوصول إلى الحضرة العلية، من معاناة الشهوات وحب الغفلات، فشبهها بها واستعار اسم المشبه به للمشبه استعارة تصريحية، ويحتمل أنه شبَّه الهيئة المنتزعة

صاوي

قوله: (**واعلم أن الكاملين... إلخ**): ليس قصد الشارح بتلك العبارة التنفير من مجاهدة النفس، بل هي مأمور بها ممدوح عليها، سلك أو لم يسلك، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] الآية. وإنما المقصود زيادة التحريض على تلك المقامات السنية نظير قول ابن الفارض:

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

إلى أن قال:

نصحتك علمًا بالهوى والذي أرى مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

قوله: (**ولذا قيل**): أي قولًا صحيحًا لبعض العارفين. قوله: (**كيف الوصول... إلخ**): استفهام تعجبي استبعادي. و«سعاد» كناية عن الحضرة العلية، و«دونها» أي سعاد. وقوله: (**قلل الجبال**): جمع قلة، والمراد بها شواهق الجبال، وهو من إضافة الصفة للموصوف، والظرف خبر مقدم، وقلل مبتدأ مؤخر، والجملة حال من سعاد. وقوله: (**وبينهن حتوف**): الظرف خبر مقدم، وحتوف -بالحاء والتاء- مبتدأ مؤخر، جمع حتف بمعنى مهالك، لسعة المسافة، والجملة حال من

بصيلة

....

والرجل حافية ومالي مركب   واليد صِفْر والطريق مخوفُ

(وغلب) في حال اشتغالك بالذكر المذكور **(الخوف)** من الله تعالىٰ ما دمت في حالة الصحة **(على الرجاء)** في رحمته وعفوه، يريد أنه لابد للعبد من الخوف والرجاء معًا لأنهما كجناحي الطائر، متىٰ فُقد أحدهما سقط، إلا أنه في حال الصحة والسلامة ينبغي تغليب جانب الخوف علىٰ جانب

سباعي

من حاله وحب الغفلات له في السير إلىٰ الطريق بهيئة منتزعة من حال سائر في الطريق المحسوس، ومنعته الجبال الكبار والمفازات عن وصوله لمقصوده، وقطع الطريق علىٰ طريق التمثيل. والحفاء للرجل عدم النعال، استعارة للكَلَل والضعف، والمركب الدابة التي تُركَب، استعارة للعمل الصالح المقبول بجامع نيل المقصود بكل. **وقوله: (واليد صفر)**: أي عادمة ما ينفق، استعارة لعجزها عن تقديم ما ينجح به العبد يوم العرض. **قوله: (في رحمته)**: متعلق بالرجاء.

صاوي

جبال. **وقوله: (والرجل حافية)**: مبتدأ وخبر، وكذلك ما بعده. **وقوله (صِفْر)**: بكسر فسكون أي خلية من الدنيا التي يستعين بها علىٰ أجرة الركوب والزاد الموصل، وهو كناية عن عدم تأهله للقرب من حضرة الحق، لكونه نظر إلىٰ حوله وقوته، فرأىٰ الأمر مستبعدًا كبعد من كانت هذه أوصافه في وصوله إلىٰ محبوبته، وليس المقصود اليأس لنفسه ولا لغيره، وإنما المقصود الوصول إلىٰ الله تعالىٰ بالعجز والافتقار إليه لا بالحول ولا بالقوة. قال بعض العارفين في هذا المعنىٰ:

وكن عاجزًا عنها تكن قادرًا بها   فعدلك عنها منك نحو السوىٰ ظلم

ومن ذلك المعنىٰ قول السيد البكري:

أتيت إليك خليًا من   صومي وصلاتي مع حججي

قوله: (مادمت في حال الصحة... إلخ): هذا هو مذهب مالك. وعند الشافعي يجعلهما كجناحي الطائر مستويين صحة ومرضًا. واعلم أن الخوف والرجاء حالتان لابد لكل شخص منهما، ولا يخلو منهما أحد سلك الطريق أو لا، لكن قال العارفون: إن خوف السائر إلىٰ الله تعالىٰ يُسمَّىٰ قبضًا، ورجاءه يُسمَّىٰ بسطًا، والمتوسط يُسمَّىٰ أنسًا وهيبة، والكامل يُسمَّىٰ جلالًا وجمالًا.

بصيلة

....

الرجاء، لأنه كالسوط ينساق به إلى الاعتناء بالعبادة، وبه تزول الرعونات النفسية عن القلب إن شاء الله تعالى، فإذا نزل به المرض وأشرف على الموت فينبغي تغليب جانب الرجاء على الخوف، لأنه حال القدوم على الكريم، والخوف همٌّ وقلق لما هو آت، والحزن همٌّ لما فات. والرجاء: تعلق القلب بمرغوب يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب، فإن لم يأخذ في الأسباب فطمع، وهو مذموم شرعًا. (وسر) سيرًا حثيثًا (لمولاك) أي سيدك وخالقك (بلا تناء) أي بلا تباعد عن الطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى، بأن تعلق قلبك بغيره تعالى. وتقدم أن السير عبارة عن تعلق القلب بالله تعالى مع مخالفة النفس في شهواتها إيثارًا له تعالى على غيره.

وهذا هو الطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى، وهي طريق الشطار من أهل المحبة.........

سباعي

قوله: (حثيثًا): أي أكيدًا. **قوله: (بأن تعلق... إلخ)**: تصوير للنفي الذي هو النأي والبعد. **قوله: (إيثارًا... إلخ)**: حال من قوله: «تعلق» أي القلب حالة كون ذلك التعلق إيثارًا وتقديمًا له على غيره.

قوله: (من أهل المحبة): المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد حيث قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فالحق سبحانه يُوصف بأنه يحب العبد، والعبد يُوصف بأنه يحب الحق. والمحبة الواردة على لسان العلماء هي الإرادة، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فإن الإرادة من العبد لا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل، اللهم إلا أن تُحمَل على إرادة التقرب إليه تعالى والتعظيم له، فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام عليه، فالرحمة أخص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى أن يوصل إلى العبد الطائع الثواب والإنعام، تُسمى تلك الإرادة رحمةً، وإرادته ليخصه بالقرب والأحوال العليّة

صاوي

قوله: (والرجاء): أي بالمد، وأما بالقصر فمعناه الناحية، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة: ١٧] أي نواحيها. **قوله: (سيرًا حثيثًا)**: أي سريعًا شديدًا. والمعنى: أقبل على عبادة الله بكليتك ولا تضيع عمرك سبهللًا، فإنه ذخيرة لك، ففي الحديث: «واعمل لربك على قدر حاجتك إليه».

قوله: (بأن تعلق قلبك بغيره): تصوير للتباعد عن الطريق المستقيم.

بصيلة

(ففي الحديث... إلخ): وفي التنزيل ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥] الآية.

....

سباعي

تُسمىٰ محبة. وإرادته سبحانه صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تُسمَّىٰ غضبًا، وإذا تعلقت بعموم النِّعم تُسمَّىٰ رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تُسمَّىٰ محبة، فمحبة الله تعالىٰ للعبد إرادته أن يخصَّه بدرجة رفيعة. وقومٌ قالوا: محبة الله تعالىٰ للعبد مدحه وثناؤه عليه بجميل، فيعود معنىٰ محبته له علىٰ هذا القول إلىٰ كلامه تعالىٰ، وكلامه قديم.

وقال قوم: محبته للعبد من صفات فعله تعالىٰ، فهو إحسانٌ مخصوصٌ يلقىٰ الله العبد به، وحالة مخصوصة يرقيه إليها، كما قال بعضهم: إن رحمته بالعبد نعمة معه لا تفارقه. وهذا لا يخرجها عن كونها إرادة، إذ لا فعل بدونها. وقومٌ من السلف قالوا: محبة الله تعالىٰ للعبد من الصفات الخبرية. فأطلقوا هذا اللفظ، ووقفوا عن التفسير. فهذه أربعة أقوال ترجع إلىٰ قولين: الإرادة والكلام، لرجوع الفعل إلىٰ الإرادة، والخبرية إلىٰ الكلام. وأمَّا ما عدا هذه الجملة مما هو معقول من صفات محبة الخلق، كالميل إلىٰ الشيء، والاستئناس بالشيء والسكون إليه، وتعلُّق القلب به، وكحالة يجدها المحب بقلبه مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم سبحانه يتعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأما محبة العبد لله تعالىٰ، فحالة يجدها العبد من قلبه، لأنها تُطلق عن العبارة، وتحمله تلك الحالة علىٰ التعظيم له تعالىٰ، وإيثار رضاه، وقلَّة الصبر عنه، والاحتياج إليه، وعدم الفرار من دونه، أي من غير حضوره معه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه. وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة ميلًا إلىٰ جهة فيها المحبوب ولا إحاطة.

وعبارات الناس عن المحبة كثيرة. وقد تكلموا علىٰ أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الإنسان ونضارته: حبُبُ الإنسان، بضم الموحدة الثانية. وقيل: الحب مأخوذ من الحُباب -بالضم- وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد. فعلىٰ هذا المحبة غليان القلب، وثورانه عند العطش، والاهتياج إلىٰ لقاء المحبوب. والحِباب -بالكسر- المحبة والمودة. وقيل:

صاوي

....

بصيلة

....

....

سباعي

إنه مشتقٌ من حَباب الماء -بفتح الحاء- وهو أعظمه، فسُمِّي بذلك لأن المحبة غاية معظمها في القلب.

وقيل: اشتقاقه من الإحباب، بمعنى اللزوم والثبات. يُقال: أحب البعير، وهو أن يبرك فلا يقوم، فكان المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه. وقيل: الحب بمعنى المحبة مأخوذ من الحب، وهو القُرط -بضم القاف- وهو الحَلَق. ووجه المناسبة أن القرط لا ينفك عن الأذُن، فكذلك ذِكر المحبوب لا ينفك عن قلب المُحِّب. وقيل: هو مأخوذ من الحَب -بفتح الحاء- والحَب جمع حبَّة، وحبَّة القلب ما به قوامه، فسُمِّي الحب للشيء حبًّا باسم محله. وقيل: الحُبُ والحَب كالعُمر والعَمر في جواز الضم والفتح. وقيل: مأخوذ من الحِبة -بكسر الحاء- وهي نور الصحراء، فسُمي الحب حبًّا لأنه لباب الحياة، كما أن الحب -بالفتح- الذي هو جمع حِبة -بالكسر- لباب النبات.

وقيل: الحب في الأصل هو الخشبات الأربع التي تُوضع عليها الجرة، فسُميت المحبة حبًّا لأن المُحب يتحمل عن محبوبه كل عزٍّ وذُل. وقيل: من الحب، بمعنى الزير الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه، فلا يسع غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه. وأما أقاويل الشيوخ من الصوفية وغيرهم فيه، فقال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: إيثار المحبوب على جميع المصحوب للمحب. وقيل: هي موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل: هي محو المحب لصفاته وإثبات المحبوب بذاته. وقيل: هي مواطأة القلب لمودَّات الرب. وقيل: هي خوفك ترك الخدمة مع إقامة الخدمة. وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك. وقال سهل: الحب معانقة الطاعة للمحبوب ومباينة المخالفة. وسُئل الجنيد عن المحبة فقال: هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب. وقال أبو علي الروذباري: المحبة الموافقة للمحبوب. وقال أبو عبد الله القرشي: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء. وقال الشبلي: سُميت المحبة محبة، لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب. وقال ابن عطاء: المحبة قيام العِتاب على

صاوي

....

بصيلة

....

والشوق إلى بارئ النسيم، ومبناها على الموت بالإرادة لخبر «موتوا قبل أن تموتوا»، ولذا قال سيدي عمر بن الفارض:

ونفسي كانت قبل لوامة متى أطعها عصت أو أعص كانت مطيعتي

فحملتها ما الموت أيسر بعضه وأتعبتها كيما تكون مريحتي

فعادت ومهما حملته تحملتـ ـه مني وإن خففت عنها تأذت

وأصولها عشرة: ....

سباعي

الدوام. اهـ. من «الرسالة القشيرية» وفيها زيادة على ذلك.

قوله: (والشوق): عطفه على المحبة من عطف الخاص على العام، وهو اهتياج القلب إلى لقاء المحبوب. انظر «الرسالة». **قوله: (وأصولها)**: أي أصول الطريق.

صاوي

قوله: (إلى بارئ النسم): أي خالقها. والنسم جمع نسمة كشجرة وشجر، فهو اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء. **قوله: (على الموت بالإرادة)**: أي بالاختيار والقصد.

قوله: (متى أطعها): أي في شهواتها ولذاتها. **وقوله: (عصت)**: أي خالفت ربها. **وقوله: (أو أعصي)**: أي أخالفها وأقمع شهواتها. **وقوله: (كانت مطيعتي)**: أي موافقة لي على ما أريد منها من طاعة الله تعالى. **قوله: (ما الموت أيسر بعضه)**: أي من الجوع والسهر والصمت والعزلة والتغرب ولبس خشن الثياب ونحو ذلك من المشاق التي يكون بها تربية النفس. وأفعل التفضيل على معنى «من»، والمعنى: حملتها متاعبَ الموتُ أسهل من بعضها، فإنه كان يواصل الجوع أربعينًا أربعينًا، فاتفق أنه طلبت نفسه شهوة فزادها عشرًا، فصار أكله بعد كل خمسين. **وقوله: (وأتبعتها)**: أي بتلك الأمور. **وقوله: (كيما تكون مريحتي)**: أي بفناء شهواتها.

قوله: (فعادت): أي صارت مريحة لي. **وقوله: (ومهما حملته)**: أي المشاق التي الموت أيسر من بعضها. **وقوله (تحملت مني)**: أي أخذته بقبول وانشراح ورضا، لأنسها بالحق ورفضها الخلق.

قوله: (وأصولها عشرة): أي أصول طريق الشطار من أهل المحبة والشوق. وتقدم أن

بصيلة

....

الأول: التوبة من كل ذنب ولو صغيرة على التحقيق،.............................

سباعي

قوله: (الأول: التوبة): وهي أصل كل مقام ومفتاح كل حال، فمن لا توبةَ له لا مقام له. وهي **لغةً:** الرجوع عن شيءٍ إلى آخر، مِن تاب يتوب إذا رجع، يُستعمل فعلها بالمثناة فوق وبالمثلثة وبالنون وبالهمزة في أوله. فيقال: تاب وثاب وناب وأناب وآب إذا رجع. ويُسند إلى الله تعالى وإلى العبد. وشرعًا ما أشار له الشارح بقوله: أي الرجوع... إلخ. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] أي تفوزون بالمقصود، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

صاوي

المختص بهم ستة منها، والأربعة عامة.

قوله: (الأول التوبة): هي لغة: مطلق الرجوع. واصطلاحًا: الرجوع عما كان مذمومًا في الشرع إلى ما هو محمود فيه. ولها بداية ونهاية، فبدايتها التوبة من الكبائر، ثم الصغائر، ثم المكروهات، ثم خلاف الأولى، ثم من رؤية الحسنات، ثم من رؤية أنه صار معدودًا من فقراء الزمان، ثم من رؤية أنه صدق في التوبة، ثم من خاطر له في غير مرضاة الله عز وجل. وأما نهايتها، فكلما غفل عن شهود ربه طرفة عين، بدأ بالتوبة، لأنها أساس لكل مقام يرتقي إليه العبد حتى يموت، فكما أن من لا أرض له فلا بناء له، فكذلك من لا توبة له فلا حال له ولا مقام. ومن كلام العارفين: «من أحكم مقام توبته، حفظه الله تعالى من سائر الشوائب التي في الأعمال».

قوله: (ولو صغيرة): أي هذا إذا كان كبيرة، بل ولو صغيرة. وفي كلامه إشارة إلى أن الذنوب قسمان: صغائر وكبائر، وهو مذهب أهل السنة، ففيه رد على المرجئة القائلين أن الذنوب كلها صغائر، ولا يضر مع الإيمان ذنب، وعلى الخوارج حيث قالوا: إن كل ذنب كبيرة، ومرتكبها كافر. واعلم أن الكبائر لا تُحصر بعدد وإنما لها أمارات: منها إيجاب الحد، ومنها ألا يُعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصًّا، ومنها اللعن، كلعن السارق. وأكبرها الكفر بالله

بصيلة

(واعلم أن الكبائر لا تحصر بعدد): ولذلك لما سُئل ابن عباس عن الكبائر: أسبع هي؟ فقال: إلى السبعين. ويُروى إلى سبعمئة. والاقتصار على السبع في قوله عليه الصلاة والسلام: «اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق،

وإليه أشار بقوله: **(وجدد)** وجوبًا **(التوبة)** أي الرجوع إلى الله تعالى **(للأوزار)** أي من أجل ارتكابك الأوزار، جمع وزر، وهو المعصية. وأركانها: ثلاثة: الندم على ما وقع منه من المخالفات لمراعاة حق الله سبحانه وتعالى؛ والعزم على أن لا يعود لمثله. وهذان لا بد منهما في كل توبة؛ والثالث:

سباعي

ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «التائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له» وإذا أحبَّ الله عبدًا لم يضره ذنبٌ، بمعنى أنه إذا أحبه ألهمه التوبة من الذنب أو غفره له، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ١١٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من شيءٍ أحب إلى الله تعالى من شابٍّ تائب» فالتوبة أول منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين. **قوله: (من أجل ارتكابك الأوزار)**: أشار به إلى أن التوبة لا تكون إلا عن الذنب. **قوله: (الندم)**: سُئل عليه الصلاة والسلام عن علامة التوبة فقال:

صاوي

تعالى، ثم القتل العمد. وما خرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة، ولا تحصر أفرادها، وربما تُقلب الصغيرة كبيرة بأمور، منها الإصرار والتهاون والفرح والافتخار بها. **قوله: (في كل توبة)**: أي

بصيلة

وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» لكونها من أفحش الكبائر، مع كثرة وقوعها وتداولها. ثم من الكبائر الكفر، وهو أعظمها، وقتل العمد العدوان، والزنا، واللواط، وشرب الخمر ولو قل ولم يسكر لغير عذر شرعي، والسرقة، والغصب، والقذف، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، واليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والخيانة في الكيل أو الوزن أو الذرع، وترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها لغير عذر شرعي، وتعمد الكذب على الأنبياء، وسب من لم يُجمع على نبوته مثل الخضر، أو من لم يُجمع على كونه من الملائكة كهاروت وماروت، وكتمان الشهادة، والرشوة، والقيادة، والسعاية، وغير ذلك. وكل ما خرج عن حد الكبيرة الذي ذكره المحشي فهو صغيرة، ولا تنحصر أفرادها أيضًا. ومنها ما يُتوهم أنه كبيرة وليس بكبيرة، كقبلة أجنبية، ولعن معين ولو بهيمة، وكذب على غير الأنبياء بما لا حد فيه ولا إفساد بدن أو مال ولا ضرر، وهجر مسلم فوق ثلاثة أيام، وجلوس مع فساق، واحتكار مضر، وبيع ما علمه معيبًا كاتمًا عيبه، وخديعة. وإنما لم يتعرض الشارح لبيان شئ من النوعين لأن ذلك من وظيفة الفقهاء والمحدثين.

الإقلاع عن الذنب في الحال، وهذا إنما يتأتى في ذنب لم ينقض، فيجب الكف عن استتمام الزنا وشرب الخمر، وعن أذية أحد، ورد المظالم إلى أهلها واستسماح المظلوم إن أمكن، وإلا استغفر له وتصدق له بما يمكنه، فإن الله تعالى إذا علم صدق العبد أرضى الله عنه خصماءه.

سباعي

«الندامة». **قوله: (الإقلاع عن الذنب)**: الذنب هو ما عُصي الله به، أو ما يذم مرتكبه شرعًا. ويرادفه المعصية والخطيئة والسيئة والجريمة والمنهي عنه والمذموم شرعًا. والذنوب عند أهل السنة قسمان: صغيرة وكبيرة، خلافًا للمرجئة الذاهبين إلى أنها كلها صغائر، ولا تضر مرتكبها ما دام على الإسلام، والخوارج الذاهبين إلى أن كل ذنب كبيرة نظرًا إلى عظمة من عُصي به، وكل كبيرة كفر، ولمن ذهب إلى أنها كلها كبائر، ولا يَكفُر مرتكبها إلا بما هو كُفرٌ منها.

وليست الكبيرة منحصرة في عدد مذكور. وهي كما قال ابن الصلاح: كُلُّ ذنبٍ كَبُرَ أو عَظُمَ عِظَمًا يصحَّ معه أن يُطلق عليه اسم الكِبر، أو وُصف بكونه عظيمًا على الإطلاق. ولها أماراتٌ، منها إيجاب الحدِّ، ومنها الإيعادُ عليها بالعذاب بالنار ونحوها، لأن ذلك في الكتاب والسنة، ومنها وصف فاعلها بالفِسق نصًّا، ومنها اللعن كلعن الله السارق. وأكبرها الكفر بالله تعالى، ثم القتل العمد. اهـ. من صغير عبد السلام. قال والده نقلًا عن النووي: وما سوى هذين منها، كالزنا واللواط وعقوق الوالدين والسحر بناءً على أنه غير مكفِّر، والقذف والفرار من الزحف وأكل الرِّبا وغير ذلك من الكبائر، فلها تفاصيل وأحكام تُعرف بها مراتبها، وتختلف باختلاف الأحوال والمفاسد المترتبة عليها. وعلى هذا يُقال في كل واحدة منها: هي من أكبر الكبائر، وإن جاء في موضع أنها أكبر الكبائر كان المراد منه من أكبر الكبائر. اهـ. بحروفه.

وكل ما خرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة، ولا تنحصر أفرادها. وقد تنقلب الصغيرة كبيرة بالإصرار عليها والتهاون والفرح والافتخار بها، وصدورها من عالم فيُقتدَى به فيها، بمعنى أنها تُعطى حُكمها لا أنها تنقلب بذاتها، كما في ابن حجر على الأربعين النووية.

صاوي

من كل ذنب. **قوله: (في ذنب لم ينقض)**: أي بأن كان يمكن استمراره.

بصيلة

....

وتصح التوبة من ذنب دون آخر، بخلاف السير إلى الله تعالى فإنه إنما يصح بالتوبة عن الجميع. وتجب المبادرة بها، فتأخيرها ذنب آخر. وتوبة الكافر عن كفره بالإسلام مقبولة قطعًا، والمؤمن المذنب من ذنبه مقبولة ظنًّا. وقيل: قطعًا. ولا تنتقض التوبة بالرجوع إلى الذنب، ولو رجعت إليه في اليوم ألف مرة. ويجب تجديدها عند كل رجوع إليه.

(لا تيأسن من رحمة الغفار) أي الستار للذنوب، فإن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء. والولي هو الذي كلما وقع تاب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وهم الذين كلما أذنبوا تابوا، ومن أحبه الله تعالى قربه وأدناه، وليس شيء أشد على الشيطان من تجديد المؤمن للتوبة.

سباعي

قوله: (وتصح التوبة... إلخ): هذا هو التحقيق. ومقابله أنها لا تصح إلا إذا كانت عن الجميع. اهـ. مؤلفه.

قوله: (لا تيأسنْ): بسكون النون معطوف على قوله: «وجدد» وحذف العاطف لضرورة النظم. **قوله: (أي الستار للذنوب)**: هذا قول. وقال بعضهم: الغفران المحو من الصحف بالكليَّة. والله أعلم بحقيقة الحال.

صاوي

قوله: (مقبولة قطعًا): أي باتفاق الأشعري وإمام الحرمين والقاضي، لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. **قوله: (مقبولة ظنًّا)**: هو قول إمام الحرمين والقاضي. **وقوله (قطعًا)**: هو قول الأشعري. والفرق بين الكافر والعاصي أن الكافر مطرود عن رحمة الله بالكلية، والعاصي ليس بمطرود، بل غاية ما في العاصي تطهيره بالعذاب ثم يدخل الجنة، فالكافر يحتاج تأليف بقبول توبته، إذ لو لم تقبل توبته لا يدخل الجنة، بخلاف العاصي، فمآله للجنة، ولو بلغ في العصيان مهما بلغ.

قوله: (ولا تنتقض التوبة بالرجوع إلى الذنب): أي وإنما رجوعه له ذنب آخر.

قوله: (وليس شيء أشد على الشيطان... إلخ): أي لأنه بالتوبة يهدم جميع ما سوله لابن آدم.

بصيلة

....

واليأس -أي القنوط من رحمة الله تعالى- كبيرة أو كفر، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

الثاني: شكر المنعم جل وعز،..

سباعي

قوله: (شكر المنعم): الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعِم من حيثُ إنه منعم على الشاكر أو غيره. ويقال: هو الثناء على المنعم لإنعامه، ويكون بالقلب واللسان والأركان. وحقيقة الشكر عند أهل الحق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع. وعلى هذا القول يوصَف الحق سبحانه بأنه شكور توسعًا لا حقيقةً. ومعناه أنه يجازي العباد على الشكر، فسُمي جزاء الشكر شكرًا، كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠].

وقيل: شكره تعالى إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير، أخذًا من قولهم: دابةٌ شكورٌ، إذا أظهرت من السمن فوق ما تُعطاه من العَلف. قال الجوهري: الشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل. ويحتمل أن يُقال: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه له تعالى. ثم إن إحسان العبد لله طاعته لله سبحانه، وإحسان الحق سبحانه إنعامه على العبد. وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب تعالى.

والشكر بالنسبة إلى مقامات الصالحين ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شكر العالمين، وشكر العابدين، وشكر العارفين. فالأول باللسان، لأنه لا علم عندهم بالشكر إلا باللسان، فشكرهم إنما يكون بالنطق به، والثاني بفعل الطاعات، والثالث بالاستقامة في جميع الأحوال، لأن العارفين انتقلوا عن أفعال الجوارح إلى أحوال القلوب. وقد أشار الشارح إلى هذا التقسيم بقوله: «بأن يعتقد... إلخ». وقال أبو بكر الورَّاق: شكر النعمة مشاهدة هذه المِنَّة، وحفظ الحرمة -أي حرمة المِنَّة- وهذا سبب

صاوي

قوله: (كبيرة): أي إن استعظم ذنبه وأيس من غفرانه. وقوله: (أو كفر): أي إن اعتقد أن الله لا يغفر الذنوب عمومًا، وإنما كفر لمخالفته الكتاب والسنة.

بصيلة

....

وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من عقل وسمع وبصر ولسان وغيرها إلى ما خُلق لأجله، وإليه أشار بقوله: (وكن على آلائه) جمع أَلْيٍ، كظَبْيٍ، بمعنى النعمة، أي كن على نعمائه التي أنعمها عليك ظاهرية كانت كالسمع والبصر وسلامة الأعضاء، أو باطنية كالإيمان والعلم.

(شكورا) أي كثير الشكر، فهو يرجع إلى اعتقاد بالجنان، وخدمة بالأركان، ونطق باللسان، بأن يعتقد أن لا نعمة إلا منه تعالى وينطق بلسانه بأنه «لا إله إلا هو» وبغيره من الأذكار، ويعمل

سباعي

للشكر لا نفسه. وقال حمدون القصَّار: شكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيليًّا، بأن تضيف النعمة إلى فاعلها وتتبرأ من إضافتها إليك، وهذا يرجع إلى الاعتراف بالنعمة وإضافتها للمنعم.

وقال الجُنَيد: الشكر فيه علَّة، لأنه طالب لنفسه المزيد، فهو واقف مع الله سبحانه وتعالى على حفظ نفسه. وقال أيضًا: الشكر أن لا ترى نفسك أهلًا للنعمة. وقال أبو عثمان: الشكر معرفة العجز عن الشكر، وهذا نحو قول الصدِّيق ﷺ: «العجز عن درْك الإدراك إدراك». ويُقال: الشكر على الشكر أتم من الشكر المطلق، وذلك أن ترى الشكر بتوفيقه تعالى، ويكون ذلك التوفيق من أجل النِّعم عليك، فتشكره على الشكر، ثم تشكره على شكر الشكر، وهكذا. وقد أشار إلى ذلك بقوله: من النعم... إلخ. وما أحسن ما قاله محمود الورَّاق:

إذا كان شُكري نعمة الله نعمة ... عليَّ له في مثلها يجبُ الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتسع العمرُ

ومن أراد المزيد على ذلك فعليه بـ«الرسالة القشيرية». قوله: (وهو صرف العبد): يشير به إلى أن مراده بالشكر الشكر الاصطلاحي. قوله: (من عقل... إلخ): بيان لـ«ما». قوله: (بمعنى النعمة): ويُطلق أيضًا على العسل والحنظل، كما في قول بعضهم: طعم الآلاء -أي النعم- أحلى من الآلاء -أي العسل- عند الإعطاء، وأغض من الآلاء -أي الحنظل- عند المَن، أي تِعداد النِّعم. قوله: (بأن يعتقد... إلخ): تصوير للشكر، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «بأن تعتقد». وانظر ما نكتة الالتفات.

صاوي

قوله: (بأن يعتقد... إلخ): راجع للاعتقاد بالجنان. وقوله: (وينطق بلسانه): راجع لنطق

بصيلة

....

بجوارحه كل ما طُلب منه من المأمورات واجبةً كانت أو مندوبةً. ومن النعم التي يجب الشكر عليها التوفيق للتوبة، والشكر على الشكر، والشكر لا نهاية له، ولذا قال ﷺ: «سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، والشكر بهذا الاعتبار عزيز جدًّا لأنه طريق الصديقين، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

الثالث: الصبر على البلاء، وهو حبس النفس على ما أصابها مما لا يلائمها رضاءً بتقدير المالك المختار من غير انزعاج، وإليه أشار بقوله: (**وكن على بلائه**) من مرض وضيق عيش وفقد مال وعيال وأذية أحد، وغير ذلك. ومنه الأحكام التكليفية كالصلاة والصوم (**صبورا**) أي كثير الصبر، فإنه تعالى يحب عبده الصبور، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، والصبر وصف أولي العزم والهمم العلية. وقد ورد فيه وفي

سباعي

قوله: (الثالث الصبر): اعلم أن الصبر على أقسام: صبرٌ على ما هو كسب للعبد، وصبر على ما ليس بكسب له. **فالصبر على المكتسب له على قسمين**: صبر على ما أمر الله به من واجب ومندوب، وصبر عن ما نهى الله عنه من حرام ومكروه. وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد، فصبر على مقاساة ما يتصل به من حُكم الله تعالى عليه فيما عليه فيه مشقة من الآلام والأسقام في نفسه وولده وخادمه ونحوها. فإذا علمت ذلك تعلم أن الأقسام اثنان بالذات وثلاثة بالعرَض، ويؤخذ هذا التقسيم من الشارح بالتأمل.

صاوي

اللسان. وقوله: (**ويعمل بجوارحه**): راجع لخدمة الأركان، ففيه لف ونشر ملخبط.

قوله: (والشكر على الشكر): أي والتوفيق على الشكر، ومنه قول بعضهم:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة … عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله … وإن طالت الأيام واتصل العمر

قوله: (لأنه طريق الصديقين): أي الأنبياء وكبار الأولياء، ومنه حديث: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

قوله: (الصبر على البلاء): مثله الصبر على الطاعة وعن المعصية.

بصيلة

....

الشكر من الآيات والأحاديث الشريفة ما لو تُتبع لأدىٰ إلىٰ مزيد التطويل المخرج عن المقصود وبالجملة يندرج تحتهما كل الدين من المأمورات والمنهيات، فناهيك بهما مدحًا لمن اتصف بهما، فتأمل.

ثم علل طلب الصبر بقوله: (**فكل أمر**) أي وإنما طلب منك الصبر لأن كل ما برز في الكائنات فهو (**بالقضاء**) أي بسببه، وهو عند الأشاعرة: إرادة الله المتعلقة أزلًا بتخصيص الكائنات ببعض ما يجوز عليها، أي علىٰ طبق علمه..

سباعي

قوله: (**وبالجملة يندرج تحتهما... إلخ**): تقدم لك بعض ما في الشكر. وأما الصبر فقد قال الإمام عليٌّ ﷺ: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد». **قوله**: (**وإنما طلب**): أي علىٰ سبيل الوجوب، ولا يحتج بالقضاء مَن وقع في جريمة عمدًا قُضي عليه بموجبها شرعًا، ولا يكون قوله: «قدر الله تعالىٰ عليَّ» حجة وعذرًا يدفع عنه المؤاخذة بمقتضاها، بل هو نازل منزلة الإخبار بما لا يفيد. **قوله**: (**لأن كل ما برز... إلخ**): تعليل للحصر، وفيه إشارة إلىٰ أن الفاء تعليلية. **قوله**: (**في الكائنات**): جمع كائنة، وهي الموجودات.

قوله: (**بالقضاء**): الباء فيه سببية كما أشار له الشارح، و«أل» عوض عن المضاف إليه، والأصل بقضاء الله، وهو **لغةً**: الحكم. **وعُرفًا**: ما أشار له الشارح بقوله: «وهو عند الأشاعرة... إلخ». **ولا يُقال**: لو كان الرضا بالقضاء واجبًا لوجب الرضا بالكفر، واللازم باطل، لأن الرضا بالكفر كفر؛ **لأنا نقول**: الكفر مقضي لا قضاء، والرضا إنما يجب بالقضاء دون المقضي. وانظر تحقيق ذلك في كبير اللقاني. **قوله**: (**والقدر**): معطوف علىٰ القضاء، و«أل» فيه مثلها في القضاء.

صاوي

قوله: (**يندرج تحتهما كل الدين من المأمورات والمنهيات**): وبيان ذلك أن الصبر إما علىٰ الطاعة أو عن المعصية، أو علىٰ المصيبة. والشكر إما باللسان أو بالجنان أو بالأركان. ولاشك أنهما قد جمعا معالم الدين، وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات. **قوله**: (**وهو عند الأشاعرة... إلخ**): هذا قول من خاض في القدر، وبعضهم لم يخض فيه، مستدلين بقوله ﷺ: «إذا ذُكر القدر فأمسكوا» وبأنه سر ليس لمن عرفه أن يفشيه، ولذا لما سُئل عنه علي بن أبي طالب ﷺ قال: هو طريق مظلم لا سبيل

بصيلة

....

(و) بسبب (القدر) بفتح الدال، وهو عندهم إيجاد الله تعالىٰ الأمور علىٰ طبق إرادته. وقال الماتريدية: القضاء: علم الله المتعلق أزلًا بوجود الأشياء. والقدر: إيجاد الأمور علىٰ طبقه. وعلىٰ كلٍّ فالقضاء صفة ذات بقيد تعلقها، ....

سباعي

قوله: (بفتح الدال): وقد تسكن، وهو مصدر قدرت الشيء -بفتح الدال مخففة- إذا أحطت بمقداره. **قوله: (وهو عندهم)**: أي عند الأشاعرة. **قوله: (وقال الماتريدية... إلخ)**: قال اللقاني: والظاهر أنه اختلاف عبارة، فهما يرجعان إلىٰ قول بعضهم: المراد من القدر أن الله سبحانه وتعالىٰ علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يُوجد، فكل محدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بقواطع البراهين، وعليه كان السلف من الصحابة وخِيار التابعين قبل حدوث القَدَرية المخالفين. وعبارة النووي وهو أشعري العقيدة: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدَر، ومعناه أن الله سبحانه وتعالىٰ قدَّر الأشياء في القِدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده علىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع علىٰ حسب ما قدَّرها.

قوله: (على طِبق): أي حالة كون الإيجاد المذكور مطابقًا لما سبق به العلم. **قوله: (وعلى كلٍّ فالقضاء صفة ذات... إلخ)**: ولذلك عرَّفه علىٰ المذهب الأول بأنه إرادة الله المتعلقة أزلًا بتخصيص الكائنات. وعلىٰ الثاني بأنه علم الله... إلخ.

صاوي

إليه. فأُعيد السؤال فقال: البحر عميق لا نلجه. فأُعيد السؤال، فقال: سر الله قد خفي علينا فلا نفشيه. **قوله: (على طبق إرادته)**: أي ويلزم منه أنه علىٰ طبق العلم. **قوله: (إيجاد الأمور على طبقه)**: أي العلم، ويلزم منه أنه علىٰ طبق الإرادة. **قوله: (وعلى كل)**: أي من قول الأشاعرة والماتريدية.

قوله: (صفة ذات بقيد تعلقها): أي فهي إما الإرادة المتعلقة بالأشياء أزلًا، وهو قول الأشاعرة، أو العلم المتعلق بالأشياء أزلًا، وهو قول الماتريدية، فالقضاء قديم علىٰ كليهما.

بصيلة

(وهو قول الأشاعرة): جمع بعضهم بين المذهبين حيث قال: والظاهر أنه اختلاف عبارة بين الأشاعرة والماتريدية، فهما راجعان إلىٰ قول بعضهم: المراد من القدر أن الله تعالىٰ علم مقادير الأشياء وزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يُوجد، فكل محدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته. هذا هو المعلوم بقواطع البراهين، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين قبل

....

سباعي ________________________________

....

صاوي ________________________________

....

بصيلة ________________________________

حدوث القدرية المخالفين. وأول من تكلم في القدر معبد الجهني، وكان أولًا يجلس إلى الحسن البصري، ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكه. وقيل: معبد بن عبيد الله بن عويمر. قاله السمعاني.

تنبيه: لا يجوز الاحتجاج بالقدر، فلا يقول من فعل ذنبًا: قدره الله عليَّ قبل أن أُخلق. ولذا قالوا: نؤمن بالقدر ولا نحتج به. وقد وقع في محاجة آدم موسى أن آدم احتج بالقدر ولامه موسى عليه. **فإن قلت**: إن النبي ﷺ قال: «فحاج آدمُ موسى» برفع آدم، وهو يقتضي أنه يحتج بالقدر؛ **قلت**: وقوع المحاجة بينهما إنما كان بعد موت موسى وآدم، لأنها كانت في السماء، فلا يجوز ارتكاب مثله في دار التكليف، أي ومقضي. قال العلامة القرافي: اعلم أن كثيرًا من الناس يلتبس عليه الفرق بين القضاء والمقضي، فلا يفرق بين السخط في القضاء وعدم الرضا به، والسخط بالمقضي وعدم الرضا به، فالسخط بالقضاء حرام إجماعًا، والرضا به واجب إجماعًا، بخلاف المقضي. **والفرق بين القضاء والمقضي والقدر والمقدور**: أن الطبيب إذا وصف للعليل دواء مر أو قطع يده المتآكلة، فإن قال: بئس ترتيب الطبيب ومعالجته، وكان غير هذا يقوم مقامه مما هو أيسر منه، فهو سخط بقضاء الطبيب، فإنه جنى عليه بحيث لو سمعه الطبيب كره ذلك وشق عليه، وإن قال: هذا دواء مر قاسيتُ منه شدائد، وقطع اليد حصل لي منه ألم شديد، فهذا سخط بالمقضي الذي هو الدواء والقطع، لا القضاء الذي هو ترتيب الطبيب ومعالجته، فهذا ليس قدحًا في الطبيب ولا يلومه إذا سمع ذلك، بل يقول له: صدقت الأمر كذلك. فعلى هذا إذا ابتُلي الإنسان بمرض فتألم من المرض بمقتضى طبعه، فهذا ليس عدم رضا بالقضاء، بل عدم رضا بالمقضي، وإن قال: أي شئ عملته حتى أصابني مثل هذا؟! وما ذنبي؟! وما كنت أستاهل! فهذا عدم رضا بالقضاء، فنحن مأمورون بالرضا بالقضاء، ولا نتعرض لجهة ربنا إلا بالإجلال والتعظيم، ولا نعترض عليه في ملكه. وأما أنه أمرنا بأن تطيب لنا البلايا والرزايا ومؤلمات الحوادث، فليس كذلك، ولم ترد الشريعة بتكليف أحد بما ليس في طبعه، ولا يؤمر الأرمد

والقدر صفة فعل. ونظم ذلك العلامة الأجهوري بقوله:

إرادة الله مع التعلق ... في أزل قضاؤه فحقق
والقدر الإيجاد للأشيا على ... وجه معين أراده علا

سباعي

قوله: (والقدر صفة فعل): أي على كلٍّ، ولذا عرَّفه بأنه إيجاد الله على المذهبين. قوله: (ونظم ذلك): أي تعريفهما على الخِلاف. قوله: (والقدر الإيجاد... إلخ): «على» التي آخر الشطر الأول

صاوي

قوله: (والقدر صفة فعل): أي وهي حادثة عند الأشاعرة، قديمة عند الماتريدية، لأنها التكوين.

قوله: (ونظم ذلك): أي ما تقدم من تعريف القضاء والقدر على كلٍّ من المذهبين.

قوله: (أراده علا): أي تنزه، فـ«علا» فعل ماض، ففي البيت جناس تام.

بصيلة

مثلًا باستطياب الرمد المؤلم ولا غيره من المرض، بل ذم الله قومًا لا يتألمون، فلا يجدون للبأس وقعًا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]. فمن لم يستكن ويذل للمؤلمات ويظهر الجزع منها ويسأل ربه إقالة العثرة منها، فهو جبار عنيد بعيد من طرق الخير، فالمقضي والمقدور أثر القضاء والقدر، فالواجب الرضا بالقضاء فقط. أما الرضا بالمقضي فقد يكون واجبًا كالإيمان، والواجبات إذا قدرها الله ربنا للإنسان، وقد يكون مندوبًا من المندوبات، وحرامًا من المحرمات، ومباحًا من المباحات. وأما الرضا بالقضاء فواجب على الإطلاق من غير تفصيل، فمن قُضي عليه بالمعصية أو الكفر، فالواجب عليه أن يلاحظ جهة المعصية والكفر فيكرههما، وأما قدر الله فيهما، فالرضا به لازم، فإن سخط ذلك كان معصية أو كفرًا متضمنًا إلى معصية وكفره على حسب حاله في ذلك، فتأمل هذا الفرق فإنه حسن. اهـ. ذكره العلامة الأجهوري. إذا علمت ذلك تعلم أن قول بعضهم: «الرضا بالكفر كفر» لا يُسَلَّم، وقد أوضح السيد في «شرح المواقف» ذلك، فقال: إن للكفر نسبة إلى الله تعالى باعتبار إيجاده له، ونسبة أخرى إلى العبد باعتبار تحليته له واتصافه به، وإنكاره باعتبار النسبة الثانية دون الأولى، والرضا به إنما هو باعتبار النسبة الأولى دون الثانية.

والفرق بينهما ظاهر، لأنه ليس يلزم من وجوب الرضا بشيء باعتبار صدوره عن فاعله وجوب الرضا باعتبار وقوعه صفة لشئ آخر، إذ لو صح ذلك لوجب الرضا بموت الأنبياء، وإنه

وبعضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق في الأزل
والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

(وكل مقدور) أي أمر قد قدَّره الله تعالى، أي أبرزه إلى الوجود بما سبق في سابق علمه وقضائه، (فما عنه مفر) أي لا بد من وقوعه على طبق ما أراد وعلم ولا محيص عنه، فيجب إذًا الصبر والتسليم لما قدره العليم الحكيم، فإن لم يصبر وانقلب على وجهه، فقد خسر الدنيا والآخرة من غير تخفيف عنه ولا ناصر ينصره.

الرابع: الرضا، وهو الخروج عن رضا نفسه بالدخول في رضا ربه بالتسليم للأحكام الأزلية،

سباعي

حرف جر، والتي آخر البيت فعل ماضٍ، بمعنى ارتفع. قرَّره العلّامة الشيخ محمد عبادة ﷺ. والفرق فيه على المذهبين ما في حاشية شيخه العدوي على الشيخ عبد الباقي الصغير من أن الفرق أن القدر على الأول الإيجاد على وفق الإرادة، وعلى الثاني الإيجاد على وفق العلم. اهـ.

قوله: **(وبعضهم)**: أي الماتريدية. **قوله**: **(الأول)**: أي القضاء.

قوله: **(الرضا)**: مصدر رضيت. يقال: رضيت عنه وبه وعليه، وكلها بمعنًى، فهو مرضي، **وهو لغةً**: الموافقة والقبول. **واصطلاحًا**: ما أشار له الشارح بقوله: «وهو الخروج عن رضا نفسه... إلخ». ويُقال: ترك الاختيار. ويُقال: الوقوف الصادق حيثما وقف العبد لا يلتمس متقدمًا ولا متأخرًا، ولا يستزيد مزيدًا، ولا يستبدل حالًا. وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا: هل هو من الأحوال أو من المقامات؟ فأهل خراسان قالوا: الرضا من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل، ومعناه أنه مما يُتوصل إليه باكتسابه. وأما العراقيون فقالوا: الرضا من جملة الأحوال. وتكلم الناس في ذلك، فكلٌّ عبَّر بمقاله

صاوي

قوله: **(لما قدره)**: أي وقضاه. **قوله**: **(من غير تخفيف عنه ولا ناصر ينصره)**: فيه تلميح للمثل الذي ضربه الله تعالى لمن لم يصبر على أحكامه بقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

بصيلة

باطل إجماعًا. اهـ. من الجراحي بحذف بعض كلمات.

والتفويض للتدبيرات الأبدية، بلا إعراض ولا اعتراض. وإليه أشار بقوله مفرعًا على ما قبله، (فكن) أيها الطالب لرضا مولاه (له) تعالى (مسلِّما) في كل ما قدَّره وقضاه، أو أمر به من أحكام الدين أو نهى عنه، بأن ترضى بذلك من غير إعراض ولا اعتراض (كي) أي لأجل أن (تسلما) من آفات الدنيا والآخرة.

الخامس: اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهي إلى رسول الله ﷺ، ومن لم يصحب شيخًا يدله على الطريق إلى الله واستقل بما عنده من عبادة أو علم، فقد تعرض لإغراء الشيطان له، ولهذا قيل: «من لا شيخ له فالشيطان شيخه». وبالجملة من لم يسلك على يد شيخ عارف فلا يمكنه الترقي إلى منازل القرب ولو أتى بعبادة الثقلين.

وعلامته: السخاء، وحسن الخلق، والشفقة على خلق الله تعالى، وعدم انكبابه على جمع الدنيا،

سباعي

عن حاله. وله سبب وهو تفكُّر العبد في تفاصيل مِنَنِ الله تعالى عليه، وما خصه به من غير عمل منه؛ وثمرة وقد أشار إليها الشارح بقوله: «والتفويض... إلخ». **قوله: (بأن ترضى)**: تصوير للتسليم.

قوله: (الخامس: اتباع شيخ... إلخ): هذا شروع منه رضى الله عنَّا به في صفات المرشد وأخلاقه. وإذا علمت ما في المقامات السابقة عرفت ذلك منها، ولكن بما ذكره هنا تزداد علمًا بأحواله. ولقد أجاد في ذكر أوصافه، وأغنى عمَّا أطال به غيره. **قوله: (كذلك)**: أي عارف، وما قيل أن الصلاة على النبي ﷺ توصّل، قال السيِّد البدويُّ: إنما تُوصِّل إلى مقام النفس المطمئنة. اهـ. مؤلفه. **قوله: (منازل القرب)**: أول منزلة في القرب من الله القرب من طاعته، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته. وأما البعد فهو التدنس بمخالفته والتجافي عن طاعته. **قوله: (وعلامته)**: أي المرشد.

صاوي

قوله: (في كل ما قدره وقضاه): أي من خير وشر. **قوله: (من غير إعراض)**: أي عما أمر به ونهى عنه. وقوله: **(ولا اعتراض)**: أي على ما قدره وقضاه، ففيه لف ونشر مشوش.

قوله: (على يد شيخ كذلك): أي قد سلك طريق أهل الله. **قوله: (وعلامته السخاء)**: أي الجود والكرم بما عنده. وقوله: **(وحسن الخلق)**: أي بأن يرحم الصغير ويوقر الكبير.

بصيلة

....

وعدم الدعوى ولو بالتكلم بمصطلح القوم إلا لأمر اقتضى ذلك، وعدم الشكوى من ضيق الدنيا أو من إعراض الناس عنه، وأن يُرى عليه مخايل الذل والانكسار، وحب الخمول، وأن تظهر على أصحابه البركة والصلاح. وهذا مأخوذ من قولنا (**واتبع**) في سيرك (**سبيل**) أي طريق (**الناسكين**) جمع ناسك أي عابد (**العلما**) جمع عالم، وهو العارف بالأحكام الشرعية التي عليها مدار صحة الدين، اعتقادية كانت أو عملية. والمراد بهم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، وسبيلهم منحصر في اعتقاد وعلم وعمل على طبق العلم. وافترق من جاء بعدهم من أئمة الأمة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق: فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام الشرعية العلية، وهم الأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين، لكن لم يستقر من المذاهب المرضية سوى مذاهب الأئمة الأربعة؛.........................

سباعي

قوله: (وأن يُرى عليه مخائِل الذل): بضم الياء التحتية، ومخايل الذل علاماته. **وقوله: (والانكسار)**: أي وأن يُرى عليه مخايل الانكسار.

صاوي

قوله: (إلا لأمر اقتضى ذلك): أي كتعليم أتباعه.

قوله: (وأن تظهر على أصحابه البركة والصلاح): أي لما قيل:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

قوله: (سوى مذاهب الأئمة الأربعة): أي وهم الإمام مالك، والشافعي، وأبو حنيفة، وأحمد

بصيلة

قول الشارح (والمراد بهم السلف الصالح): إنما أمر باتباعهم لأن كل مكلف مأمور بأن يتابع في عقائده وأقواله وأفعاله الفريق الصالح من السلف الصالح، بأن يقتدي به في طريقه وهديه، إذ الصالح كما قال صاحب «المطالع» وغيره: هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد. وقد قال ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»، وقال أيضًا: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ». وحيث أطلق السلف الصالح فالمراد بهم الصحابة. والسلف لغة: المتقدم مطلقًا.

تنبيه: يُطلق الصالح على النبي والولي، قال تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥ – ٨٦] وقال تعالى

....

سباعي

....

صاوي

بن حنبل ﷺ. **أما مالك** فهو ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث بن غيمان -بمعجمة فمثناة تحتية- ابن خُثَيل -بخاء معجمة مضمومة، فمثلثة مفتوحة تحتية - الأصبَحي -بفتح الباء- نسبة إلى ذي أصبَح، بطنٍ من حمير، وهو من العرب، عهده في قريش في بني تيم الله، فهو مولى عهد لا مولى عتاقة عند الجمهور، فهو من بيوت الملوك، لأن القاعدة عند العرب إذا جاؤوا في النسب بذي يكون من ذلك. حملت به أمه ثلاث سنين. وقيل: أكثر. وطول الحمل علامة على وفور عقل المولود. وُلد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الأشهر بذي المروة موضع من مساجد تبوك على ثمانية برد من المدينة، ولا ينافيه قول عياض إنه مدني الدار والمولد والمنشأ، لأن ذا المروة من أعمال المدينة. وقيل: وُلد سنة تسعين. ومات سنة تسع وسبعين ومئة، ودُفن بالبقيع، وقبره مشهور. وكان أنس أبوه فقيهًا، وجده مالك كان من كبار التابعين أحد الأربعة الذين حملوا عثمان إلى قبره ليلًا وغسلوه ودفنوه. وجده أبو عامر صحابي حضر مع المصطفى مغازيه كلها إلا بدرًا. ومالك من أتباع التابعين على الصحيح. وقيل: من التابعين، لإدراكه عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وهي صحابية. والصحيح أنها تابعية. وأخذ العلم عن سبعمئة شيخ، منهم ثلاثمئة من التابعين. وعليه حُمل قوله ﷺ: «لا تنقضي الساعة حتى تُضرب أكباد الإبل من كل ناحية إلى عالم المدينة يطلبون علمه»، وفي رواية: «يوشك أن تُضرب أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة» فكانوا يزدحمون على بابه لطلب العلم، وأفتى الناس وعلَّمهم نحو سبعين سنة بالمدينة. ومكث خمسًا وعشرين سنة لم يشهد الجماعة، فقيل له: ما يمنعك من الخروج؟ فقال: إن من الأعذار أعذارًا لا تُذكر. وجلس للتدريس وهو ابن سبع عشرة سنة. وكان يقول: لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيعه، فإنه ذل وإهانة للعلم. وكان إذا أراد أن يجلس للعلم، توضأ وصلى ركعتين

بصيلة

في يحيى: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[النساء: ٦٩] إلا أنه في الأنبياء أكمل منه في الأولياء.

....

سباعي

....

صاوي

وسرح لحيته وتطيب وجلس على وقار وهيبة، ومنع الناس من رفع أصواتهم، وبخر المجلس بعود. وقال عبد الله بن المبارك: كنت عند الإمام مالك بن أنس وهو يحدث بحديث رسول الله ﷺ، فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يصفر ويتلوي ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك، فقال: إنما صبرت إجلالًا لحديثه ﷺ.

وكان مهابًا جدًّا، إذا أجاب في مسألة لا يمكن أن يُقال له: من أين؟ وكان يرى المصطفى كل ليلة في النوم. وكان يرخي الطيلسان على رأسه حتى لا يَرى ولا يُرى. وكان لا يدخل الخلاء إلا كل ثلاثة أيام مرة، ويقول: والله لقد استحيت من الله في كثرة ترددي للخلاء. وقال أشهب بن عبد العزيز: رأيت أبا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي أمه. وسُئل أبو حنيفة عن مالك، فقال: ما رأيت أعلم بسنة رسول الله منه.

وقال الليث بن سعد: لقيت مالكًا بالمدينة، فقلت له: ما لك تمسح العرق عن جبينك؟ فقال: عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري. ثم لقيت أبا حنيفة، فقلت له: ما أحسن قول مالك فيك! فقال له: والله ما رأيت أسرع بجواب صادق وزهد تام من مالك بن أنس.

وأما الشافعي فهو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف جد النبي ﷺ، وهو ابن عم المصطفى، نسبة لشافع لأنه أكرم أجداده، ولأنه صحابي ابن صحابي. وُلد الشافعي بغزة يوم وفاة أبي حنيفة، ونشأ يتيمًا في حجر أمه مع قلة عيش وضيق، ثم حُمل إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، والموطأ وهو ابن عشر، وأذن له شيخه وهو مسلم بن خالد بالإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة. وعليه حُمل حديث: «عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا» لأن الكثرة والانتشار في جميع الأقطار لم يحصلا في عالم قرشي مثله، قال الأئمة منهم أحمد: هذا العالم هو الشافعي.

بصيلة

....

....

سباعي

....

صاوي

وأما أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بني شيبان، فهو من العرب، وقيل: من الفرس. كُني ببنته، وقيل: بدواته. ذكر جماعة أنه أدرك نحو عشرين صحابيًّا، وسمع الحديث من تسعة منهم، وهم أنس بن مالك، وعمرو بن حريث، وعبد الله بن أنس، وعبد الله بن الحارث، وجابر بن عبد الله بن أبي أوفى، وواثلة بن الأسقع، ومعقل بن يسار، وأبو الطفيل عامر، وعائشة بنت عجرة.

وأما أحمد بن حنبل فهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل [بن] هلال بن أسد المروزي الشيباني. يجتمع مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان البغدادي، قدمت به أمه من مرو، وهي حاملة به، فولدته ببغداد، وهو تلميذ الشافعي، قال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من الإمام أحمد بن حنبل. وكان يحيي الليل كله من وقت كونه غلامًا، وله في كل يوم وليلة ختم.

وفضل هؤلاء الأئمة أشهر من الشمس في رابعة النهار. ونظم بعضهم تاريخ ولادة الأربعة ووفاتهم مدة عمرهم بقوله:

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ... ومالك في قطع جوف ضبطا

والشافعي صين ببر ند ... وأحمد بسبق أمر جعد

فاحسب على ترتيب نظم الشعر ... ميلادهم فموتهم كالعمر

فولادة أبي حنيفة سنة ثمانين، وجمله: «يكن» ووفاته سنة مئة وخمسين، وجمله: «سيف» وعمره سبعون، وجمله: «سطا». **وولادة مالك** سنة تسعين، وجمله: «في» ووفاته سنة مئة وتسعة وسبعين، وجمله: «قطع» وعمره تسعة وثمانون، وجمله: «جوف». **وولادة الشافعي** سنة مئة وخمسين يوم وفاة أبي حنيفة، وجمله: «صين» ووفاته سنة مئتين وأربع، وجمله: «ببر» وعمره أربع وخمسون، وجمله:

بصيلة

....

وفرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السلف وهم الأشعري والماتريدي، ومن تبعهما؛ وفرقة نصبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب إليه الفرقتان المتقدمتان، وهم الإمام أبو القاسم الجنيد ومن تبعه.

سباعي

....

صاوي

«ند». **وولادة أحمد** سنة أربع وستين ومئة، وجمله: «بسبق» ووفاته سنة إحدى وأربعين ومئتين، وجمله: «أمر» وعمره سبع وسبعون، وجمله: «جعد» رضي الله عنهم وعنا بهم أجمعين.

قوله: (أبو القاسم): هي كنيته، واسمه الجنيد بن محمد، سيد الطائفة الصوفية وإمامهم. نشأ ووُلد بالعراق. وكان فقيهًا على مذهب أبي ثور. صحب خاله السري السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب. مات سنة سبع وتسعين ومئتين، فهو من أهل القرن الثالث.

ومن كلامه: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات. ومن كلامه أيضًا: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ. ومن كلامه أيضًا: إن بدت ذرة من عين الكرم والجود، ألحقت المسيء بالمحسن، وبقيت أعمالهم فضلًا لهم. ومن كلامه أيضًا: من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة، وهو ذكر الله بالقلب وما طُويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم لله، واعتماد الخوف، وإجلال أوامره ونواهيه. ومن كلامه أيضًا: احفظوا ساعاتكم، فإنها زائلة غير راجعة، وصلوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة، ولا يشغلكم عن الله قليل الدنيا، فإن قليلها يشغل عن كثير الآخرة.

وكان من أوراده أربعمئة ركعة كل يوم، وكان صائم الدهر لا يفطر إلا إذا دخل عليه إخوانه، فيأكل معهم وهو ساكت، ويقول: ليست المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم.

ودخل عليه إبليس في صورة نقيب، فقال: أريد أن أخدمك بلا أجرة. فقال له: افعل. فأقام يخدمه عشر سنين، فلم يجد قلبه غافلًا عن ربه لحظة واحدة، فطلب الانصراف وقال له: أنا إبليس. فقال له: عرفتك من أول ما دخلت، وإنما استخدمتك عقوبة لك، فإنه لا ثواب لأعمالك في الآخرة.

بصيلة

....

فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الأمة المحمدية، ومن عداهم من جميع الفرق على ضلال، وإن كان البعض منهم يُحكم له بالإسلام، فالناجي من كان في عقيدته على طبق ما بينه أهل السنة، وقلَّد في الأحكام العملية إمامًا من الأئمة الأربعة المرضية، ثم تمام النعمة والنجاة في سلوك مسلك الجنيد وأتباعه بعد أن أحكم دينه على طبق ما بينه الفريقان المتقدمان، وممن سلك مسلكه القطب الرباني الإمام سيدي أحمد بن الرفاعي وأتباعه،.........................

سباعي

....

صاوي

فقال: ما رأيت قوتك يا جنيد! فقال: اذهب يا ملعون، أتريد أن تدخل عليَّ الإعجاب بنفسي؟! ثم خرج خاسئًا. وفضله كالشمس في رابعة النهار، ألحقنا الله بنسبه وحققنا بحسبه.

قوله: (سيدي أحمد بن الرفاعي): قال المناوي في «الكواكب الدرية في مناقب الصوفية»: هو أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة، الزاهد الكبير، أحد الأولياء المشاهير، أبو العباس الرفاعي المغربي. [كان] صوفيًا عظيمًا نبيلًا. قدم أبوه من العراق، وسكن أم عبيدة بأرض البطائح، ووُلد بها سنة خمسمئة، ونشأ بها وتفقه على مذهب الشافعي وتصوف، وجاهد نفسه حتى انتهت إليه الرياسة في علوم القوم، وكشف مشكلاتها، واجتمع به خلق كثير وأحسنوا فيه الاعتقاد. قال ابن خلكان وغيره: وهم الطائفة الرفاعية، ويُقال لهم الأحمدية والبطايحية. ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية، والنزول إلى التنانير وهي تضرم نارًا، والدخول في الأفرنة، وينام أحدهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر، ويُوقد لهم النار العظيمة، ويُقام السماع فيرقصون عليها إلى أن تنطفئ.

وكان ﵁ كثيرًا ما يتجلى الحق عليه بالعظمة، فيذوب حتى يصير بقعة ماء، ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئًا فشيئًا، حتى يُرد إلى بدنه المعتاد ويقول لجماعته: لو لا لطف الله ما عدت إليكم.

ومن كراماته: أن رجلين تحابا في الله، اسم أحدهما معالي، والآخر عبد المنعم، فخرجا يومًا للصحراء، فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء، فسقط منها ورقة بيضاء، فلم ير فيها كتاب، فأتيا الشيخ ولم يخبراه بالقصة، فنظر إليهما ثم خر ساجدًا وقال: الحمد لله الذي أرأني عتق

بصيلة

....

والقطب الرباني الإمام سيدي عبد القادر الجيلاني وأتباعه، ....

سباعي

....

صاوي

أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة، فقيل له: هذه بيضاء. فقال: أي أولادي، يد القدرة لا تكتب سوداء، وهذه مكتوبة بالنور. ولما حج وقف تجاه الحجرة الشريفة النبوية وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر حتى قبلها والناس ينظرون إليها. وأخبر بوقت موته وصفته فكان كما قال. وأراد شراء بستان، فأبى صاحبه أن لا يبيعه إلا بقصر في الجنة، فارتعد وتغير واصفر، ثم قال: قد اشتريت منك بذلك. قال: اكتب لي خطك. فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعي ضامنًا على كرم الله له قصرًا في الجنة يحف به، حدود الأول لجنة عدن، الثاني لجنة المأوى، الثالث لجنة الخلد، الرابع لجنة الفردوس، بجميع حوره وولداه، وفرشه وأشربته، وأنهاره وأشجاره عوضًا عن بستانه في الدنيا، والله شاهد على ذلك وكفيل. فلما مات إسماعيل دُفنت معه الورقة، فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]. مات ﷺ ببلده سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ولم يعقب، وإنما المشيخة لابن أخيه.

قوله: (سيدي عبد القادر الجيلاني): قال المناوي في الكتاب المذكور: هو ابن موسى بن يحيى الجيلاني الحنبلي. كان في الفقه إمامًا، وفي التصوف لا يُسامى. وُلد ببغداد سنة سبعين وأربعمئة، ونشأ بها حتى شب، فسلك طريق القوم، فجد واجتهد وكابد الأهوال، حتى كان يلف على رأسه خرقة ويلبس جبة ويمشي حافيًا، ويتقوت بقمامة البقل وورق الخس، ويجاهد نفسه بأنواع الشدائد. وأتاه الخضر مرة وهو لا يعرفه، فقال: اقعد هنا حتى آتيك. فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين. ومكث سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام.

واحتلم في ليلة في بدايته في الشتاء أربعين مرة يغتسل لكل مرة، ولم يزل على ذلك الحال حتى

بصيلة

....

والقطب الرباني السيد أحمد البدوي وأتباعه،..

سباعي

....

صاوي

طرقه الحال، فهام في البراري والجبال إلى أن اتصف بالجمال.

ومن كراماته: أنه كان حين رضاعه لا يرضع في رمضان، فكان الناس إذا شكوا في الهلال رجعوا إليه، وكان الذباب لا يصيبه وراثة من جده المصطفى ﷺ، وأقام أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء. وكان يفتي على مذهب الشافعي وأحمد معًا، فيتعجب علماء العراق من حسن أجوبته.

ورأى مرة نورًا ملأ الأفق ونُودي منه: أنا ربك، وقد أبحت لك المحرمات. فقال: اخسأ يا لعين. فانقلب النور دخانًا وظلامًا. فقال: نجوت مني بفقهك، وقد أضللت بهذا سبعين صديقًا. فسُئل: بم عرفت أنه الشيطان؟ قال: بقوله: أبحت لك المحرمات. وسقطت عليه وهو يدرِّس حية ففر من حضر، فدخلت في ذيله وخرجت من طوقه والتفت على عنقه، فلم يقطع كلامه ولم يتغير، ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يُفهم وانصرفت. فسئل: فقال: قالت: اختبرت عدة من الأولياء فلم أجد كثباتك. فقلت: ما أنت إلا دويبة يحركك القضاء والقدر.

وكلامه ومناقبه أُفردا بالتأليف. مات سنة نيف وستين وخمسمئة ببغداد، رضي الله عنه وعنا به.

قوله: (السيد أحمد البدوي): قال المناوي فيه أيضًا: هو ابن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر البدوي، الشريف الحسيب، أصله من بني بري قبيلة من عربان الشام، ثم سكن والده المغرب. ولد ﷺ بفاس سنة ست وتسعين وخمسمئة، ونشأ بها وحفظ القرآن، وقرأ شيئًا من فقه الشافعي، وحج أبوه به وبإخوته سنة تسع وستمئة، وأقاموا بمكة، ومات بها أبوه سنة سبع وعشرين وستمئة، ودُفن بالمعلا. وعُرف بالبدوي للزومه اللثام، ولبس لثامين فلم يفارقهما، ولم يتزوج قط. واشتُهر بالعطاب لكثرة عطبه من يؤذيه. ثم لزم الصمت، فكان لا يتكلم إلا بإشارة، وتوله، ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق إلى الأبد.

بصيلة

....

....

سباعي

....

صاوي

وكان عظيم الفتوة. قال المتبولي: قال لي رسول الله ﷺ: ما في أولياء مصر بعد محمد بن إدريس أكبر فتوة منه، ثم نفيسة، ثم شرف الدين الكردي، ثم المنوفي. انتهىٰ.

وكان يمكث أربعين يومًا لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وأكثر أوقاته شاخص ببصره نحو السماء وعيناه كالجمرتين، ثم يسمع هاتفًا يقول ثلاثًا: قم واطلب مطلع الشمس، فإذا وصلته، فاطلب مغربها، وسر إلىٰ طندتا، فيها مقامك أيها الفتىٰ. فسار إلىٰ العراق، فتلقاه العارفان الكيلاني والرفاعي، فقالا: يا أحمد، مفاتيح العراق والهند واليمن والمشرق والمغرب بأيدينا، فاختر أيها شئت. فقال: لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح. ثم رحل إلىٰ مصر، فتلقاه الظاهر بيبرس بعسكره، وأكرمه وعظمه، فدخلها سنة أربع وثلاثين وستمئة، فأقام بطندتا علىٰ سطح دار لا يفارقه ليلًا ولا نهارًا اثنتي عشرة سنة. وإذا عرض له الحال صاح صياحًا عظيمًا. وتبعه جمع، منهم عبد العال وعبد المجيد.

ولما دخل طندتا كان بها جمع من الأولياء، فمنهم من خرج منها هيبة له كالشيخ حسن الإخناني، فسكن أم خنان حتىٰ مات، وضريحه بها ظاهر يُزار، ومنهم من مكث كالشيخ سالم المغربي، وسالمَ الشيخَ البدوي، فأقره علىٰ حاله حتىٰ مات بطندتا، وقبره بها مشهور. ومنهم من أنكر عليه كصاحب الإيوان العظيم بطندتا المسمَّىٰ بوجه القمر، كان وليًّا كبيرًا فثار به الحسد فسلبه، ومحله الآن بطندتا مأوىٰ الكلاب، وليس فيه رائحة صلاح ولا مدد.

وكان ﷺ إذا لبس ثوبًا أو عمامة لا يخلعها لا لغسل ولا غيره حتىٰ تُبلىٰ فتُبدل. وإذا أمر أحدًا من أصحابه بالإقامة في مكان لا يمكنه مخالفته. وكان يعرف من هو من أولاده بالكشف ولا يقبل إلا من علمه منهم. وكان لا يكشف اللثام عن وجهه، فقال له عبد المجيد: أرني وجهك. قال: كل نظرة برجل. قال: أرينه. فكشف، فمات حالًا. وله كرامات شهيرة جدًّا، منها قصة المرأة التي أسر

بصيلة

....

والقطب الرباني السيد إبراهيم الدسوقي وأتباعه،........................

سباعي

....

صاوي

ولدها الإفرنج فلاذت به، فأحضره في قيوده. ومر به رجل يحمل قربة لبن، فأشار بأصبعه إليها فانقدت، فخرج منها حية انتفخت.

وأنكر عليه ابن اللبان، فسُلب القرآن والعلم، فصار يستغيث بالأولياء حتىٰ أغاثه ياقوت العرش، فشفع له، فرد ذلك عليه. وأنكر عليه الشيخ خليفة الإبياري وحط علىٰ من يحضر مولده، فابتُلي بحية قرصت فمه ولسانه فمات. واجتمع به ابن دقيق العيد فقال له: إنك لا تصلي، ما هذه سنن الصالحين. فقال له: اسكت وإلا طيرت دقيقك. ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعة جدًّا، فضاق ذرعه حتىٰ كاد يهلك، فرأىٰ الخضر فقال: لا بأس عليك، إن مثل البدوي لا يُعترض عليه، اذهب إلىٰ هذه القبة وقف ببابها، فإنه سيأتيك العصر ليصلي بالناس، فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك. ففعل، فدفعه فإذا هو ببابه. وكراماته أشهر من أن تُذكر. مات سنة خمس وستين وستمئة رضي الله عنه وعنا به.

قوله: (السيد إبراهيم الدسوقي): قال المناوي فيه أيضًا: هو قرشي هاشمي شافعي، أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات، وخرق لهم العادات. انتهت إليه رئاسة الكلام علىٰ خواطر الأنام. وكان يتكلم بجميع اللغات من عجمي وسرياني وغيرهما، ويعرف لغات الوحش والطير. وذُكر عنه أنه صام في المهد، وأنه رأىٰ اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين، وأنه فك طلسم السبع المثاني، وأن قدمه لم تسع الدنيا، وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلىٰ السعادة، وأن الدنيا جُعلت في يده كخاتم، وأنه جاوز سدرة المنتهىٰ، وجالت نفسه في الملكوت ووقف بين يدي الله.

وله كرامات شهيرة، منها أن تمساحًا خطف صبيًّا، فأتته أمه مذعورة، فأرسل نقيبه ونادىٰ بشاطئ البحر: معاشر التماسيح، من ابتلع صبيًّا فليطلع. فطلع ومشىٰ معه إلىٰ الشيخ، فأمره أن يطرحه، فطرحه حيًّا، وقال للتمساح: مت بإذن الله. فمات.

بصيلة

....

والقطب الرباني السيد أبو الحسن الشاذلي وأتباعه، ....

سباعي

....

صاوي

وله كلام في الحقائق نثر ونظم، ذكره في كتاب مجلد ضخم سماه «الجوهرة» من جملته قصيدته التائية، وهي طويلة منها قوله:

سقاني محبوبي بكأس المحبة ... فتهت على العشاق سكرًا بخلوتي

ولاح لنا نور الجلالة لو أضا ... لصم الجبال الراسيات لدكت

ونـادمـنـي سرا بـسر وحكمة ... وإن رسول الله شيخي وقدوتي

وعاهدني عهدا حفظت لعهده ... وعشت وثيقًا صادقًا بمحبة

وحكمني في سائر الأرض كلها ... وفي الجن والأشباح رب البرية

وفي أرض صين الصين والأرض كلها ... إلى أقصى بلاد الله صحت ولايتي

أنا الحرف لا أقرأ لكل مناظر ... وكل الورى عن أمر ربي رعيتي

وكم عالم قد جاءنا وهو منكر ... فصار بفضل الله من أهل خرقتي

وما قلت هذا القول فخرًا وإنما ... أتى الإذن كي لا تجهلون طريقتي

تجلى لي المحبوب في كل وجهة ... فشاهدته في كل معنى وصورة

مات سنة ست وسبعين وستمئة رضي الله عنه وعنا به.

قوله: (السيد علي أبو الحسن الشاذلي): قال ابن عباد في «المفاخر العلية في المآثر الشاذلية»: هو ابن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن أبي بطال علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عمر بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية أبي محمد الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وُلد بقرية غمارة من قرى أفريقية، قريبة من سبتة، وهي من المغرب الأقصى في نحو ثلاث وتسعين وخمسمئة من الهجرة،

بصيلة

....

....

سباعي

....

صاوي

فلُقب بالشاذلي، لأنه قال له شيخه سيدي عبد السلام بن مشيش: يا علي، ارتحل إلى إفريقية واسكن بها بلدًا تُسمى شاذلة، فإن الله يسميك الشاذلي، وبعد ذلك تنتقل إلى تونس ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القطبانية.

قال: ولما دخلت مدينة تونس وأنا شاب صغير، وُجدت فيها مجاعة شديدة، ووجدت الناس يموتون في الأسواق، فقلت في نفسي: لو كان عندي ما اشتري به خبزًا لهؤلاء الجياع لفعلت، فأُلقي في سري: خذ ما في جيبك. فحركت جيبي فإذا فيه دراهم، فأتيت إلى خباز بباب المنارة، فقلت له: عد خبزك، فعده علي، فتناولته الناس فتناهبوه، ثم أخرجت الدراهم فناولتها الخباز، فقال: أنتم معاشر المغاربة تستعملون الكيمياء. قال: فأعطيته برنسي وكرزي من على رأسي رهنًا في ثمن الخبز، وتوجهت إلى جهة الباب، وإذا برجل واقف عند الباب، فقال لي: يا علي أين الدراهم؟ فأعطيتها له، فهزها في يده وردها إلي وقال: ادفعها إلى الخباز فإنها طيبة، فرجعت إلى الخباز ودفعتها له، فقال: نعم، هذه طيبة. وأعطاني برنسي وكرزي، ثم طلبت الرجل فلم أجده، فبقيت حائرًا في نفسي إلى أن دخلت الجامع في يوم الجمعة، وجلست عند المقصورة في الركن الشرقي، فركعت تحية المسجد وسلمت، وإذا بالرجل على يميني، فسلمت عليه فتبسم وقال لي: يا علي، أنت تقول: لو كان عندي ما أُطعم به هؤلاء الجياع لفعلت، تتكرم على الله الكريم في خلقه؟! ولو شاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم منك. قلت له: يا سيدي، بالله من أنت؟ قال: أحمد الخضر، كنت بالصين وقيل لي: أدرك وليي عليًّا بتونس، فأتيت مبادرًا إليك، فلما صلينا الجمعة نظرت إليه فلم أجده.

ومن مناقبه أنه كان إذا ركب تمشي أكابر الفقراء وأكابر الدنيا حوله وتُنشر الأعلام على رأسه، وتُضرب الكاسات بين يديه، ويأمر النقيب أن ينادي أمامه: من أراد القطب فعليه بالشاذلي. وقال: أعطيتُ سجلًا مد البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقًا لهم من النار.

بصيلة

....

....

سباعي

....

صاوي

وقال: لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد إلى يوم القيامة. وقال: قلتُ: يا رب، لم سميتني بالشاذلي، ولست بشاذلي؟ فقيل له: يا عليُّ، ما سميتك بالشاذلي، إنما أنت الشاذُّلي -بتشديد الذال المعجمة- يعني المنفرد لخدمتي ومحبتي.

ومن كراماته أنه لما أتى من المغرب وكتبوا للسلطان في شأنه مكاتيب شنيعة، فخرج من الإسكندرية وذهب إلى السلطان واعتقده، فأرسلوا له ثانيًا أنه كيماوي، فزال اعتقاده فيه ثانيًا، واتفق أن خازن داره فعل أمرًا يوجب القتل، فخاف من السلطان وهرب إلى الشيخ بالإسكندرية، فحماه منه فأرسل السلطان يغلظ عليه ويقول: تتلف مماليكي. فقال: نحن ممن يصلح، ما نحن ممن يفسد. ثم أخرج المملوك من الخلوة وقال: بُل على هذا الحجر. فبال عليه، فانقلب الحجر ذهبًا، وكان نحو خمسة قناطير، فقال الشيخ: خذوا هذا للسلطان يضعه في بيت المال. فلما وصل إليه رجع عما كان فيه من الاعتقاد الفاسد، ثم نزل لزيارته، وطلب من الشيخ المملوك ليبول له على ما يشاء من الحجارة، فقال الشيخ: الأصل في ذلك الإذن من الله تعالى. ولم يزل السلطان على اعتقاده، وعرض عليه الأموال والأرزاق، فأبى، وقال: الذي يبول خادمه على الحجر فيصير ذهبًا بإذن الله تعالى لا يحتاج لأحد من الخلق.

ومنها: أنه تكلم مرة في الزهد، وكان في المجلس فقير عليه أثواب رثة، وكان على الشيخ أثواب حسان، فقال الفقير في نفسه: كيف يتكلم الشيخ في الزهد وعليه هذه الكسوة؟! أنا الزاهد في الدنيا. فالتفت إليه الشيخ وقال: ثيابك هذه ثياب الرغبة في الدنيا، لأنها تنادي عليك بلسان الفقر، وثيابنا تنادي بلسان الغنى والتعفف. فقام الفقير على رؤوس الناس وقال: أنا والله متكلم بهذا في سري، وأستغفر الله وأتوب إليه. فكساه الشيخ كسوة جيدةً، ودله على أستاذ يُقال له: ابن الدهان، وقال له: عطَّف الله عليك قلوب الأخيار، وبارك لك فيما أتاك، وختم لك بخير.

بصيلة

....

والقطب الرباني سيدي محمد الخلوتي وأتباعه،........................

سباعي

....

صاوي

ومناقبه وكراماته أُفردت بالتأليف. تُوفي في شوال عام ست وخمسين وستمئة، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة، ودُفن بحميثرة ببرية عيذاب في واد علىٰ طريق الصعيد، رضي الله عنه وعنا به.

قوله: (سيدي محمد الخلوتي): قال المناوي في «الكواكب الدرية في مناقب الصوفية»: هو ابن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي. وُلد سنة ست وتسعين وثمانمئة، ونشأ في كنف الله حتىٰ شب وترعرع، فصار يميل إلىٰ الخير ويحضر مجالس الذكر ويُنشد فيها كلام القوم، ورُزق حسن الصوت وطيب النغمة. أخذ عن الشيخ دمرادش، فأحبه وقربه وشغله بالطريق، وأخلاه مرارًا، وظهرت نجابته، وجد واجتهد واشتُهر، وتلقىٰ عنه علم الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل، فأتقن ذلك. ولما دنت وفاة الشيخ أجاز جماعته، واستخلف الشيخ حسن، ولم يتعرض له مع نجابته، فلزم الأدب وسكت، فلما احتضر الشيخ قال لولده سيدي محمد: قصرنا في شأن الشيخ كريم الدين مع استحقاقه، وأشهدكم أني أجزته، فاكتبوا له وأعطوه جبتي. فكتب له ولد الشيخ من الإجازة صدرًا، فمات الشيخ، فأكملها بعده، لكنه أعطىٰ الجبة لغيره، فأخذها ولبسها، فقُتل، فدُفعت للموصىٰ له بها، فكان ذلك علامة تقدمه، فاجتمع عليه خلق كثيرون، وانتهت إليه الرياسة في طريق الخلوتية، وعلا قدره وظهر أمره.

ولما كثرت جماعته تحول إلىٰ زاوية بالقرب من قنطرة سنقر علىٰ الخليج. وكان هينًا لينًا متواضعًا للزائرين، مهابًا علىٰ السالكين. أخلىٰ مرة رجلًا فقال: يا سيدي، أدركت كل ما يُدرك بالقوىٰ الحساسة بذاتي، حتىٰ كأني عين الاسم الذي اشتغل به من جميع جهاتي. فزجره زجرة مزعجة ارتعدت منها جوارحه، فزال ذلك منه.

وكان هو والعارف الشعراني في عصر واحد يُقصدان للزيارة والتسليك، فلما مات الشعراني، انفرد الخلوتي بالوجاهة، وأقبل عليه الخاص والعام. ولم يزل الشيخ مقيمًا علىٰ الإرشاد وأمره دائمًا في

بصيلة

....

والقطب الرباني سيدي عبد الله النقشبندي وأتباعه، فهؤلاء كلهم سادات الأمة المحمدية رضي الله عنهم وعنا بهم آمين. فالشيخ الذي يدل على الله تعالى يجب أن يكون قد سلك على طريقة شيخ من مشايخ الطريق، وتعب وجاهد نفسه حتى تهذبت وزالت عنه الرعونات البشرية، وإلا فيجب اجتنابه فإن كثيرًا من الناس من قلّد إمامًا من الأئمة الأربعة ﷺ، ولكنه في عقائده زاغ عن اعتقادهم، فلم يعتقد معتقد أهل السنة، وهم فرق شتى قد ضلوا في عقائدهم، كالقدرية وغيرهم.

ومن الناس من لم يرض بتقليد إمام من الأئمة الأربعة، ولا باعتقاد أهل السنة وهم أضل ممن قبلهم. ومن الناس من يزعم أنه سالك طريق أهل الله تعالى فيتزيا بزيهم، ويتكلم بما يُوهم الناس أنه منهم، والحال أنه بطال يملأ بطنه من الطعام، سواء كان حلالًا أو حرامًا، وليله من المنام، ......

سباعي

قوله: (وإلا فيجب اجتنابه): أي وإلا بأن لا يكون قد سلك... إلخ، فيجب اجتنابه.

صاوي

ازدياد، بحيث إنه إذا خرج من الشارع يكثر الزحام على تقبيل يديه ورجليه الكرام، وما برح كذلك حتى وافاه الحمام في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وتسعمئة عن نحو تسعين سنة، وأُغلقت البلد لمشهده، وحُمل نعشه على الأصابع من زاويته إلى الجامع الأزهر، وصُلِّي عليه فيه. واختلف جماعة في دفنه، فقال بعضهم: يُدفن مع شيخه دمرداش. وقال آخرون: المصلحة دفنه في زاويته لتصير مقصودة بالزيارة. واستقر الأمر على ذلك فدُفن بها، وأسف الناس عليه جدًا. ومناقبه وكراماته أشهر من أن تُذكر رضي الله عنه وعنا به.

قوله: (كالقدرية): هم فرقتان: **الأولى** تنكر تعلق علم الله بالأشياء قبل وجودها وتقول: إنما يعلمها حال وقوعها. وهذه الفرقة انقرضت قبل ظهور الإمام الشافعي. **وقدرية ثانية تقول**: الله يعلم الأشياء قبل وجودها، غير أن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم استقلالًا بسبب إقدار الله لهم. والأولى كفار، والثانية فساق. **قوله: (وغيرهم)**: أي كالفلاسفة والسُّمَّنية والمجسمة وباقي الفرق الاثنين وسبعين. **قوله: (فيتزيا بزيهم)**: أي من لبس الخشن من اللباس ونحوه.

بصيلة

(وباقي الفرق الاثنين وسبعين): فيه أنها ثلاث وسبعون فرقة، كلها في النار إلا واحدة. «قيل:

ويثب على الدنيا وثوب الأسد على الفريسة، وربما جعل نفسه شيخًا، وله أتباع يصطادون له بشَرَك مشيخته قاذورات الحطام الفاني، ويزعمون أنهم على شيء، أولئك هم الكاذبون، وقد أشار لهم العارف بالله سيدي عمر بن الفارض ﷺ بقوله:

رضوا بالأماني وابتُلُوا بحظوظهم وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتَلُّوا

سباعي

قوله: (ويثب): بفتح الياء التحتية. يُقال: وثب يثب، من باب تعب.

قوله: (الفريسة): فعيلة، بمعنى مفعولة، وهي ما يفترسه من الغنم مثلًا.

قوله: (قاذورات الحطام): إضافة قاذورات إلى الحطام بيانية، أي قاذورات هي الحطام الفاني.

قوله: (رضوا بالأماني): هي جمع أمنية، وهي الذي يتمناه الإنسان ويطلبه. وقد يتعلل الإنسان بالأماني ويشتغل فِكره عن تحصيل المطالب والمعاني بترتيب المقاصد والأماني.

قوله: (وابتلوا بحظوظهم): أي صارت حظوظهم من الدنيا بلاء عليهم. والحظوظ جمع حظ، وهو النصيب من الخير أو مطلق النصيب.

قوله: (دعوى): اعلم أن الدعوى شاعت فيما بين القوم في ادعاء الأمر المكذوب الذي لا أصل له، وهي هنا بهذا المعنى، لأن المراد وصف قوم ادَّعوا المحبة من غير دليل، ورضوا من الوصال بالخيال، وخاضوا بحار الخَبال، فالأماني تُخيِّل لهم الوصول وهم في الانقطاع، ودعواهم تقرر لهم الأمن وهم في الارتياع، وتراهم في السرى وما فارقوا المكان، ويخيلون أنهم ظعنوا مع بعدهم عن الإظعان. والعجب أنهم تعبوا وما ساروا، وشكوا طول الطريق وهم في الحيرة قد داروا.

صاوي

قوله: (ويثب على الدنيا): أي يسرع وينكب على تحصيلها. قوله: (رضوا بالأماني): الضمير راجع للقوم المصرح بهم في قوله:

تعرض قوم للغرام وأعرضوا بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا

والمراد بالأماني: ما تمنوه لأنفسهم ووقفوا عنده، وهو التعرض للمشيخة من أجل تحصيل الدنيا.

بصيلة

ومن هم؟ قال: الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي».

فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم وما ظعنوا في السير عنه وقد كَلُّوا

بل تأخروا ورجعوا القهقرى لأنهم تَبِعوا هوى أنفسهم، والشيطان يقودهم إلى كل ما يحبه منهم، كما قال:

وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ ـهدى حسدًا من عند أنفسهم ضلوا

حتى صار من أخلاقهم أن من تصدق عليهم بصدقة أو أكرمهم بكرامة، اتخذوا ذلك عادةً وطالبوا بها من فعل معهم الإحسان حتى يضيقوا عليه المسالك، ويقولون: أعطنا عادتنا وإلا نشوش عليك. فيوهمون الناس أنهم أرباب أحوال، وأن الله تعالى يصدقهم في المقال، كلا ما هذه طريقة الفقراء أهل الله، إنما طريقتهم التواضع والانكسار، وحب الخمول، والعفة والزهد، والورع والإيثار والتوكل. وأما هؤلاء فهم أشرار الناس، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويدَّعون المراتب العلية وهم في الدركات السفلية، وقد كثروا في هذا الزمان حتى ملؤوا طباق الأرض في كل قطر ومكان، نعوذ بالله منهم.

سباعي

قوله: **(فهم في السرى)**: أي هم دائمًا في السرى، ولكن ليل نفوسهم أضلهم عن الطريق وأبعدهم عن شهادة الرفيق، فتراهم مُجِدِّين وهم يرجعون إلى وراء، كأنهم حائرون في الشُّبَه، لا ينفعهم النصح ولا التنبيه، فكلما ساروا شبرًا رجعوا في السرى ميلًا، وحيثما تقدَّموا طالبين رفيقًا فقد فقدوا دليلًا، فقد وصلوا إلى مرتبة التعب والكلال، وهم في الحيرة والضلال.

قوله: **(وعن مذهبي)**: متعلق بقوله: «ضلوا»، أي وضلوا عن مذهبي لما استحبوا العمى على الهدى، حسدًا من عند أنفسهم، أي لمجرد الحسد الصادر من أنفسهم من غير دليل ولا بيان، ولا

صاوي

قوله: **(وقد كلوا)**: أي تعبوا ولم يحصلوا شيئًا.

قوله: **(وعن مذهبي)**: متعلق بقوله: «ضلوا». وقوله **(لما استحبوا)**: أي حين أحبوا الفاني وآثروه على الباقي، وهو العمى. وقوله **(على الهدى)**: أي بدله. وقوله: **(حسدًا)**: مفعول لأجله، أي أحبوا الحظوظ المعجلة بدل الهدى من أجل حسدهم لأهل الطريق على أحوالهم ومراتبهم، فهم تزيوا بزيهم صورة ولم يعملوا مثل عملهم.

بصيلة

....

قال أستاذنا السيد البكري في «ألفية التصوف»:

وقد نما في ذا الزمان شرهم حتىٰ سما في الناس جِدًّا ضرهم
ولم يكن لهم هنا من يردع من أجل ذا الدين الحنيفي ودَّعُوا

ولما نظر أهل الله إلىٰ كثرتهم وكثرة فسادهم واختلال عقائدهم، غلَّقوا أبواب زوايا الإرشاد، وفوَّضوا الأمر إلىٰ رب العباد، واختفوا في الناس، فلم يعرفهم إلا من خصه الله بالأنوار الإلهية والسعادة السرمدية. فعلىٰ من تشوقت نفسه إلىٰ سلوك طريق التجريد حتىٰ يستغرق في بحار التوحيد ملازمة التقوىٰ، والالتجاء إلىٰ الله، والتوسل إليه برسوله عليه الصلاة والسلام في أن يجمعه علىٰ شيخ عارف يربيه، ويخرجه من الظلمات النفسية ويصفيه، ويسقيه من خمر المحبة ويصافيه، فإذا عُلم صدقُك أطلعك عليه، فإذا اجتمعت به فشد يدك عليه، وكن كالميت بين يديه، وقل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ثم خذ في الجد والابتهال، ....

سباعي

طريق ولا برهان، فلو تركوا حسدهم ورجعوا عن إضلال نفوسهم لاهتدوا إلىٰ المرام، ووصلوا إلىٰ المقصود بسلام. اهـ. من «شرح الديوان».

قوله: (وقد نما): أي زاد. **وقوله: (سما في الناس ضرهم)**: أي اشتهر عند الناس ضرهم. **قوله: (التجريد)**: التجريد هو إزالة السوىٰ والكون عن القلب. **قوله: (وملازمة التقوى)**: هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعلٍ أو تركٍ، وهو تقوىٰ العوام. وأما تقوىٰ الخواص فهي تنزيه القلب عمَّا يشغل عن الحق. **قوله: (فإذا علم... إلخ)**: نائب الفاعل ضمير عائد علىٰ الله تعالىٰ، أي فإذا علم الله صدق المريد أطلعه علىٰ الشيخ. **قوله: (فشد يدك عليه)**: أي بأن تلازمه مع التذلل والخضوع والصدق والوفاء والإخلاص في حبِّه واتباعه، والعمل بما يأمرك به بالرضا والتسليم من غير إعراض ولا اعتراض.

صاوي

قوله: (وقد نما): زاد وكثر. قوله: (حتى سما): أي علا وارتفع. قوله: (من يردع): أي يزجرهم ويردهم للصواب.

بصيلة

....

وجد بنفسك لا بالمال كما قال:

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوىٰ ... فإن قبلتها منك يا حبذا البذلُ
ومن لم يجد في حب نعمىٰ بنفسه ... ولو جاد بالدنيا إليه انتهىٰ البخلُ

السادس: الجوع اختيارًا، بأن لا يأكل أكثر من أكلة خفيفة في يومه وليلته من الحلال، وهو ما

سباعي

قوله: (فنافِس): فعل أمر من المنافسة، وهي المغالبة في طلب النفيس، أي اغلب غيرك يا أخا الهوىٰ، كما في نسخة من «شرح الديوان» وهو المتبادر من المقام، أي من بقيَّة المحبين ببذل نفسك النفيسة في محبتها. ولك أن تقول: البذل في قوله: «ببذل النفس» بمعنىٰ الابتذال، أي ابذل نفسك وإن كانت نفيسة، واطرحها في أرض الهَوان. والهاء في «فيها» للحبيبة، والمراد في محبتها، وأخا الهوىٰ منادىٰ مضاف، أي يا أخا الهوىٰ، والأخ هنا بمعنىٰ الصاحب.

قوله: (فإن قبلتها... إلخ): في الكلام فاء الجواب محذوفة، أي فياحبذا البذل. و«حب» فعل ماض، فاعله «ذا»، و«البذل» مبتدأ خبره ما قبله، والجملة جزاء الشرط. وقوله: «فإن قبلتها منك» يوجِب أن يكون البذل الثاني بمعنىٰ الإعطاء، والأول أيضًا كذلك علىٰ الأظهر. **قوله: (ومن لم يَجُد... إلخ)**: «مَن» فيه شرطية، و«يجُد» - بضم الجيم- من جاد يجود، أي أكرم وأعطىٰ. وفي «حب نعمَىٰ» و«بنفسه» متعلقان به، وجملة: «إليه انتهىٰ البخل» جواب الشرط علىٰ حذف فاء الجزاء، ومعنىٰ: «إليه انتهىٰ البخل» أي سلسلة البخل تنتهي إليه، فيكون معدن البخل، ويكون ما في الوجود من البخل في أي زمان كان متفرعًا عمَّا عنده من البخل؛ وذلك لأنهم قالوا: مَن عرف ما طلب هان عليه ما بذل. وما أعذب قول القائل:

تهـونُ علينا في المعالي نفُوسنا ... ومَنْ طلبَ الحَسناءِ لمْ يُغْلِه المَهْرُ

وجملة «ولو جاد بالدنيا» معترضة بين الشرط والجزاء، و«لو» وصليَّة فلا تحتاج إلىٰ جزاء. وفي البيتين شِبه الاشتقاق بين نافس والنفس، والجناس التام بين البذل والبذل، والطباق بين الجود والبخل.

قوله: (السادس الجوع): أي وترك الشهوات. واعلم أن الجوع من أكبر أركان المجاهدة،

صاوي

قوله: (الجوع اختيارًا): إنما طلب الجوع لأن به يحصل الذل، ويتحلل من الأجزاء الترابية

بصيلة

....

جُهل أصله. ولا يمكنه ذلك في ابتداء أمره إلا بكثرة الصوم، فإنه لجام السائرين. واعلم أن العمل ثمرة المأكول، فالأكل الحرام لا ينشأ عنه إلا أعمال خبيثة محرمة، والحلال الصرف لا ينشأ عنه إلا الأعمال الصالحة، والتشابه ينشأ عنه أعمال مختلطة لا تخلو عن الرياء والعجب والخواطر الردية.

السابع: العزلة عن الناس قاطبة إلا عن شيخه المربي له أو أخ صالح يعينه على الطاعة والهمة،

سباعي

فإن أركان بيت الولاية أربعة: الصمت، والجوع، والسهر، والعزلة. قال القشيري: وإنما آثر أرباب السلوك الجوع لأنهم لم يجدوا ينابيع الحكمة تحصل لهم إلا فيه، فكانوا يتدرجون في قلَّة الأكل بنقصهم من غدائهم وعَشائهم شيئًا فشيئًا إلى أن يبلغوا إلى تمرة كل يوم أو زبيبة. وكان أبو عثمان المغربي يأكل في كل سنة أو شهر أكله واحدة، وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول: لما خلق الله النفس قال لها: مَن أنا؟ فقالت له: من أنا؟ فأسكنها في حجرة الجوع أربعة آلاف سنة، فقالت له: أنت ربي. ذكره في شرح «ترجمان الأشواق»، وانظر «قواعد الصوفية» للشعراني إن شئت.

قوله: (**العزلة عن الناس**): أي فلا يجالسهم، بل يتباعد عن مجالسة أبناء الدنيا على أبواب

صاوي

والمائية بقدر ما يكون، فيصفو القلب، ولأن خواطر النفس لا تضعف إلا به. قال بعض العارفين: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع. وقال بعضهم: الشبع نار، والشهوة مثل الحطب يتولد منه الإحراق، ولا تنطفئ ناره حتى تحرق صاحبها. وقال بعضهم: من أراد أن يأكل في اليوم مرتين، فليبن له معلفًا، وفي الحديث: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه».

قوله: (**العزلة عن الناس قاطبة**): أي لما فيها من خيري الدنيا والآخرة، لما ورد: «أن رجلًا

بصيلة

(**ومفاتيح الآخرة الجوع**): اعلم أن الجوع من أكبر أركان المجاهدة، فإن أركان بيت الولاية أربعة: الصمت، والجوع، والسهر، والذلة. قال القشيري: وإنما آثر أرباب السلوك الجوع لأنهم لم يجدوا ينابيع الحكمة تحصل لهم إلا فيه، فكانوا يتدرجون في قلة الأكل بنقصهم من غدائهم وعشائهم شيئًا فشيئًا إلى أن يبلغوا إلى ثمرة كل يوم أو زبيبة. وكان أبو عثمان المغربي يأكل في كل سنة أو شهر أكلة واحدة، وكان الشيخ محيي الدين ابن العربي يقول: لما خلق الله النفس قال لها: من أنا؟ فقالت

وإلا لضرورة بيع أو شراء، إذ مخالطة الناس تكسب القلب ظلمة لو فُرض أنها تخلو عن ارتكاب المحرمات، فكيف ولا يخلو مجلس عنها من غيبة ونميمة وغيرهما، ولبعضهم:

لقاء الناس ليس يفيد شيئًا　　سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا　　لأخذ العلم أو إصلاح حال

سباعي

المساجد فضلًا عن أبواب الحوانيت، فإن صحبتهم للفقير سمٌّ مجرَّب، فهم ينتفعون بالفقير وهو ينقص بهم، قاله الشعراني في قواعده.

صاوي

قال: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: رجل يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال: ثم من؟ قال: رجل يعتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه».

وقال بعضهم: من أراد أن يسلم له دينه وأن يستريح بدنه ويقل غمه، فليعتزل الناس. وقال السكندري في حكمه: ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرةً. وفي الحديث: «ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية، ومن شاهق إلى شاهق، ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يزوغ».

بصيلة

له: من أنا؟ فأسكنها في حجرة الجوع أربعة آلاف سنة، فقالت له: أنت ربي. ذكره في شرح «ترجمان الأشواق». اهـ. سباعي.

(ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة... إلخ): ومن حق العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره، ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق. ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر. وقال الإمام الجنيد في شأن العزلة: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة. وقال رجل لذي النون المصري: متى تصح العزلة؟ فقال: إذا قويت على عزلة النفس. وقيل لابن المبارك: ما دواء القلب؟ قال: قلة الملاقاة. وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة، آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة، وبصره عيوب نفسه، فمن أُعطي ذلك فقد أُعطي خيري الدنيا والآخرة.

الثامن: الصمت إلا عن ذكر الله تعالى، فإن الكلام يُوجب التفرق، والمطلوب الجمعية........

سباعي

قوله: (الصمت): قال القشيري: اعلم أن السكوت في وقته من صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخِصال. والصمت من آداب الحضرة الإلهية. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. قال القشيري ﷺ: وإنما آثر أربابُ المجاهدة السكوت على الكلام لما علموا ما في الكلام من الآفات وحظ النفس وإظهار صفات المدح.

وكان بشرُ بن الحارث يقول: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم. ولا يُستعان على الصمت إلا بملازمة الخلوة، فإذا قوي في ذلك المقام وأحكمه فله مجالسة الناس. وإن لم يقدر على العزلة فليجالس القرين الصالح، ويتجنب الفاسقين. قال القشيري: بلغنا أن أبا بكر الصديق ﷺ أمسك في فيه حجرًا كذا وكذا سنةً. وقالوا: المحِّب إذا سكت هلَك، والعارف إذا سكت ملك. والله أعلم. **قوله: (التفرق)**: مأخوذ من تفرقته في الكائنات. و**(الجمعية)** مأخوذة من جمع الهمة على الحق. والمفرِّق والجامع في الحقيقة هو الله تعالى. ثم اعلم أن عندهم أمورًا أربعة: فرقان، وجمع، وجمع الجمع. **فالفرق الأول** أن يحتجب السالك بالخلق عن الحق، وهو حال المبتدىء من السالكين والعوام. **والفرق الثاني** هو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير انحجاب بإحداهما عن الأخرى. **والجمع** هو شهود الأشياء بالله، والتبري عن الحول والقوة إلا بالله تعالى. وجمع الجمع الاستهلاك بالكليَّة، والفناء عما سوى الله تعالى، وهو المرتبة الأحدية. فإذا علمت ذلك تعلم أن التفرُّق ما نُسب إليك، والجمعية ما سُلب عنك، وهي مراقبة الحق سبحانه في جميع الأحوال، وهي مقام الكُمَّل، هنيئًا للشاربين من هذا المقام.

صاوي

قوله: (الصمت): أي لما ورد: «من سره أن يسلم فليلزم الصمت». وإنما آثر القوم السكوت لما علموا في الكلام في الآفات وحظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز عن أشكاله بحسن النطق وغير ذلك من آفات الكلام.

بصيلة

....

وهذا على تقدير مخالطة الناس لضرورة، وهذه مأخوذة من قولنا (**وخلّص القلب من الأغيار**) أي مما سوى الله تعالى من مال وزوجة وولد وجاه وعلم وعمل، وغيرها من كل مشغل عن تعلق القلب بالرب.

(بالجِدِّ) بكسر الجيم، أي الاجتهاد، أي بسببه قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ

سباعي

قوله: (وخلص القلب من الأغيار): اعلم أن الإخلاص ممدوح ومطلوب. قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]. وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة: ٥]. وله سبب وثمرة. فسببه علم العبد باحتياجه إليه في العمل النافع له في دنياه وأخراه. وثمرته السلامة من العقاب والعتاب، ونيل علوّ الدرجات في الجنات، وهو كما قال القشيري ﷺ: إفراد الحق تعالى في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنُّع لمخلوق، أو اكتساب محمَدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى. ويُقال: هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. ويُقال: هو التوقي عن ملاحظة الأشخاص. وقد ورد خبر مسند أن النبي ﷺ أخبر عن جبريل عن الرب سبحانه وتعالى أنه قال: «الإخلاص سرٌّ من أسْراري أستودعه قلب من أحببتُ مِن عبادي» وذلك لا يحصل إلا ممن بعدت عنه الأغيار. انظر «الرسالة القشيرية». **قوله: (من مال... إلخ)**: بيان لـ«ما». وما أحسن قول العارف بالله تعالى سيدي مصطفى البكري نفعنا الله به:

وأتـيـتُ إليـك خـليًّا من	صوْمي وَصلاتي مع حججي
وكـذا علْمِي وكـذا عمَلي	وكـذاك دَليلي مع حُجَجِ
لا أملكُ شيئًا غير الدَّمـ	ـعِ مخافة أن يَغْشى وَهَج

قوله: (بالجد): متعلق بقوله: وخلص... إلخ.

صاوي

....

بصيلة

....

سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. والمجاهدة تكون بمخالفة النفس في هواها مع الخوف من الله تعالى بعد التوبة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] أي جنة الشهود في الدنيا، وجنة الخلود في العقبى، إلا أن شرط السير أن لا يكون خائفًا من عذاب الله، وإلا كان عبد سوء لا يعمل إلا إذا خاف العقاب، بل يخافه إجلالًا ومهابة، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن: ٤٦] ولم يقل عذاب ربه، فافهم.

التاسع: السهر، فلا ينام الثلث الأخير من الليل للتهجد والاستغفار وذكر الله تعالى.........

سباعي

قوله: (إلا أن شرط السير أن لا يكون خائفًا): أي أن لا يكون السائر خائفًا. **قوله: (بل يخافه إجلالًا ومهابة)**: وما ألطف قول القائل حيث قال:

أشتاقه فإذا بدا ... أطرقت من إجلاله
لا خيفة بل هيبة ... وصيانة لجماله
وأصد عنه تجلدا ... وأروم طيف خياله

قوله: (للتهجد): متعلق بالسهر، ولا يخفاك ما في السهر من تعب النفس والثواب المترتب عليه، وانظر لقول الجارية:

طوبى لمَن سَهِرَتْ بالليل عيناه ... وبات ذا قَلَقٍ مِن حبِّ مولاه
وناح يومًا على تفريطه وبكى ... خوفًا لما كسبَتْ من قبلُ كفَّاه

صاوي

قوله: (أن لا يكون خائفًا من عذاب الله): أي أن لا يقصر خوفه على العذاب، بل يجعل خوفه من جلال الله وهيبته. وصاحب هذا المقام لا ينقطع خوفه ولو تقطع إربًا إربًا في العبادة. وأما الخائف من العذاب فمداره على امتثال المأمورات واجتناب المنهيات. **قوله: (فافهم)**: إنما أمر بالفهم لدقة المقام وتغاير المشربين.

بصيلة

(بل يجعل خوفه من جلال الله): اعلم أن الخوف: فزع القلب من مكروه يناله أو محبوب يفوته. فمتعلقه يُوجد في المستقبل، وسببه تفكر العبد في المخلوقات، كتفكره في تقصيره وإهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه، وكتفكره فيما ذكره الله في كتابه من إهلاك من يخالفه. وقد يُعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهب والخيفة والخشية. وفي كلام الشيخ أبي علي الدقاق: الخوف ثلاث مراتب: الخوف،

وإليه أشار بقوله: (**والقيام في الأسحار**)، وخصه بالذكر وإن دخل فيها قبله لمزيد الاعتناء به، وقد مدحهم الله في غير آية، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]، وللذكر في ذلك الوقت تأثير أكثر منه في غيره.

سباعي

....

صاوي

قوله: (والقيام في الأسحار): أي لأنه نور المؤمن يوم القيامة يسعى بين يديه ومن خلفه، لما في الحديث: «يُحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة، فينادي منادٍ: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يأمر لسائر الناس بالحساب» وورد: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الآثام» وورد: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون» قال بعض العارفين: ينبغي لمن ثقل عليه قيام الليل وترادف عليه الكسل أن يفتش نفسه، فربما يكون ذلك من وقوعه في المعاصي الباطنة، كرياء وعجب وحقد وحسد وتكبر وحب محمدة ودنيا ونحو ذلك، فيبادر إلى التوبة من مثل ذلك، وإلى فعل المأمور المكفر للذنوب، فإن الذنوب إذا كُفِّرت عن العبد فقد طهرت ذاته، وما بقي لها مانع من الوقوف بين يدي ربها في تلك

بصيلة

والخشية، والهيبة، فالخوف من شرط الإيمان، أي فإيمان العبد يفيده الخوف، قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والخشية من شرط العلم، أي فعلم العبد يفيده الخشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والهيبة من شرط المعرفة، أي فمعرفة العبد تفيده الهيبة، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي لما كان العارفون مشغولين بربهم عمن سواه، حذرهم من نفسه ولم يذكر شيئًا من عقابه، فعُلم أن الخوف يُطلق على الثلاثة. وهو كما قال أبو حفص: سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه. وقيل: حركة القلب من جلال الرب. وقيل: هو إذا سكن في القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرد رغبة الدنيا عنه، وهو على قدر المعرفة. وحُكي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: سألت ربي عز وجل أن يفتح عليَّ بابًا من الخوف، ففتح فخفت على عقلي، فقلتُ: يارب، على قدر ما أطيق. فسكن ذلك. اهـ.

العاشر: التفكر في بديع صنع الله لإدراك دقائق الحكم، لتزداد علمًا وحياء، والذكرُ قيامًا وقعودًا واضطجاعًا على سبيل الدوام، وإليه أشار بقوله: (**والفكر والذكر على الدوام**).

واعلم أن الذكر أعظم أركان الطريق، لأن المقصود منها: تخليص القلب مما سوى الله تعالى، وهو أعظمها في ذلك، لأن كثرته توجب استيلاء المذكور على القلب حتى لا يكون فيه سواه، بل جميع الأركان تنشأ عنه، لأنه يُورث القلب نورًا ساطعًا به يزهد الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة، ولذا قالوا: «من أُعطي الذكر، فقد أُعطي منشور الولاية»، فالمداومة عليه دليل على ولاية المشتغل به، ولكونه أعظم الأركان وقع الحثُّ عليه في القرآن المجيد أكثر من غيره من الأركان، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، إلى غير ذلك.

سباعي

قوله: (**وحياء**): الحياء هو ما يمنعك عمَّا يضرك، ويُقال: تعظيم يمنع من الانبساط، ويُقال غير ذلك. **قوله**: (**والفكر**): معناه ما أشار له بقوله: التفكر في بديع صنع الله، أي التدبر فيه.

صاوي

المواكب الشريفة إلا عدم القسمة.

قوله: (**التي حبها رأس كل خطيئة**): أي لما ورد: «حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل». وقال بعضهم: العبادة مع محبة الدنيا شغل قلب وتعب، فهي وإن كثرت قليلة، وإنما هي كثيرة في وهم صاحبها، وهي صورة بلا روح، ولهذا ترى كثيرًا من أرباب الدنيا يصومون كثيرًا ويصلون كثيرًا ويحجون كثيرًا وليس لهم نور الزهاد ولا حلاوة العبادة.

قوله: (**فقد أُعطي منشور الولاية**): أي المرسوم من الله تعالى له، فمن وفِّق للذكر وأدامه فقد

بصيلة

....

والذكر نوعان: **الأول**: الذكر باللسان، وهو شأن أصحاب البدايات، فيجب عليهم موالاة الذكر باللسان مع تكلف الحضور بالقلب، حتىٰ يصير الحضور طبيعة له، ولا يترك الذكر لوجود الغفلة فيه، ولرُب ذكر مع غفلة يرفعه إلىٰ الذكر مع الحضور، ولرُب ذكر مع الحضور يرفعه إلىٰ الذكر مع الغيبة عما سوىٰ المذكور، فإذا غاب عما سوىٰ المذكور استغرق في عين بحر الوحدة، فيصير القلب حينئذ بيت الرب تعالىٰ، فينشأ عنه الذكر من غير قصد ولا تدبر، لامتزاجه بروحه وجسمه.

وأنواع الذكر اللساني كثيرة منها: التسبيح، والتكبير، وتلاوة القرآن، وغير ذلك. وأسرعها إجابة للمبتدئ: «لا إله إلا الله» مفردة عن «محمد رسول الله» علىٰ التحقيق فيما عدا الختم، فإذا أراد الختم ختم بها. وفي بعض الطرق الشاذلية أنه يذكرها علىٰ رأس كل مئة، هذا إذا ذكر وحده.

سباعي

قوله: (**مع تكلُّف الحضور**): أي بالحق، لأنه إذا غاب الخلق حضر بالحق، بمعنىٰ أنه يكون كأنه حاضر، وذلك لاستيلاء ذكر الحق علىٰ قلبه، فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه. فعلىٰ حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق، فإذا غاب عن الخلق بالكليَّة، كان الحضور بالحق علىٰ حسب الغيبة، فإذا قيل: فلانٌ حاضر، فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه غيرغافل عنه ولا ساهٍ، مستديم لذكره، ثم يكون مكاشَفًا -بفتح الشين- في حضوره علىٰ حسب رتبته.

صاوي

أُعطي المرسوم بأنه ولي الله تعالىٰ. ومن سُلب ذلك قد عُزل عن الولاية، ولله المثل الأعلىٰ، كمراسيم ملوك الدنيا بالوظائف.

قوله: (**ولا يترك الذكر لوجود الغفلة فيه... إلخ**): في كلامه إشارة لقول صاحب الحكم: «لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله تعالىٰ فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك مع وجود ذكره، وعسىٰ أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلىٰ ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلىٰ ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلىٰ ذكر مع وجود غيبة عما سوىٰ المذكور ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠]».

بصيلة

....

أما إذا ذكر مع جماعة فلا يذكرها إلا عند الختم مع إخوانه، ولهذا درج أرباب الطرق المحمدية على الاقتصار عليها، فإذا كمل السالك فالأفضل له أن يضم معها «محمد رسول الله». والأفضل حينئذ الاشتغال بتلاوة القرآن ليتخلق به، وتفاض عليه العلوم اللدنية من أسراره، فإن لم يكن يحفظ القرآن اشتغل بسماعه ممن يقرؤه وإن كان القارئ صاحب غفلة، ويكون الأمر على حد قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض ﷺ:

يا أخت سعد من حبيبي جئتني	برسالة أديتها بتلطف
فسمعت ما لم تسمعي ونظرت ما	لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي

سباعي

قوله: (من أسراره): الضمير للقرآن. **قوله: (يا أخت سعد... إلخ)**: لا يخفى عليك إعرابه. ومعناه أنه فهم من الرسالة مسموعًا ومنظورًا ومعروفًا لم تفهمه أخت سعد التي أدت رسالتها، لأنه فهم من رسالتها أمورًا مخصوصة به. ومن ذلك قوله ﷺ: «رُبَّ حاملِ فِقهٍ إلى مَن هو أفقَهُ منه».

صاوي

قوله: (فلا يذكرها إلا عند الختم مع إخوانه): أي باتفاق الخلوتية والشاذلية. **قوله: (الاشتغال بتلاوة القرآن)**: أي لأن قلبه صار بيت الرب، فيفيض عليه الأسرار والأنوار. **قوله: (على حد قول العارف ... إلخ)**: أي على مثاله.

بصيلة

(لأن قلبه صار بيت الرب): أي متوجدًا فيه من غير شريك له، أو هو مملوك حقيقة لا يملكه غيره من الأغيار، أي ليس للأغيار عليه تسلط لاشتغاله بربه وشروق الأنوار فيه. ولا تظن أنه تعالى حال فيه، إذ حلول واجب الوجود في المعدوم محال. وإيضاح هذا المقام: أن القلب عند الذكر فارغ من جميع الأغيار حتى من نفسه، فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره، فيصير بيت الحق، أي ممتلئًا من جلاله وعظمته، فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير. وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به، فإن بطش هذا الذاكر كان يده الذي يبطش بها، وإن سمع كان سمعه الذي يسمع به، فقد استولى المذكور العلي على فؤاده، فامتلكه، وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه، وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته. فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف، وتبعث الأعمال الصالحة نشاطًا ولذة من غير كلل. وهذه المراقي لا يعرف حقائقها إلا السالكون وجدانًا، والعلماء إيمانًا وتصديقًا.

النوع الثاني: الذكر بالقلب، وهو شأن أرباب النهايات. ومنه الفكر في بدائع المصنوعات، وأعظمها المراقبة الآتي بيانها. وبعضهم يعد الأصول أكثر من ذلك، وبعضهم يعدها أقل. وفي الحقيقة كلها أمور لابد منها، وعمدتها الذكر والصدق في التوجه بمخالفة النفس في شهواتها، ومقاساة الصبر على يد شيخ كامل.

(**مجتنبًا**) حال من فاعل «خلِّص» (**لسائر**) أي لجميع (**الآثام**) كبائرها وصغائرها، ظاهرها كالقتل والزنا وشرب الخمر وأكل الحرام والغيبة والنميمة والنظر إلى محرم وغير ذلك، وباطنها كالحسد والحقد والغرور والرياء والعجب والكبر والبخل والنفاق وحب الجاه والرئاسة.

(**مراقبًا لله في الأحوال**) أي في جميع أحوالك، فإنك بالمراقبة ترتقي إلى المشاهدة، وبالمشاهدة ترتقي إلى المعاينة. والمراقبة: ملاحظة الحق تعالى عند كل شيء، مثلًا: إذا لاحظته حال قصد النفس الوقوع في المعصية، وجدته تعالى مطلعًا عليك فترجع عنها حياءً منه. وإذا لاحظته حال أكلك، وجدته تعالى هو الذي ساق إليك ذلك الطعام من غير حول منك ولا قوة لك، ثم وجدته حرك يدك إلى تناوله وجعل فيك القدرة على رفعه لفمك، ثم حرك فمك وأجرى فيه الريق، ثم خلق فيك قوة اللذة، فساقه إلى المعدة، ثم رتب على ذلك قوة في جسمك، ورباك فجعل منه للحم نصيبًا، وللعظم

سباعي

قوله: (والصدق): الصدق هو الحكم المطابق للواقع، ومحله اللسان والقلب والأفعال. وأقلُّه استواء السر والعلانية. والصادق مَن صدق في أقواله وأفعاله وأحواله. وانظر ما يتعلق بذلك في «شرح الرسالة القشيرية».

صاوي

قوله: (ومنه الفكر): أي من الذكر بالقلب، وهو أفضل الأذكار، قال الشاذلي ﷺ: ذرة من أعمال القلوب خير من مثاقيل الجبال من أعمال الأبدان. **قوله: (وبعضهم يعدها أقل)**: أي من العشرة المذكورة، فبعضهم يعدها ستة: الجوع، والسهر، والعزلة، والصمت، ودوام الذكر، والشيخ، وبعضهم يعدها أربعة ما عدا الذكر والشيخ، ولكل وجهة. **قوله: (وعمدتها الذكر)**: أي أعظم أركانها. **قوله: (أي في جميع)**: أشار بذلك إلى أن «أل» في «الأحوال» للاستغراق.

بصيلة

....

نصيبًا، وللعصب نصيبًا، وما فضل مما لا منفعة فيه أخرجه، فتعلم بذلك أنه لا فاعل سواه.

فإذا قوي هذا المعنى فيك سُمي «وحدة الأفعال»، وصرت مشاهدًا لله في كل شيء، فإذا قويت هذه المشاهدة حتى غبت عما سوى الله، سُميت «معاينة» و«وحدة الذات»، فإذا زاد التمكين شاهدت بعد ذلك أنه خالق لعبده وما عمل، وهذا معنى قولهم: «مشاهدة الله قبل كل شيء»، وهذه أمور ذوقية من وراء طور العقل لا يعرفها إلا أهل العنايات والنفوس القدسية رضي الله عنهم وعنا بهم.

ومن آداب هذه الطائفة التي يحصل بها الكمال: ملازمة الطهارة والنوم عليها؛ وعدم كشف العورة المغلظة في الخلوات حياء من الله ومن الملائكة؛ ومنها: توقير الكبير والشفقة على الصغير والأرامل والمساكين، بل على جميع الخلق؛ ومنها: الأدب مع أهل العلم خصوصًا خدمة الشريعة ومشايخ الطريق، فإنهم ورثة الأنبياء؛ ومنها: أن لا يزور أحدًا من الصالحين ما دام تحت التربية قبل الكمال، خوفًا من أن يرى كرامةً أو خلقًا في أحدهم لم يره في شيخه، فيعتقد في شيخه النقص، فيُحرم مدده؛ ومنها: سوء الظن بنفسه وحسنه بغيره، حتى يرى أن كل أحد أحسن منه حالًا؛ ومنها: أن لا ينتصر لنفسه في أمر؛ ومنها: أن يرى عبادته دائمًا قد دخلها الخلل من الرياء والخواطر الردية، ومثلها يستحق العقاب لولا مسامحة الله تعالى له، فيستغفر من عبادته ومن استغفاره؛ ومنها: أن لا يتكلم بكلام العارفين من الفرق والجمع والفناء والبقاء ما لم يكمل، على أن الأولى للكامل ترك ذلك

سباعي

قوله: (من وراء طور العقل): أي فهمه. قوله: (أو خُلُقًا): بضمتين، أي حالة وطبيعة.

قوله: (والبقاء): أي وهو وجود الأوصاف المحمودة في السالك بسبب الرياضة، وهو نتيجة

صاوي

قوله: (وصرت مشاهدًا): المناسب أن يقول: مراقبًا. وقوله: (فإذا قويت هذه المشاهدة): المناسب المراقبة. قوله: (ومن آداب هذه الطائفة): شروع منه في ذكر بعض آداب طريق القوم، وتقدم لنا ذكرها مفصلة. قوله: (والنوم عليها): أي على الطهارة ولو وضوء جنب. قوله: (أن لا يزور أحدًا من الصالحين): أي حيًّا وميتًا إلا بإذنه.

بصيلة

قول الشارح: (من الفرق والجمع والفناء والبقاء): الفرق هو أن يحتجب السالك بالخلق عن

إلا لحاجة تقتضي ذلك؛ ومنها: محاسبة النفس على ما ترتكبه من المحرمات والمكروهات وفضول المباحات، وعلى ما وقع في نفسه من الخواطر النفسانية والشيطانية، والاستغفار منها.

والفرق بين الخاطر النفساني والشيطاني أن الأول: يكون بإلحاح على المعصية أو الشهوة، كالطفل الذي يلح على أمه حتى تعطيه ما يريد، فيجب قمعها عن ذلك بملازمة الذكر وبيان عاقبة هذا الأمر والتوجه إلى الشيخ. والثاني: يكون من غير إلحاح، بل يأمر بالمعصية ويزينها، فإن طاوعه الشخص، وإلا انتقل لآخر، لأن قصده الغواية على أي حالة لا معصية بخصوصها.

وأما الفرق بين الخاطر الرباني، والخاطر الملكي أن الأول: ما فيه تنبيه على الخير من غير حث،

سباعي

الفناء، فمتى تم الفناء حصل البقاء. قوله: **(والاستغفار)**: معطوف على المحاسبة.

قوله: **(بملازمة الذكر)**: متعلق بقوله: فيجب قمعها. وقوله: **(وبيان عاقبة هذا الأمر والتوجه... إلخ)**: معطوفان على قوله: بملازمة... إلخ. قوله: **(وإلا انتقل لآخر)**: معطوف على محذوف تقديره: بطش به وأوقعه في المعصية، وإلا انتقل لشخص آخر.

صاوي

قوله: **(إلا لحاجة تقتضي ذلك)**: أي كالتعليم.

قوله: **(والفرق بين الخاطر النفساني... إلخ)**: الذي ذكره غيره أن الخاطر النفساني ما يلزم معصية بعينها، والشيطاني ما يلزم معصية لا بعينها، والرحماني: ما يلزم طاعة بعينها،

بصيلة

الحق، فلا يرى إلا الخلق، وهو حال المبتدئ من السالكين والعوام، ولذا قال الأستاذ أبو علي الدقاق: الفرق ما نُسب إليك، والجمع ما سُلب منك. ثم ما يكون من قبل الحق من إبداء معان ولطائف فهو جمع، [فالفرق فرقان: فإن احتجب السالك بالخلق عن الحق] فيسمى بالفرق الأول، أو هو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير انحجاب بأحديهما عن الأخرى، ويسمى هذا بالفرق الثاني عندهم. والجمع هو شهود الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة إلا بالله. وجمع الجمع هو الانهماك بالكلية والفناء عن ما سوى الله تعالى، وهو المرتبة الأحدية. والفناء يُقال على عدم الإحساس بالعالم، ويُقال على غير ذلك. والبقاء: وجود الأوصاف المحمودة في السالك بسبب الرياضة، وهو نتيجة الفناء، فمتى تم الفناء، حصل البقاء. اهـ. ملخصًا من الجراحي.

ولا يؤدي إلى حَيرة. والثاني: ما فيه حث على الطاعة. ومنها مدح أعدائه، وعدم التكدر من ذكرهم، والدعاء لهم بالمغفرة والتوفيق؛ ومنها الدعاء لعصاة المؤمنين كذلك؛ ومنها مطالعة كتب القوم ليتعلم منها الأدب، ويعرف منها حال أهل الله تعالى، فبالآداب ترتقي إلى مقام الأحباب، أنشدنا شيخنا:

ما وهب الله لامرئ هبة ... أحسن من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن عُدما ... فإن فقد الحياة أجمل به

فإذا جاهدت النفس بما مر هان عليها إن شاء الله تعالى الخلوصُ من ظلمة الأغيار، وتبدلت صفاتها المذمومة بالصفات الممدوحة، فيخلع الحق تبارك وتعالى عليك خلع الأخلاق المحمدية من الحلم، والعلم، والشفقة والرأفة، والخضوع والزهد، والورع والسخاء، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، كما أشرتُ إلى ذلك بقولي: (لترتقي معالم الكمال) أي إلى معالم هي الكمالات، وهي الأخلاق المحمدية، وحينئذ يكون هذا العبد خليفة الله في أرضه.

سباعي

قوله: (شيخنا): أي العدوي، وهو قطب دائرة المحققين، صاحب التآليف الأنيقة والمدارك الدقيقة، الحَبْرُ الهمام، سيدُ مَن اقتدى بخيرِ الأنام، الشيخ علي الصعيدي. وأوصافه أشهر من أن تُذكر، نفعنا الله به دنيا وأخرى. **قوله: (ما وهب... إلخ)**: الذي سمعته من شيخنا الشيخ عبد المنعم العماوي:

ما وهب الله لامرئٍ هبةً ... خيرًا من عقلِه ومن أدبِه
هَما جمالُ الفتى فإن فُقِدا ... ففقده للحياة أجمِلْ بهِ

قوله: (خلع الأخلاق): أي خِلع هي الأخلاق، كما أشار فيما بعد. **قوله: (من الحلم... إلخ)**: بيان للأخلاق.

صاوي

والملكي: ما يلزم طاعة لا بعينها. **قوله: (ومنها مدح أعدائه)**: فيجاهد نفسه على ذلك حتى يتخلق به كما قال بعض العارفين:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالرجال فلاح

بصيلة

....

وعلامة زوال الرعونات البشرية من القلب والتحلي بالأخلاق المرضية أن يستوي عنده المدح والذم، والمنع والعطاء، وإقبال الناس عليه وإدبارهم، بل يرجح الذم والمنع والإدبار على مقابلها.

(وقل) متضرعًا إلى ربك قولًا ملتبسًا **(بذل)** فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم يا **(رب لا تقطعني عنك بقاطع)** من كل فتنة يشتغل القلب بها عن العبودية من حب المال والولد والجاه والشهوات، ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

ومن القواطع: الكبر، والحقد، والرياء، والعجب.

ومنها العبادة لأجل حصول ثواب أو فتح لدني ليكون من أولياء الله، وإنما شأنهم أن يعبدوا الله تعالى لذاته وامتثالًا لأمره ونهيه، ثم إن حصل لهم فتح فذلك من فضله، وإن حُجبوا فذلك من

سباعي

قوله: (متضرعًا): حال من فاعل «قُل».

صاوي

قوله: (بل يرجح الذم والمنع... إلخ): قال صاحب «الحكم» في هذا المعنى: «ورود الفاقات أعياد المريدين». **قوله: (متضرعًا)**: حال من فاعل قل. **قوله: (بذل)**: جعله الشارح متعلقًا بمحذوف صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقل، والباء للملابسة، وفيه كلفة. والأسهل جعل الجار والمجرور متعلقًا بمحذوف حالًا من فاعل قل. والتقدير. قل: يا رب لا تقطعني... إلخ حال كونك ملتبسًا بالذل.

قوله: (فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم): تعليل لما قبله. وفيه اقتباس من الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي». **قوله: (من كل فتنة)**: بيان للقاطع. **وقوله: (من حب المال... إلخ)**: بيان للفتنة. **قوله: (﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]... إلخ)**: هذه أدلة ثلاثة على ما ذكره من أن حب المال والولد والشهوات من جملة القواطع. **قوله: (ومنها العبادة... إلخ)**: أي من جملة القواطع عن الله تعالى. **قوله: (وإنما شأنهم أن يعبدوا من يعبد الله تعالى لذاته)**: أي لكونه

بصيلة

....

عدله، إذ ليس للعبد على مولاه حق، وإنما الحق له تعالى على العبد، فالعبد مطلوب بأن يخلِّص نفسه من الرعونات النفسية، وليس على الله تعالى أن يهبه المعارف القدسية، والذي يعبده لذلك معدود عندهم من عبيد السوء الذين إذا لم يؤجروا لم يعملوا، وهذا ينافي كونه عبدًا محضًا، قال العارف بالله تعالى السكندري في «الحكم»: «تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حُجب عنك من الغيوب». **لا يُقال**: إذا كانت العبادة لأجل الفتح من القواطع، فكيف يصح أن تأمره بطلبه بقولك:

وقـل بـذل رب لا تقطعني عنك بقاطع ....

لأنا نقول: طلب الفتح من فيض فضل الله تعالى لا في مقابلة شيء، لكن مع الاستقامة أمر مطلوب شرعًا، كطلبك منه سعة الرزق وصحة البدن والشفاء من الأمراض الحسية، ألا ترى

سباعي

قوله: (تشوفك إلى ما بَطَنَ... إلخ): مثلًا: زيد يجد في نفسه الحسد والحقد والعُجب والرياء، فكونه يتطلع لما في قلبه من هذه الأشياء ويتباعد عنها خير له من مجاهدته وعبادته ليلًا ونهارًا، لأجل أن يطَّلع على ما في اللوح المحفوظ، أو على ما فوق السماء أو تحت الأرض مثلًا، فأفاد رحمه الله أن السعي في تفتيش عيوب النفس والتباعد عنها أولى بها وأفضل من السعي والمجاهدة في العبادة لأجل الاطلاع على المغيَّبات، وذلك أن الإنسان إذا فنيت عيوب نفسه نال من فضل الله غاية قدسه.

قوله: (أمر مطلوب): خبر عن قوله: طلب الفتح من فيض فضل الله... إلخ.

صاوي

مستحقًا وأهلًا للعبادة، ورد في مناجاة داود عليه السلام: «يا داود، إن لم أخلق جنة ولا نارًا أفلا أستحق أن أُعبد». **قوله: (إذ ليس للعبد على مولاه حق)**: أي وأما قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فمعناه على سبيل التفضل والإحسان. **قوله: (من عبيد السوء)**: ليس المراد أن ذلك حرام يُعاقب عليه، بل المراد أن ذلك انحطاط عن المراتب العلية.

قوله: (تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب): أي تطلعك وقصر نظرك على عيوبك واشتغالك بها وتخليص نفسك منها. **قوله: (خير من تشوفك إلى ما حُجب عنك)**: أي أفضل من تطلعك إلى ما سُتر عنك من المغيبات، لأنه تعالى لا يجب عليه شيء لعبيده. **قوله: (لا يُقال... إلخ)**:

بصيلة

....

أنه أوجب عليك طلب الهداية في كل يوم وليلة سبع عشر مرة في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وطلب منك ندبًا غير ذلك في النوافل كثيرًا بلا حد. وهذا غير العبادة لأجل حصول شيء، فإنها ليست طريق المقربين، فافهم.

(و) قل بذل: يا رب (**لا تحرمني**) بفتح التاء، من حرم، أو بضمها من أحرم، بمعنى منع، أي لا تمنعني، (من) إعطاء (سرك) المراد به النور الإلهي الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل في نفس الأمر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نورًا في قلوبكم تميزون به بين الحق والباطل على ما هو عليه في نفس الأمر.

(**الأبهى**) أي الأنور من كل نور، فإن علم اليقين وهو معرفة الأشياء بالبرهان نور، وأنور منه حق اليقين، وهو معرفتها بالمشاهدة من غير مخالطة وممازجة، وأنور منه عين اليقين، وهو معرفتها بالمخالطة والممازجة، فليس من استدل على وجود نار برؤية الدخان كمن شاهدها على بعد، وليس من شاهدها كمن خالطها وعلم وقودها وما هي عليه. (**المزيل للعمى**) يعني الجهل.

سباعي

....

صاوي

عبر بذلك إشارة لضعف هذا التوهم وبُعده. **قوله**: (**هذا**): أي الطلب المذكور.

قوله: (**فافهم**): أي الفرق بين الطلب والعبادة، فطلب المراتب من الله تعالى غير مذموم، والمذموم العبادة لذلك. **قوله**: (**بمعنى منع**): تفسير لكل من اللغتين. **قوله**: (**فإن علم اليقين... إلخ**): حاصل ما ذكره أن الأمور ثلاثة: علم يقين، وعين يقين، وحق يقين، وكلها مذكورة في القرآن. أما الأول فقال الله فيه: ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ [التكاثر: ٥-٦]، والثاني قال الله فيه: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٧]، والثالث قال الله فيه ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٣-٩٥].

قوله: (**فليس من استدل على وجود نار... إلخ**): لف ونشر مرتب. **قوله**: (**يعني الجهل**): أشار بذلك إلى أن المراد بالعمى المعنوي، وهو انطماس البصيرة.

بصيلة

....

وفي كلامه إشارة إلى أن الدعاء ينفع، وهو مما لا شك فيه عند أهل الحق،.................

سباعي

قوله: (الدعاء): عرَّفه بعضهم بأنه رفع الحاجات إلى رافع الدرجات، وبعضهم بأنه إظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع. وقد أشار إلى الثاني بقوله: «وينبغي... إلخ» وقيل غير ذلك. **قوله: (ينفع)**: أي ينفع الأحياء والأموات، ولو صدر عن كافر لحديث: «دعوةُ المظلومِ مستجابةٌ وإن كان كافرًا» وفي لفظ أبي هريرة: «وإن فاجرًا» ففجوره على نفسه. ويرجح هذا كلام الفقهاء في باب الاستسقاء. وقيل: لا يُستجاب له لقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، فيقضي الله باستجابته الحاجات تفضلًا، إذ القضاء على قسمين: مُبرَم ومعلَّق. فالمعلق لا استحالة [في رفع] ما علق رفعه منه على الدعاء، ولا في نزول ما علق نزوله منه على الدعاء، ضرورة وجوب ترتب المشروطات على شروطها، والمسببات على أسبابها. وأما المبرم فالدعاء وإن لم يرفعه، لكن ربما أثاب الله العبد على دعائه برفعه، أو أنزل بالداعي لطفه فيه. والمدعى ترتب نفع للداعي أو لغيره على دعائه عاجلًا أو آجلًا يخرجه عن العبث.

فإذا علمت ما تقرر تعلم رد ما احتج به المعتزلة، بأن ما دعا به إما أن يكون مما قدَّره وقضاه أو لا، والأول تخلُّفه محال، والثاني غير محال، فانتفت فائدته، فصار عبثًا. ثم اعلم أن حُكمُه الاستحباب، وهو المختار، وعليه الفقهاء المحدِّثون وجماهير العلماء سلفًا وخلفًا. وذهبت طائفة من الزهَّاد وأرباب المعارف إلى أن ترك الدعاء استسلامًا للقضاء أفضل. وقال آخرون: إن دعا للمسلمين فحسَن، وإن دعا لنفسه فالأولى تركه. وقال آخرون منهم: إن وجد في نفسه نشاطًا استُحب وإلا فلا. وذهب قوم إلى أنه إن كان مصاحبًا للسانه رضا بقلبه فيأتي بالأمرين جميعًا.

قال القشيري: يُقال: الأوقات مختلفة، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو

صاوي

قوله: (إلى أن الدعاء ينفع): أي مما نزل ومما لم ينزل. **قوله: (عند أهل الحق)**: أي وهم أهل السنة والجماعة.

بصيلة

....

والقرآنُ العظيم مشحون به، وهو في السنة أكثر من أن يُحصىٰ،........

سباعي

الأدب، وفي بعضها السكوت أفضل منه. وقد نحا نحو هذا شارحنا حيثُ قال: «وأن يكون في الأوقات الشريفة... إلخ». وطريق ذلك أن ينظر في قلبه فإن وجد فيه إشارة إلىٰ الدعاء فهو أفضل، وإن وجد إشارة إلىٰ السكوت كان السكوت أتم. قال: ويصح أن يُقال: ما كان للمسلمين فيه نصيب ولله فيه الحق، فالدعاء أولىٰ لكونه عبادة، وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم. قال اللقاني رحمه الله: وعندي أنَّ كلام القشيري وفاق لا خلاف.

وسمع الأصمعي رجلًا عند الملتزم يقول: يا ذو الجلال والإكرام، فقال: منذ كم تدعوه؟ فقال: من سبع سنين، فلم أرَ الإجابة. فقال له: إنك تلحِّن في الدعاء، فأنىٰ يُستجاب لك؟! قل: يا ذا الجلال والإكرام. ففعل فاستُجيب له. وفي بعض الآثار الموقوفة أن الله لا يقبل دعاءً ملحونًا. والحذر من أن تمِلَّ من الدعاء، فلربما حُبست حاجة المؤمن لحب الله صوته ودعاءه، وقُضيت حاجة الكافر لعكس ذلك. وانظر ما وراء ذلك في المطولات.

قوله: (والقرآن... إلخ): من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر: ٦٠]. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. **قوله: (وهو في السنة... إلخ)**: تقدم لك حديث أنس. ومن ذلك ما في الشعبي مرفوعًا أن جبريل مُوكَّل بحاجات العباد، فإذا دعا المؤمن قال الله عز وجل: «يا جبريلُ، احبِس حاجتَه، فإني أحبه وأحب صوته» وفي لفظ: «وأحب دعاءه». وإذا دعا الكافر قال: «يا جبريل، اقضِ حاجةَ عبدي، فإني أبغض صوته» وفي لفظ: «وأبغض دعاءه». وقال ﷺ: «ما من داعٍ يدعو إلا كان بين ثلاثٍ: إما أن يُستجاب له، وإما أن يُدخَر له، وإما أن يُكفَّر عنه من ذنبه» وفي لفظ: «أو يُدفع عنه من السوء مثله».

صاوي

....

بصيلة

....

خلافًا للمعتزلة. ويجب أن لا يكون بممتنع عقلًا أو شرعًا أو عادة.

وينبغي أن يكون مصاحبًا للذل والانكسار، وأن يكون في الأوقات الشريفة كالأسحار، وعقب الصلوات، وأن لا يكون فيه تحجير على الله تعالى، كأن يسأل قضاء حاجة بخصوصها في هذا الوقت بعينه مثلًا ما لم يشتد الكرب كالخلاص من ظالم مثلًا.

ثم إن الدعاء في ذاته هو مخ العبادة لأن فيه إظهار الفقر والفاقة إلى الله تعالى، وأن الله هو

سباعي

قوله: (وأن لا يكون فيه تحجير... إلخ): أي كما يُؤخَذ من حديث: «ما من داعٍ يدعو... إلخ».

قوله: (مخ العبادة): إشارة لحديث، ولفظه: «الدعاء مخ العبادة».

صاوي

قوله: (خلافًا للمعتزلة): أي حيث قالوا بعدم جواز الدعاء، محتجين بأن ما قدره الله يكون، فلا حاجة للدعاء، ويفسرون الدعاء المذكور في الآيات بالعبادة.

قوله: (بممتنع عقلًا): أي كالجمع بين الضدين. **وقوله (أو شرعًا)**: أي كالدعاء بأن الله يأتيه بمحرم كالخمر ونحوه. **وقوله: (وعادة)**: أي كصعود للسماء مثلًا.

بصيلة

(حيث قالوا بعدم جواز الدعاء... إلخ): أي قالوا ذلك محتجين بأن ما دعا به إما أن يكون مما قدَّره الله وقضاه أو لا، والأول تخلفه محال، والثاني غير حالٍ بالعبد، فانتفت فائدته فصار عبثًا. ورُدَّ بأن القضاء على قسمين: مبرم ومعلق، فالمعلق لا استحالة في رفع ما علق رفعه منه على الدعاء، ولا في نزول ما علق نزوله منه على الدعاء. وأما المبرم فالدعاء وإن لم يرفعه، لكن ربما أثاب الله العبد على دعائه برفعه، أو أنزل بالداعي لطفه فيه، والمدعى ترتب نفع للداعي أو لغيره عاجلًا أو آجلًا يخرجه عن العبثية. اهـ. من عبد السلام. وقد أفتى العز بن عبد السلام بكذب وعصيان من قال: لا حاجة لربنا إلى الدعاء، بناءً على أن ما سبق به القضاء والقدر كائن، ويلزم أن لا يأكل إذا جاع ولا يشرب إذا عطش بناءً على ذلك. وهل الكافر يُستجاب الدعاء له، لحديث أنس ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافرًا» أو لا يستجاب له لقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤]؟ الأول كلام الفقهاء في باب الاستسقاء يقويه، والثاني مذهب علماء الكلام.

الغني القادر على كل شيء، وإن لم تحصل استجابة. وعدم حصول الإجابة إما لتخلف شرط، وإما لعلم الله أن عدم الإجابة خير له أو غير ذلك.

(و) قل بذل: يا رب، (اختم) لنا أعمالنا وأحوالنا وأعمارنا (بخير) حتى لا تقبضنا إليك إلا على أتم حالات التوحيد على شوق إليك ورغبة فيك، واقبض أرواحنا بيدك، وبدل سيئاتنا حسنات، وخذ بأيدينا عند العثرات، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. (يا رحيم) أي يا أرحم (الرحما) فيه إشارة وتلميح إلى قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم

سباعي

قوله: (وإن لم تحصل استجابة): مبالغة فيما قبله من الغنى والقدرة. **قوله**: (وعدم حصول الإجابة... إلخ): كلام مستأنف، إشارة إلى أن لإجابة الدعاء شروطًا، وهي أن يعلم أنه لا يقدر على تحصيل مطلوبه منه إلا الله، وأن يدعو بنية صالحة صادقة وحضور قلب، وأن يجتنب الحرام، وأن لا يمل من الدعاء فيترك ويقول: دعوت فلم يستجب لي. وشروط في المدعو به، وهي أن يكون من الأمور الجائزة، فلا يدعو بما فيه إثمٌ، ولا قطعية رحِم، ولا إضاعة حقوق المسلمين. وفي كبير اللقاني

صاوي

قوله: (وعدم حصول إجابة): أي بعين المطلوب. **قوله**: (إما لتخلف شرط): أي من شروط الإجابة بعين المطلوب، إذ هي كثيرة، منها أكل الحلال والثقة بالله. وله آداب، منها: الوضوء، واستقبال القبلة، ورفع الأيدي، وتخليله بالصلاة على النبي ﷺ، وختمه بها. وأعظمها حضور القلب، لما في الحديث: «إن الله لا يقبل دعاء من قلب لاه».

قوله: (واقبض أرواحنا بيدك): أي بحيث لا نشاهد ملكًا يقبضها. **قوله**: (عند العثرات): أي عند حصول المشاق والمتاعب. **قوله**: (فيه إشارة وتلميح... إلخ): وفيه إشارة أيضًا إلى حديث: «إذا

بصيلة

(منها أكل الحلال... إلخ): أي وأن يدعو وهو موقن بالإجابة وأن لا يكون قلبه غافلًا، وأن لا يدعو بما فيه إثم أو قطيعة رحم أو إضاعة حقوق المسلمين، وأن لا يدعو بمحال ولو عادة، لأن الدعاء به يشبه التحكم على القدرة القاضية بدوامها، وذلك إساءة أدب على الله تعالى. (وله آداب منها الوضوء... إلخ): ومنها أن يتحرى الأوقات الفاضلة، كأن يدعو في السجود، وعند الآذان والإقامة، ومنها رفع الأيدي إلى جهة السماء، وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب وغير ذلك.

الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». ولا يخفى ما في الكلام من حسن الاختتام. هذا وأقول متمثلًا بقول صاحب «البردة»:

أستغفر الله من قول بلا عمل ... لقد نسبت نسلًا لـذي عقم

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ... وما استقمت فما قولي لك استقم

نعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ومن الطمع في غير مطمع. وجَّهنا إليك مطايا الآمال، فلا تحرمنا لذة الوصال، واحملنا على مطايا التوفيق، واسلك بنا أنفع طريق، إنك أنت الجواد

سباعي

زيادة كثيرة في الشروط. والله أعلم. **قوله**: (**حسن الاختتام**): أي المعبَّر عنه ببراعة المقطع، وهي أن يأتي المؤلف في آخر كتابه بما يُشعر بتمام مقصوده، كما فعل المصنِّف نفعنا الله به. **قوله**: (**هذا**): هو اقتضاب قريب من التخلص، ويجوز أن يكون معمولًا لمحذوف، أي اعلم هذا. **قوله**: (**وأقول**): الواو للحال، أي أقول، والحال إني متمثل.

قوله: (**نعوذ**): أي نتحصن، أي معاشر أهل الطاعة من المسلمين، أو أهل العلم خاصة،

صاوي

قال العبد: يا أرحم الراحمين، قال الله له: أنا أرحم الراحمين أقبل عليك، فسل». **قوله**: (**يرحمكم من في السماء**): يحتمل أن «من» واقعة على الملائكة، وهو ظاهر، ويحتمل وقوعها على الله تعالى، وحينئذ فالمعنى: من في السماء أمره وسلطانه. **قوله**: (**من حسن الاختتام**): أي حيث قال: واختم بخير يا أرحم الرحماء.

قوله: (**هذا**): مفعول لمحذوف، والتقدير: افهم هذا الذي ذكرته لك. **قوله**: (**صاحب البردة**): هو العلامة شرف الدين البوصيري.

قوله: (**لقد نسبت به**): أي بذلك القول الخالي من العمل. **قوله**: (**لذي عقم**): أي لشخص متصف بالعقم، وهو عدم النسل. **قوله**: (**أمرتك الخير**): منصوب على نزع الخافض أي بالخير.

قوله: (**فما قولي لك استقم**): استفهام إنكاري توبيخي. **قوله**: (**مطايا الآمال**): من إضافة المشبه به للمشبه، أي الآمال الشبيهة بالمطايا. وكذا قوله: مطايا التوفيق. **قوله**: (**أنفع طريق**): من إضافة

بصيلة

....

الكريم، الرؤوف الرحيم. ولما كان تأليف هذا الكتاب والاقتدار عليه من نعم الله تعالى وكان شكر المنعم واجبًا، ختم كتابه بحمد الله تعالى بقوله: (**والحمد لله على الإتمام**) لهذا الكتاب.

ولما كانت كل نعمة وصلت إلينا ولا سيما نعمة علم التوحيد، فهي بواسطته عليه الصلاة والسلام، وجب عليه أن يصلي عليه ﷺ بقوله: (**وأفضل الصلاة والسلام**) أي وأعظم أنواع النعم والتحية من رب البرية (**على النبي**) أي المخبر عن الله تعالى بطلب التوحيد وعبادة الواحد والعدل في جميع الأمور، وبما يؤول إليه عاقبة أمر الممتثل، وعاقبة أمر المخالف.

(**الهاشمي**) نسبة لهاشم جد أبيه عليه الصلاة والسلام، (**الخاتم**) أي المتمم للأنبياء والمرسلين،

سباعي

أو خصوص الشارح. وضمير العظمة لا ينافي التواضع المشروع في مقام الدعاء لاختلاف الجهة، لأن التواضع والإخلاص محلهما القلب وإن ظهر أثرهما على الجوارح. وإظهار العظمة لتأهيل الله إياه للطلب، وذلك نعمة ينبغي إظهارها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. **قوله: (والحمد لله)**: الواو للاستئناف، لا عاطفة على الحمد المتقدم في صدر الكتاب. وقد تقدَّم الكلام على الحمد والصلاة والسلام على النبي ﷺ وعلى الآل والصحب بأوضح بيان، فراجعه إن شئت.

قوله: (النعم والتحية): أشار بالأول إلى تفسير الصلاة، وبالثاني إلى تفسير السلام.

قوله: (الخاتِم): بكسر التاء وفتحها. واعلم أن الإنسان إذا أورد الصلاة والسلام عقب إتمام عملٍ كما هنا لا ينبغي له أن يقصد بهما الإعلام بإتمامه، بل ينبغي له أن لا يقصد إلا تحصيل فضيلتيهما

صاوي

الصفة للموصوف. **قوله: (من نعم الله)**: الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر كان، والتقدير: كائنًا وحاصلًا، والنعم جمع نعمة، وهي كل ملائم تُحمد عاقبته شرعًا. **قوله: (ختم كتابه)**: جواب لـ«ما». **قوله: (على الإتمام)**: اختار الحمد على الفعل، لأنه حمد بلا واسطة، بخلافه على النعمة.

قوله: (وجب): أي تأكد. **قوله: (والعدل في جميع الأمور)**: أي التوسط فيها. **قوله: (عاقبة أمر الممتثل)**: أي بالبشارة. **وقوله (وعاقبة أمر المخالف)**: أي بالنذارة. **قوله: (جد أبيه)**: أي لأنه ﷺ

بصيلة

....

(و) على (آله) أي أتباعه (و) على (صحبه) عطف خاص على عام (الأكارم) جمع أكرم، فقد جادوا بأنفسهم في نصرة الله ورسوله، مع ما اشتملوا عليه من الأخلاق الحسنة والرأفة والرحمة، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] رضي الله عنهم وعنا بهم آمين.

سباعي

وإلا دخل في الكراهة، وكذا قولهم عند التمام: «والله أعلم».

خاتمة: قال جمعٌ من العلماء نفعني الله بهم: يُستحب الترضي على الآل، والترحُّم على الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار.

صاوي

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلام بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قوله: (أي المتمم للأنبياء والمرسلين): أي في الزمان والشرف. **قوله: (أي أتباعه)**: أي في الإيمان، فيشمل كل مؤمن ولو عاصيًا. **قوله: (الأكارم)**: وصف للصحب بدليل تفريع الشارح.

قوله: (محمد رسول الله... إلخ): استدلال على ما قبله. **قوله: (رضي الله عنهم)**: عن في كل بمعنى المجاوزة، والمعنى جاوز غضبه عنهم وعنا بسبب حبهم والاقتداء بهم.

بصيلة

(استدلال على ما قبله): أي وهم الصحابة ﷺ فهو دليل على اتصافهم بمكارم الأخلاق والشجاعة والقوة ونصرة دين الله على أي حالة كانت، فقوله ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[الفتح: ٢٩] مبتدأ وخبر، ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ أي أصحابه من المؤمنين، ﴿ أَشِدَّآءُ ﴾ غلاظ ﴿ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾ لا يرحمونهم، ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي متعاطفون متوادون كالوالد مع ولده، ﴿ تَرَىٰهُمۡ ﴾ تبصرهم، ﴿ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾ حالان، ﴿ يَبۡتَغُونَ ﴾ مستأنف أي يطلبون، ﴿ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم ﴾ مبتدأ وخبر، أي علاماتهم، وهي نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا.

وقول الشارح **(ويؤثرون)**: الضمير عائد على الأنصار ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴾ [الحشر: ٩]

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أنهاه مؤلفه عفا الله عنه في شهر جمادى الأول

سنة (١١٧٧)

ألف ومئة وسبع وسبعين

من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

سباعي

وهذا آخر ما أردنا جمعه. نسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن لا يجعله حجة علينا ولا وبالًا، لأنه بالبرِّ معروفٌ وبالإحسانِ موصوفٌ، وما أحسن قول القائل:

يا ذا المكارم والعُلا ... يا ذا الجلال الأوحدِ

إن العصاةَ تجمعوا ... يرجون عفْوك سيدي

قصدَتْكَ كلُّ قبيلةٍ ... ممن تروحُ وتغتدي

حطُّوا إليك رحالَهم ... وتشفَّعوا بمحمدِ

صاوي

قوله: (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين): ختم كتابه بما ختم به الله سورة «الصافات» اقتداء وتبركًا.

وقد تم هذا التعليق المبارك يوم الأربعاء المبارك لأربع بقين من شهر رمضان سنة ألف ومئتين وثمان وعشرين من هجرته عليه الصلاة والسلام تجاه مقام سيدنا الحسين رضي الله عنه وعنا به، وختم لنا بالسعادة الكاملة والرحمة الشاملة. آمين.

بصيلة

أي نزلوا المدينة ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي ألفوه ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي من قبل المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم الذين صدقوا في إيمانهم ﴿يُحِبُّونَ﴾ الأنصار ﴿مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ﴾ [الحشر: ٩] حسدًا ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي مما أعطاه النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الفائزون. أفاده الخلال. هذا

....

سباعي

وكان الفراغ من تأليف هذه الحاشية المباركة ليلة الجمعة ثالث يوم من شهر ربيع الثاني سنة (١٢٣٧) ألف ومئتين وسبعة وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

صاوي

....

بصيلة

والمرجو من الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم، بحق طه سيد المرسلين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والصحابة والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. آمين آمين آمين.

وكان الفراغ من جمعه على يد جامعه الفقير إليه تعالى

إبراهيم بصيلة ابن إبراهيم، الجانجي بلدًا، المالكي مذهبًا، الأزهري إقامة،

يوم الأربعاء غرة رجب سنة ١٣٠٥ من هجرته عليه الصلاة والسلام.

والحمد لله على التمام.

الفهرس